بورا تشانج

مكتبة

الأرنب الملعون

"القائمة القصيرة للبوكر الدولية 2022"

أدب كوري حديث

ترجمة:

محمد نجيب

المحروسة

الأرنَب الملعُون

بُورا تشانجْ

عنوان الكتاب: الأرنَب الملعُون 저주 토끼
المؤلفة: بُورا تشانجْ 정보라
ترجمة: محمد نجيب
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٦٢٦٢ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: 978-977-313-998-8

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2024

"This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)."

The original Korean edition was published as "저주토끼"
Copyright © Bora Chung, 2017/2023
All rights reserved.
Arabic translation copyright ©2023 by Mahrousa Center for Publishing, Information, and Press Services.
The Arabic Edition published by arrangement with Bora Chung through Greenbook Agency in South Korea.

مجموعة قصصية

مكتبة
t.me/soramnqraa

الأرنَب الملعُون

بُورا تشانجْ

ترجمة عن الكوريَّة

محمد نجيب

الطبعة الأولى 2024

مكتبة
t.me/soramnqraa

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

تشانجْ، بُورا
الأرنَب الملعُون/ بُورا تشانجْ؛ ترجمة: محمد نجيب.-ط ا
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023
271ص؛ 14.5×21.5 سم
تدمك 978-977-313-998-8
1 - القصص الكورية
2 - القصص القصيرة
أ- نجيب، محمد (مترجم)
ب- العنوان
895.73
رقم الإيداع 2023/26262

إشادات

تُقدِّم بورا تشانج مجموعة قصصيَّةً تتحدَّى أي تصنيف أدبي. الأرنب الملعون مجموعة قصصية تمزج بين الواقعية السحرية، والرعب، والخيال العلمي، وما يُعرَف بالخيال التَّنبُّئي. وتستعمل -ببراعة- عناصرَ فانتازيَّة وسريالية لمناقشة قسوة وتبعات السلطة الأبوية، والرأسمالية في العصر الحديث.

لجنة تحكيم جائزة البوكر الدولية 2022

يمكن تعريف أدب تشانج على أنه خليطٌ فريدُ من القصص الغرائبية التي تعتمد على الخيال العلمي والرُّعب والفانتازيا. بحِسِّها الغرائبي، تدفع كتابات تشانج القارئَ إلى عدم التَّوقُّف عن القراءة؛ لمعرفة ما سيحدث تاليًا، لكن في الوقت نفسه يهاب من قراءة النهاية التي تكون عادة صادمة.

Korean Times

مكتبة
t.me/soramnqraa

مقدمة

الأرنب الملعون حكايات سريالية تقشعرُّ لها الأبدان، تنتقد بطريقة مبتكَرَة، ممزوجةٍ بحِسٍّ دُعابةٍ عَبثيٍّ، والكثير من الرعب، النظامَ الأبويَّ، والرأسمالية، وعصر التكنولوجيا اللا محدودة.

الأرنب الملعون عمل فريد من نوعه، يمزج بين الرعب والخيال العلمي والقصص الفانتازية والخيال التَّأمُّلي، في قصص تتحدَّى التصنيف. بالتناوب، ومن خلال حكايات تثير تفكير القارئ وترعبه، تأخذ الوحوش هنا أشكال كائنات الغابة المكسوَّة بالفرو، ويكمن الخطر في زوايا غير مُتوَقَّعة من البيوت العادية. ولكن في هذه المجموعة التي لا تُنسى، يمكن أن يكون العالم المؤلم والغريب الذي نسجه خيال بورا تشانج عالَمَنا الفعلي.

لا توجد قصتان متشابهتان في هذه المجموعة، وسيجد القارئ نفسه حائرًا بين القراءة السريعة لمعرفة النهاية، أو القراءة المتأنية -والاستمتاع بذكاء تشانغ- وطاقتها المحمومة التي تنعكس في كل صفحة.

الرَّأس

كادت أن تدفع المياه داخل المرحاض عندما سمعت صوتًا يقول:

"ماما؟".

استدارت. كانت ثمَّة رأس تَبرُز إلى الخارج من المرحاض، تنادي عليها:

"ماما؟".

نظرت المرأة إلى الرأس لحظة. ثم دفعت المياه داخل المرحاض. اختفت الرأس في دَفقة المياه. غادَرَت الحمَّام.

بعد أيام قليلة، التقت الرأسَ مُجددًا في الحمام.

"ماما!".

مدَّت المرأة يدها كي تدفع المياه في المرحاض كما فعَلَت من قبل.

جأرت الرأس:

"لا! دقيقة واحدة فحسب".

نظرت المرأة إلى الرأس داخل المرحاض، ويدها لا تزال مُعلَّقة في الهواء.

ربما من باب الدِّقَّة الإشارةُ إليه على أنه "شيء يشبه على نحو غامضٍ رأسًا بشريًّا"، وليس رأسًا فعليًّا. كان حجم الشيء ثلثي حجم رأس إنسان بالغ، ويشبه كتلة من صلصال رمادي وأصفر، معجونة معًا بإهمال، مع لبدات متناثرة من شَعر رطب. لا وجود لآذان أو حواجب. وثمة شقَّان مكان العينين، ضيقان للغاية، لدرجة أنها لا تستطيع الجزم إنْ كانت عينا الشيء مفتوحتين أم مُغمضتين. وربوة منسحقة من اللحم يُفترض أن تكون الأنف. وكان الفم أيضًا عبارة عن شقٍّ بلا شفاه. وكان هذا الشقُّ ينفتح وينغلق بصورة خرقاء فيما يتحدَّث الشيء إليها. كلامه الأجش، الممتزج بغرغرة تشبه غرغرة شخص يغرق، صعَّبت عليها فهم ما يقول.

سألت المرأة:

"ماذا تكون بحق الجحيم؟".

أجاب الرأس:

"أُسمِّي نفسي 'الرأس'".

قالت المرأة:

"ذلك منطقي. لكن لماذا أنتَ في مرحاضي؟ ولماذا تناديني بـ 'ماما'".

انضغط الرأس فيما يُشكِّل كلامًا بدائيًّا بفمه عديم الشفاه.

"جسمي مخلوق من الأشياء التي تخلَّصتِ منها في المرحاض، مثل شَعرِك المتساقط، وبُرازكِ، والمناديل الورقية التي استخدَمتِها في مسح مؤخِّرتكِ".

باتت المرأة ساخطةً.

"لم أمنح أمثالَكَ أي أذن بالعيش داخل مرحاضي. وأنا لست خالِقَتَكَ في المقام الأول؛ لذا كُفَّ عن مناداتي بـ'ماما'. هيا، ارحل قبل أن أستدعي فرقة الإبادة".

سارَعَ الرَّأسُ إلى القول:

"لا أريد إلا أقل القليل. لا أطلب منكِ سوى مواصلة إلقاء فضلات جسمكِ في المرحاض حتى أتمكَّن من إنهاء تشكيل ما بقي من جسمي. عندئذٍ سوف أرحل بعيدًا عن هنا، وأعيش معتمدًا على طرائقي الخاصة؛ لذا، أرجوكِ، واصِلي فحسب استعمالَ المرحاض مثلما فعلتِ دائمًا".

تكلَّمَت المرأة ببرود:

"هذا مرحاضي؛ لذا بالطبع، سوف أستعمله مثلما فعلت سابقًا. غير أنني لا أستطيع تحمُّل التفكير في مخلوق مثلكَ يعيش فيه. الانتهاء من تشكيل جسدك لا يعنيني بتاتًا. لا أهتمُّ بما تفعله، وسأكون ممتنَّةً لو كَفَفتَ عن الظهور لي".

اختفى الرأس داخل المرحاض.

***

مع هذا استمرَّ الرأس في الظهور. بعد كل دفقةٍ من المياه داخل المرحاض، تطلُّ الرأس من مقعد المرحاض، وتحدِّق في المرأة وهي تغسل يديها. وكلَّما أحسَّت المرأة بأنها مُراقَبة، تستدير بعينيها بسرعة نحو المرحاض، وتلتقي نظراتها بشقَّيْ العينين اللتين يصعب الجزم بأنهما مفتوحتان. بدا الوجه المهروس كأنه يحاول رسم تعبير مُعيَّن، لكن كان من المستحيل تحديد كُنهَ هذا التعبير. وحالما تقترب المرأة من المرحاض، يسارع الرأس إلى الاختفاء. في تلك اللحظة تصفع المرأة

غطاء المرحاض، وتدفع المياه بداخله، وتحدِّق في المرحاض المُغلَق برهة، ثم تغادر.

ذات يوم، استعملت المرأة المرحاضَ كالعادة، ودفعت المياه داخله، وكانت في تلك اللحظة تغسل يديها، عندما ظهر الرأس في المرحاض وراءها، كما يفعل عادة. حدَّقَت المرأة إليه برهة من خلال المرآة. بادَلَها الرَّأسُ التَّحديقَ. بات الوجه المهروس تحت لبدات الشَّعر الشَّعثاء، الذي يكون عادةً مزيجًا من الأصفر والرمادي، الآن أحمر على نحو غريب. تذكَّرَت المرأة أنها كانت في فترة حيضها.

قالت إلى الرأس:

"يبدو لونكَ مختلفًا. هل للأمر أي علاقة بحالة جسمي؟".

ردَّ الرأس:

"ماما، لحالة جسمك علاقة مباشرة بمظهري؛ فوجودي برُمَّته يعتمد عليكِ".

خلعت المرأة لباسها التحتيَّ، وفوطتها الصحية. حشرت فوطتها الصحية الملطَّخة بدم حيضها فوق وجه الرأس، ودفعته إلى أسفل داخل المرحاض، ثم ضغطت على صندوق طرد المياه (السِّيفون).

دارت الرأس والفوطة في دوَّامَة، ثم اختَفَيَا في الفجوة السوداء داخل المرحاض. غسلت يديها. ثم تقيَّأت في الحوض. تقيَّأت مدَّةً طويلة من الوقت، ثم نقعت الحوض بمياه جارية، وغادرت الحمام.

***

انسدَّ المرحاض. قدَّم السبَّاكُ إليها الفوطة الصحية، كما لو كانت جائزةً، قبل أن يُلقي عليها مُحاضَرةً مطوَّلة عن ضرورة عدم رمي مثل تلك الأشياء داخل المرحاض.

بـدأت تُبقـي غطاء مقعـد المرحـاض مغلقًـا. وفي كل مـرة قضـت فيهـا حاجتهـا، تولـدَّت لديهـا عـادة النظـر بشـكل متكـرِّر داخـل المرحـاض. وبسـبب ذلـك؛ أُصيبـت المـرأة بالإمسـاك.

في أحـد الأيـام، وبينـما كانـت عـلى وشـك إغلاق غطـاء المرحـاض، لمحت الـرأس يطـلُّ خـارج الفجـوة في قاعـه. أغلقـت الغطـاء بعنـف. ودفعـت الميـاه فيـه عـدَّة مـرَّات. قبـل أن تغـادر الحـمَّام مبـاشرة، فتحـت الغطـاء قليـلًا، بحَـذَرٍ شـديد. التقـت عيناهـا بعينـي الـرأس. كانـت تحـدِّق فيهـا مـن داخـل الميـاه. شَـعرُه يطفـو حـول وجهـه. أغلقـت الغطـاء مجـدَّدًا. حاوَلَـت أن تدفـع الميـاه ثانيـة، لكـن مـا تبقَّـت ميـاهٌ في صنـدوق الطـرد (السِّـيفون) حتـى تدفعهـا في المرحـاض.

أخبرت المرأة عائلتها عن الرَّأس.

"الـرأس لا يضـع بيضًـا في المرحـاض، ولا يفعـل أي شيء آخـر غريـب، أليـس كذلـك؟ لمـاذا لا تتركينـه وشـأنه فحسـب؟".

وكان ذلك كل ما قاله أفراد عائلتها عن الموضوع.

تحاشت المرأة دخول الحمام في منزلها.

لكـن ذات يـوم، شـاهَدَت الـرَّأس في حـمَّام مـكان عملهـا. ضغَطَـت عـلى صنـدوق طـرد الميـاه، وكانـت تغسـل يديهـا عندمـا لمحـت مـن خـلال المـرآة الـرَّأسَ يطـلُّ خـارج المرحـاض، في حجـيرة الحـمَّام التـي تسـتعملها. اسـتقالت مـن وظيفتهـا في اليـوم التـالي.

***

سـاء الإمسـاك الـذي تُعـاني منـه. وأصبحـت مثانتهـا مُلتهِبـة. أخبرهـا الطبيـب أنهـا تحتـاج إلى دخـول الحـمام بانتظـام. لكـن فكـرة وجـود شيء

يحوم أسفل المكان الذي تقضي فيه حاجتها، منتظرًا التهام فضلاتها، جعل دخول أيِّ حمَّام أمرًا لا يُحتَمل.

لم يختَفِ الالتهاب والإمساك فعليًّا أبدًا. والآن بعد أن استقالت من وظيفتها، اقترحت أُسرَتُها عليها أن تجد زوجًا مناسبًا. خرجت في موعد غرامي مع رجل لم تَلتَقِه قَطُّ، رَتَّبته وسيطةُ زواجٍ رَشَّحتها أمُّها إليها. كان الرجل موظَّفًا مكتبيًّا عاديًّا في شركة تجارية. قال إن حلمه الزواج من امرأة لطيفة المعشر، وإنجاب أطفال، وعيش حياة هانئة. بدا غير مُصطَنَع، وجديرًا بالثقة، غير أنه تقليدي للغاية. بينما تجلس أمام هذا الرجل الغريب، فشلت في إخفاء توتُّرها بخصوص دخول الحمام. أساء الرجل فهم تململها وتشتُّتها. قال:

"امرأة أحلامي خجولة ورزينة. من الصعب العثور على فتاة مثلكِ؛ خجولة في حضرة الرجال هذه الأيام".

كان الرجل مُغرَمًا بها، ومتحمِّسًا لهذا التوافق، لدرجة أنه تقدَّم لخطبتها بعد ثلاثة شهور، ثم تزوَّجَا بعد ثلاثة شهور أخرى.

كانت المرأة متوتِّرةً من شهر العسل. لحسن الحظ، لم يظهر الرأس خلال رحلة شهر العسل.

كان أول شيء تتحقَّق منه المرأة بعد انتقالها إلى منزلها الجديد مع زوجها هو المرحاض. ما كان هناك أي شيء بداخله. خفَّفَت الحياة المستقرَّةُ في بيتها الجديد من التهاب مثانتها، والإمساك. مضت الأيام دون مسرَّات أو أوجاع، وما كانت جيِّدةً أو سيِّئة على نحو خاص، وفكَّرَت المرأة أنها راضية عن حياتها إلى حدٍّ كبير. في زوبعة التأقلم مع حياتها الجديدة، وجدت نفسها تفكِّر أقلَّ فأقلَّ في الرأس. وسرعان ما حملت، وأنجبت طفلةً، ونسيت الرأس تمامًا.

لكن بعد مدة وجيزة من ولادة طفلتها، ظهر الرأس في حياتها مُجدَّدًا. كانت تُحمِم مولودتها الصغيرة في طِستٍ بلاستيكي عندما سمعت صوتًا يقول:

"ماما!".

كادت أن تُغرِق طفلتها بالخطأ. نَمَا رأس "الرَّأس" الآن حتى بلغ متوسِّط حجم رأس شخص بالغ. كتلة الصلصال المهروسة الصفراء والرمادية لم تتغيَّر، لكنَّ العينين صارتا أضخم قليلًا، حتى إنها استطاعت الآن ملاحظتهما وهما تَطرفان، وثمة شيء يُشبه الشفاه كان متَّصلًا بفمه، ويوجد نتوءان لحميَّان مكان الأذنين، بدا كأنهما أُلصِقا بإهمال على جانبي الوجه. وأسفل الذقن التي بالكاد يمكن تمييزها، لمحت شريطًا من اللحم يبدو أنه بدايات عنق.

"ماما، هل تلك الطفلة ابنتكِ؟".

قالت المرأة متلعثمة:

"أي منطق يبرِّر ظهورك أمامي ثانية؟ مَن أخبرك عن مكان وجودنا؟".

ردَّ الرأس:

"فضلاتكِ جزءٌ مني؛ لذا سوف أعلم دائمًا أين تكونين".

عكَّرَت كلمات الرأس مِزاجَ المرأة الرائق. قالت بصوت حاد:

"أخبرتُكَ أن تبتعد عني. كيف تجرؤ على الظهور ثانية، ومناداتي بـ 'ماما'! ليس من شأنك ابنة مَن هذه الطفلة! لكن فليَكُن، إنها طفلتي. وهي الشخص الوحيد في هذا العالم المسموح له بمناداتي بـ 'ماما'. الآن اغرُبْ عن وجهي. قلت، اغرب عن وجهي!".

بدأت الطفلة تنتحب.

قال الرأس:

"ربما وُلِدت بطريقة مختلفة عن تلك الطفلة، لكنني خليقتكِ أيضًا، يا ماما".

"ألم أقُل لكَ إنني لم أخلق أمثالَكَ أبدًا؟ أخبرتك أن ترحل. لو رفضت الرحيل، فسوف أفعل كل ما بوسعي حتى أجدك وأدمِّرك تمامًا!".

أغلقت غطاء المرحاض بعنف، ودفعت المياه بداخله، ثم واست طفلتها الباكية، ومسحت عنها ما تبقَّى من رغاوي الصابون.

ما إن اقتحم الرَّأسُ حياتها مرة أخرى، استمرَّ في الظهور مثل طفح جلدي مريع. يمكنها الإحساس به يحدِّق فيها من ورائها كلَّما ضغطت على صندوق طرد المياه، وراحت تغسل يديها. يمكنها رؤية شيء أصفر ورمادي في زاوية عينيها، لكن عندما تستدير بسرعة لتُلقي نظرة، يكون قد تلاشى، تاركًا فقط خُصلات قليلة من الشَّعر في قعر المرحاض تفضح وجوده.

عاد إليها الإمساك والتهاب المثانة مرة أخرى. كان أكثر ما تَقلَق عليه هو ابنتها. هل يغار الرأس من ابنتها؟ هل سيؤذي الرأس الطفلة؟ مجرَّد تَصوُّر أن تلمح الطفلة الرأس لا يُحتمل. صارت عصبيَّة كلَّما رغبت الصغيرة في الذهاب إلى الحمام. عقدت كفَّيها وقد عزمت على تدمير الرأس.

توجَّهَت المرأة إلى الحمام، وقضت حاجتها، ودفعتِ المياه في المرحاض. وانتظرت الرأس حتى يظهر فيما تغسل يديها. عندما برز الشيء الأصفر والرمادي ببطء من قعر المرحاض، قالت المرأة بصوت خفيض:

"لديَّ ما أقوله لك".

فرغت من غسل يديها، وجثت على ركبتيها أمام المرحاض، ونظرت في عيني الرأس مباشرة.

"أنت...".

تردَّدَت المرأة. انتظر الرأسُ.

انقضَّت المرأة على الرأس. أمسكت به، وانتزعته بيُسرٍ من المرحاض، ولفَّته داخل كيس بلاستيكي. ألقت الكيس في حاوية القمامة خارج البيت. ثم عادت مرتاحةَ الفؤاد إلى عيش حياتها.

الهدنة لم تَدُم طويلًا. كانت في الحمام مع الطفلة عندما حدث ذلك. باتت الطفلة الآن كبيرةً في السن بما يكفي لاستعمال المرحاض بمفردها. يمكن لابنتها أن تتعامل الآن مع العملية برُمَّتها إلى حدٍّ كبير إنْ ذكَّرتها المرأة بكل خطوة، من إنزال ملابسها الداخلية، والجلوس على المرحاض، وقضاء حاجتها، ومسح مؤخِّرتها، وارتداء ملابسها مرة أخرى، ودفع المياه في المرحاض، وغسل يديها. ومع ذلك، لم تكن ابنتها طويلةً بما يكفي بعدُ حتى تصل إلى الحوض؛ لذا كان على المرأة أن ترفعها إلى الحوض لتغتسل بالصابون. ذات يوم، بينما كانت المرأة تفعل ذلك، ظهر شيءٌ مألوف، أصفر ورمادي اللون.

"ماما".

استدارت المرأة، ووقعت عيناها على الرأس. ثم أنهت شطف يدَيْ الطفل من رغوة الصابون، وجفَّفَتها بمنشفة، وأخرجت ابنتها من الحمَّام.

"ماما".

"ما معنى هذا؟ كيف عُدت؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

التوى فمُ الرأس، على نحوٍ يكاد لا يُرى، فيما يشبه ابتسامة ساخرة:

"توسَّلتُ إلى حارس البناية حتى يضعني في مرحاضه، ويدفع المياه داخله".

لم تَقُل المرأة شيئًا وهي تضغط على السِّيفون.

دار الرأس في تيار المياه المتدفق، واختفى في الفجوة المظلمة.

خارج الحمام، كان لدى الطفلة الكثير من الأسئلة. قالت المرأة لطفلتها:

"كان ذلك ما نسمِّيه بـ 'الرأس'. لو لمحتِه مرة أخرى، فقط ادفعي المياه في المرحاض".

امتلك الرَّأسُ من الوقاحة ما يكفي حتى يظهر أمامها وأمام طفلتها، ويناديها "ماما". قرَّرَت أن تتخلَّص منه نهائيًّا.

انتزاع الرأس من المرحاض مجدَّدًا كان سهلًا. لكن بينما كانت على وشك أن تلفَّه داخل كيس بلاستيكي، وترميه إلى الخارج مع القمامة، تردَّدَت. فكَّرَت أن الرأس يستطيع الحديث؛ لذا لو ألقته بالخارج هكذا، فبوسعه أن يطلب من أحدهم أن يضعه داخل مرحاض، ويدفع المياه داخله كالمرة السابقة. كان عليها أن تتأكَّد من أن الرأس لن يستطيع الكلام.

دسَّت المرأة الرأس داخل حاوية بلاستيكية صغيرة، ووضعتها في بقعة مُشمِسَة على الشُّرفة. فكَّرَت أنه دون مياه أو المزيد من البراز، سيجفُّ الرأس في نهاية المطاف، ويموت. لم تستطع التفكير في أي طريقة أخرى، ولم تحاول إهدار أي جهد إضافي على هذا الموضوع.

حذَّرَت زوجها وطفلتها من عدم الاقتراب من الحاوية. لم يكن زوجها مضطرًّا إلى الخروج إلى الشرفة على أية حال، لكن الطفلة كانت فضوليَّةً. كانت ابنتها تتحرَّق رغبةً في أن تختلس النظر وتتأمَّل

وتتحدَّث إلى الرأس. وبَّخَت المرأةُ ابنتَها توبيخًا قاسيًا، وأخفت الحاوية وبداخلها الرأس.

حصل الزوج على إجازة، وسافر ثلاثتهم في رحلةٍ عدَّة أيام. عند رجوعهم، دخلت المرأة إلى الحمام. كانت تغسل يدها عندما ظهر شيء وراءها. التفتت. أغلقت غطاء مقعد المرحاض بعنف، ودفعت المياه.

وبَّخَت المرأة ابنتها:

"أنتِ مَن فعلتِ ذلك، أليس كذلك؟! أخبرتكِ مرَّاتٍ عدَّة أن لا تلمسيها".

أخذت الطفلة تبكي. تدخَّل الزوج في تلك اللحظة.

"أوه، ذلك الشيء في الحاوية؟ طلب مني أن أضعه في المرحاض ففعلت. هل ارتكبت خطأ؟".

تنهَّدَت المرأة، وحكت له القصة كلها.

ظلَّ زوجها رابط الجأش.

"لماذا تضخِّمين الأمر؟ اتركيه وشأنه فحسب. لماذا تتصرَّفين وكأنه سيزحف خارجًا من هناك ليلًا، ويفقس بيضًا في أرجاء المنزل".

***

حلمت المرأة أنها داخل حجرة بيضاء مُبلَّطة. فجأة، برز الرأس من ورائها. استدارت المرأة في صدمة. ثم برَزَ الرأس من تجاه آخر. ظلَّ يبرز من كل مكان. بجوارها، لم تَكُفَّ ابنتها عن الإشارة إليه. "الرأس! الرأس!". توسَّلَت المرأة إلى زوجها حتى يساعدها. كان يجلس على جانب الآخر منها، يقرأ جريدة.

"إنه لا شيء. اتركيه وشأنه فحسب".

ارتـدَّت كلماتـه عـن بـلاط الأرضيـة، وتَـردَّد صداهـا عـبر الجـدران. "اتركيـه وشـأنه. إنـه لا شيء. اتركيـه وشـأنه. إنـه لا شيء".

كانـت رافعـة صنـدوق طـرد الميـاه قـرب السـقف. مـدَّت يدهـا إليهـا ببعـض المشـقَّة، وبالـكاد تمكَّنَـت مـن شَـدِّها. دارت الميـاه كالدَّوَّامـة حـول زوجهـا، وطفلتهـا، والـرأس. انجذبـت المـرأة داخـل فجـوة مظلمـة برفقـة ابنتهـا التـي لا تـزال مبتهِجـة، وزوجهـا الـذي لا يـزال يقـرأ جريـدة برباطـة جـأش. تشـبَّثَت بطفلتهـا بـكل مـا أُوتيـت مـن قـوة حتـى تهـرب مـن الدوامـة. تحـدَّث صـوتٌ مألـوف في أذنهـا:

"ماما؟".

خفضـت عينيهـا إلى طفلتهـا. فـوق جسـم ابنتهـا الضئيـل، وعنقهـا الرقيقـة قَبَـعَ الـرَّأسُ.

أيقظتهـا الصدمـة. سـارت بخُطًـى متعثِّرة إلى داخـل الحـمام. جلسـت أمـام المرحـاض، وأمعنـت النظـر في البيـاض النقـي والتـام لقعـر المرحـاض، والميـاه الصافيـة المتراكمـة بداخلـه، والفجـوة الداكنـة في قاعـه. تخيَّلـت الـشيء بالداخـل، والمـكان الـذي تقـود إليـه الفجـوة.

لكـن منـذ أن حاولـت تجفيـف الـرأس، لم يتجسَّـد لهـا مـرة أخـرى أبـدًا. ومـع مُـضيِّ الوقـت، لم تراودهـا أي كوابيـس عنـه. وهكـذا واصَلَـت المـرأةُ حياتهـا بسـلام؛ تطبـخ الطَّعـام لزوجهـا وطفلتهـا، وتجلـي الصحـون، وتغسـل الثيـاب، وتنظـف البيـت، وتتسـوَّق، وتنخـرط بنفسـها عمومًـا في سـنواتٍ مـن أيـامٍ مسـالمة وروتينيـة. ترقَّـى زوجهـا في شركتـه، ليـس أسرع أو أبطـأ مـن أقرانـه. لم يكـن الرجـل عطوفًـا أو دافئًـا بشـكل خـاص، لكنـه كان يحـرص عـلى جلـب كعكـة إلى المنـزل في عيـد ميلادهـا أو عيـد ميـلاد طفلتيهـما، ويزينهـا بالشـموع. ذهَبَـت طفلتهـا كالآخريـن إلى المدرسـة الابتدائيـة فالإعداديـة، وصـارت الآن طالبـة ثانويـة. ولم تكـن درجـات الطفلـة ممتـازة أو رديئـة عـلى نحـوٍ خـاصٍّ. كانـت لطيفـة المحيَّـا، غـير

أنها لم تكن طاغية الجمال. كانت طالبةً ثانوية تقليدية، تجد صعوبة في الاستيقاظ صباحًا، وتُعجَب بالمشاهير، وتتضايق من رؤية البثور على وجهها في المرآة.

"تعالي وتناولي الإفطار وإلا ستتأخَّرين".

"ماما، هل رأيتِ ربطة عنق زيِّي المدرسي؟".

"علَّقتها على مقبض باب حجرة نومكِ. تناولي الطعام على مهل وإلا ستعانين من مغصٍ في معدتكِ".

"حسنًا، أوه، على فكرة، شاهدت البارحة رأس شخص في المرحاض".

"حقًّا؟! ماذا حدث؟".

"دفعت المياه في المرحاض حتى اختفى".

"جيد. تريدين المزيد من اليخنة؟".

"لا، لقد شبعتُ. لكن بالنسبة للرأس، أعتقد أنني شاهدته من قبل. هل توجد أي طريقة من أجل التَّخلُّص منه؟ إنه خبيث".

"انسَيْ أمره. فقط اغمريه بالماء ثانية. هل انتهيتِ؟".

"نعم، أراكِ لاحقًا".

"أخذتِ صندوق غدائكِ معكِ؟".

"أجل، وداعًا، يا ماما".

"اقضي يومًا جيدًا".

انغلق الباب.

شرَعَت المرأة في تنظيف المائدة.

التحقت ابنتها بالجامعة. في تلك الأثناء، بدأت تلاحظ التجاعيد التي غزت وجهها، وبشرتها المترهلة، والبقع الخشنة في مواضع كانت

مَلساء من قبل. أعطت المرأة ابنتها طلاء شفاهٍ ناسَبَ الفتاةَ جيدًا، غير أن الابنة لم تَعُد فتاةً، بل امرأة شابَّة. أعادت المرأة اكتشاف ملامح وجهها حين كانت أصغرَ سنًّا، في وجه ابنتها المألوف والغريب عليها في الآن نفسه، وقد انتابها خليط من الدهشة والفخر والحب والغيرة. عندما قصَّت ابنتها لأول مرَّة شَعرَها المجعَّد وسوَّته، وصبغته باللون الأرجواني، وقفت المرأة أمام مرآة حيث لا يراها أحد، وعبثت بتجاعيد شعرها المتقصِّف؛ قُبَّعة من شَعر أشبه بفرو كلب "بولدي". كان عليها أن تصبغه بالأسود بين فينة وأخرى حتى تُخفِي الخصلات البيضاء التي أخذت تستعمره.

باتت المرأة تقضي المزيد من الوقت وحيدة في المنزل. رُقِي زوجها إلى منصب تنفيذي، وعاش تحت جبل هائل من العمل، وانشغلت الابنة أيضًا بحياتها الخاصة، وهكذا لم يَعُد أفراد العائلة يرى كلٌّ منهم الآخر في أثناء اليوم. من وقتٍ لآخر، يرجع الزوج إلى المنزل أبكَرَ قليلًا من المعتاد، ويقضي الاثنان أمسية هادئة معًا، لكن لم يخوضا غمار رومانسية جامحة من بداية تعارفهما، وما امتلكا الكثير من الذكريات المشتركة حتى يسترجعاها. قضيا أغلب سنوات زواجهما في حالة من الانفصال العاطفي، ولم يَعُد بوسعهما حقًّا أن يبدآ في بذل الجهد الآن حتى يصيرا حميميَّين. يتناولان العشاء عادة في صمت، ويشاهدان التلفاز في صمت، ويخلد زوجها إلى الفراش أولًا في صمت. حينها، تشاهد المرأة التلفاز بمفردها. في الأيام التي يرجع فيها زوجها أو ابنتها في ساعة متأخرة، أو حتى بعد أن يكون فردًا العائلة الآخران قد استغرقا في النوم منذ مدة طويلة، تجلس المرأة وتشاهد التلفاز حتى ينقطع الإرسال ويُذاع النشيد الوطني. تفعل ذلك لأنها لا تمتلك أي شيء آخر حتى تفعله لكن الأهم من ذلك السبب، اعتقادها لو أنها ركَّزَت بقوة كافية على الشاشة، فربما تتقلَّص تلك الفجوة الصغيرة والغريبة التي ظهرت في قلبها. تبدو تلك الفجوة فارغة أحيانًا، وممتلئة

أحيانًا أخرى، ومُرَّة ومُوجِعة تارة أخرى أيضًا. تفكر أن هذه الفجوة الصغيرة الغريبة - لو تخلَّت عن يقظتها ودفاعاتها- ربما تتضخَّم فجأة، وتلتهمها؛ لذا واصلت مشاهدة التلفاز، وهي تحاول تصفية قلبها وذهنها فيما تحدِّق في التتابع عديم المعنى للمَشاهد على الشاشة. لكن بئر أفكارها تقبع فوق ينبوع عميق، ومهما حاوَلَت أن تقمعها، لا تكُفُّ أفكارها عن الفيضان فوق حافة البئر...

ثم ذات ليلة، توجَّهَت إلى الحمام. كانت تشاهد التلفاز كعادتها، وكانت بمفردها في المنزل كالعادة. قضت حاجتها، وأغلقت غطاء المرحاض، ودفعت المياه. وبينما تغسل يديها، حدَّقَت في انعكاسها في المرآة. جفون مترهِّلة، وتجاعيد، وبشرة جافَّة وخشنة. وخصلات شعر بيضاء تبرز خارجة من بين جذور شعرها المصبوغ. كانت تعبث بشعرها وهي تفكر أنها ستحتاج إلى موعد آخر مع صالون التجميل من أجل شعرها قريبًا، عندما رأت عبر المرآة، غطاء مقعد المرحاض يتحرك.

كليك.

ارتفعت يدٌ مُبلَّلة من داخل المرحاض، ودفعت الغطاء لتفتحه. ثم ظهرت يدٌ مُبلَّلة أخرى. أمسكت اليدان بحافة المرحاض. شاهدت بينما رأس بشَعرٍ كثيف وناعم بفعل المياه، يرتفع من قعر المرحاض. فرَدَت يدان رقيقتان أصابعها النحيفة والطويلة، ودفعت في مقابل حافَّة مقعد المرحاض، ليظهر من تحتهما كتفان ضيِّقتان بعظام بارزة، وذراعان نحيلتان. امتدَّ الشَّعر الأسود الكثيف إلى أسفل الظهر الأملس، متبوعًا بالخط الحسي للخصر الممشوق، والأرداف البيضاء الشهوانية، والفخذين المشدودتين. ارتفعت رُكبَة، واستقرَّت قَدمٌ فوق حافة مقعد المرحاض. كانت الساق بيضاء وطويلة ونحيلة. وكان حجم باطن الساق الحجمَ الصحيح تمامًا، وانقبضت عضلاتها

قليلًا مع رفع القدم، والكاحل منحوتًا بمثالية. ظهرت القدم الأخرى، ولمست أصابعها الجذابة برفق أرضية الحمام. سطع الجسد المبلَّل والعاري في الضوء الأصفر الخافت للحمام.

ظلَّت المرأة تحدِّق في المرآة. استدارت الشخص التي خرجت من المرحاض، ببطء. رأت المرأة وجهَ شبابها ينعكس بجانب وجهها المترهل. ذاتها الصغيرة، تبتسم إلى ذاتها العجوز.

استدارت الذات العجوز ببطء حتى تواجه الذات الشابة.

الرأس -الذي لم يعُد رأسًا، بل جسمًا كاملًا- وقف ساكنًا. حدَّقَت الذات العجوز في وجه شبابها، وجهٍ استمرَّ في الابتسام لها.

"ماما". كانت نبرة الصوت حادَّة قليلًا، ولكن اختفت الغرغرة القديمة، والصوت المزعج الأشبه بشخص يغرق.

"هل تتعرَّفين عليَّ؟".

"حسنًا..." كان صوتها يئنُّ مثل مفصل صدئ.

"كيف حالك يا ماما؟".

لم تَقُل المرأة شيئًا.

"أتممت أخيرًا تشكيل جسمي. وكما وعدتكِ، سأغادر وأعيش بطرائقي الخاصَّة. أنا هنا لأقول لكِ وداعًا، وأسألكِ طلبًا أخيرًا".

كلمة واحدة أثارت انتباهها: طلبًا.

"لا تقلقي". ابتسَمَ الرأس كأنه يطمئنها. "لا يمكنني الخروج إلى العالم عاريًا الآن، أليس كذلك؟ كان تركيزي كله منصبًّا على إكمال تشكيل جسمي، مستخدمًا فقط ما كنتِ تعطينني إيَّاه؛ لذا لا أملك أي وسيلة لحياكة ثوب أغطِّي به نفسي. هذا طلبي الأول والأخير. لو تستطيعين فقط أن تمنحيني ثوبًا واحدًا، فسوف أستر عورتي، وأرحل".

فكَّرَت المرأة في الثياب المعلقة في خزانة ملابسها، واستدارت كي تغادر الحمام. أوقفها الرأس.

"لا تتعبي نفسكِ. الثياب التي ترتدينها الآن أكثر من كافية".

ردَّت المرأة:

"عمَّ تتحدَّث؟ هل تريد مني أن أخلع ثيابي من أجلك الآن؟ على بلاط الأرضية المتجمِّد؟ عليكَ أن تقبل بما أعرضه عليكَ. لماذا أنت مُتطلِّبٌ للغاية؟".

"ماما، أرجوكِ، اهدئي".

حدَّقَ الرأس فيها، تعبير بالحنين يرتسم على وجهه اليافع.

"لم أتلقَّ منكِ أبدًا أي شيء سوى ما كنتِ تتخلَّصين منه. هذا طلبي الأول والأخير. لو أعطيتِني الثياب التي ترتدينها الآن، فسوف أحتفظ بامتنانٍ بحرارتكِ وعطركِ معي إلى الأبد، وحتى يوم مماتي".

حدَّقَت المرأة في ذاتها الأصغر سنًّا. في جسمها الأكثر شبابًا. في هذا الكيان الذي لم يُخلَق عبر رحم ومشيمة، بل من خلال القولون والبراز. حدَّقَت إلى الشيء الذي ظلَّ مختبئًا داخل حفرة مظلمة في رخام المرحاض الأبيض طيلة تلك المدة، ويعذِّبها، وكان الآن يطالب باستقلاليته. لو كان هذا وداعًا، ولن يلتقيا حقًّا مرة أخرى أبدًا، فما الغضاضة في التنازل عن مجموعة من ثيابها؟

بينما تُجفِّف ذاتها الشَّابَّةُ جسمها بمنشفة، تجرَّدَت الذات العجوز من ثيابها. لم يكن رداؤها فاخرًا، مجرد كنزة صوفية، وفستان بسيط، وحمَّالة صدر، ولباس تحتي، وجوارب. وهذا كل شيء. شاهدت -عاريةً- ذاتَها الشَّابَّة تلتقط كل قطعة، وترتديها. اللباس التحتي، وحمَّالة الصدر، والفستان، والكنزة. بدا وكأن ذاتها الشَّابَّة تتلذَّذ بكل

قطعة. وأخيرًا، ارتدت الجوارب، وأقفلت الأزرار. شعرت ذاتها العجوز بقشعريرة تسري عبر جسمها العاري.

"حسنًا، إذًا. الآن وقد ارتديت ملابسي، اغربي عن وجهي. أحسُّ بالبرد، وأحتاج إلى ارتداء ثياب أخرى".

استدارت مجدَّدًا حتى تغادر الحمام.

بخفَّة، اعترضت ذاتها الشابة الطريق بينها وبين الباب.

"أين تعتقدين أنكِ ذاهبة؟ مكانكِ ليس هنا". استطردت وهي تشير إلى المرحاض: "بل في الداخل هناك".

صرَخَت الذات العجوز:

"عمَّ تتحدثين؟ ألم أمنحكِ ثيابي عندما طلبتها؟ ألم أقُم بكل شيء أخبرتني به؟ لماذا أنتِ ناكرة للجميل هكذا؟ كفاكِ جنونًا. اغربي عن وجهي. اغربي عن وجهي!".

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه ذاتها الشابة، امتدَّت من أذن إلى أخرى.

"ذلك صحيح. أعطيتني كل شيء أخبرتكِ به، ولا يتبقَّى منكِ الآن سوى كتلة لحم هَرِمة. لمدة طويلة من الزمان، تحمَّلتُ البقاء في الأسفل هناك، بينما أنتِ تستمتعين بالحياة في الخارج، كل هذه المدة. فاض بي الكيل. والآن حان دورك لأن تهبطي داخل المرحاض. سآخذ مكانكِ، وأستمتع بكل شيء أُتيحت لك الفرصة أن تستمعي به!".

امتلأت الذات العجوز بالسخط.

"يا لكِ من جاحدة للجميل. وماذا يمكن أن يستمتع به المرء في الخارج هنا؟ حياتي مشابهة لحياة الآخرين، وألم تُفسِدي بملاحقتكِ وتعذيبكِ لي، القدرَ الضَّنينَ من السعادة التي حظيت بها؟ تحمَّلتُ كل القرف والكراهية، وجعلتك ما أنتِ عليه اليوم. لو كان لديكِ ذَرَّةٌ

مـن امتنـانٍ عـلى مـا فعلتـه مـن أجلـك رغـم كل شيء وضعتنـي خلالـه، فاسـتعملي جسـمك المكتمـل حتـى تختفـي مـن حيـاتي تمامًـا! اغـربي مـن وجهـي!".

تلاشـت الابتسـامة العريضـة مـن عـلى وجـه الـذات الشـابة. وبعيـونٍ تترقـرق بالدمـوع، تحدَّثَـت ذاتهـا الشـابة عـبر أسـنان مُطبَقـة، لكـن بنـبرة مضبوطـة وبطيئـة وواضحـة:

"امتنـان؟ أي امتنـان؟ أي امتنـان يجـدر بي أن أشـعر بـه تجاهـكِ؟ هـل طلبـت منـكِ أن تنجبينـي؟ هـل اعتنيـتِ بي بعـد إنجابـكِ لي أو حتـى قلـتِ لي كلمـة طيبـة، أنـا نَسـلُكِ الـذي لا يُمكنـكِ إنـكاره؟ ولدتنـي حتـى عندما لم أرغـب في ذلـك، ثـم مـاذا؟ ألم تحـاولي عنـد كل منعطـف تدمـيري مدفوعـةً بكراهيتـكِ واشـمئزازكِ منـي؟ مـاذا وهبتنـي باسـتثناء بـرازك وفضلاتـكِ؟ كان عـليَّ أن أتكبَّـد كل أنـواع الإهانـات والإذلال حتـى أحصـل عـلى مـا احتجـت إليـه حتـى أُكمِـل جسـمي البـشري. لكـن الآن، جسـمي مكتمـل. هـذا اليـوم الـذي كنـت أنتظـره بفـارغ الصـبر في تلـك الحفـرة المظلمـة طيلـة حيـاتي. والآن وقـد أصبحـت 'أنـتِ'، فسـوف أحتـلُّ مكانـكِ، وأعيـش حيـاة جديـدة مغايـرة".

اقتربـت الـذات الشـابة مـن العجـوز. قبضـت يـدان شـابَّتان وقويتـان عـلى كتفـين وعنـقٍ أصابهـا الهـرم. وحـشرت اليـدان الشَّـابَّتان رأس العجـوز داخـل المرحـاض، وبسرعـة الـبرق، رفعتهـا مـن كاحليهـا. ودفعـت بيُـسرٍ شـديد الجسـم العجـوز داخـل المرحـاض. أغلقـت الـذات الشـابَّة غطـاء المرحـاض، وضغطـت عـلى صنـدوق الطـرد. واندفعـت الميـاه بداخلـه.

الإصبع المتجمِّدة

تفتح عينيها. ظلام. ظُلمة حالكة. كأنَّ أحدهم أسقط ستارة سميكة سوداء فوق عينيها. ولا حتى بصيص من الضوء يُمكِن رؤيته. هل صارت عمياء؟

تحاول أن تُحرِّك يديها أمام وجهها. يبدو أن ثمة شيئًا باهتًا ومشوَّشًا هناك. لكن لا شيء يمكنها تمييز ملامحه بوضوح. بعد عدة محاولات أخرى لمعرفة كُنه الشيء، استسلمت. كان الظلام ببساطة كثيفًا جدًّا. أي ساعة من اليوم يمكن أن تكون حالكة العتمة هكذا؟ وأين في العالم...

تفرد ذراعها، وتتلمَّس الفراغ أمامها.

شيء مستدير... صلب.

عجلة قيادة.

تدسُّ يدها وراء العجلة. موضع مفتاح إشعال المحرك. مفاتيحها لا تزال بداخله. تدير المفتاح. لا استجابة. المحرّك هامد.

تحرّك يدها اليسرى فوق الجانب الأيسر من العجلة. تُمسِك بشيء ملمسه يخبرها أنه عصا صُلبة. تسحبها إلى أعلى. كان من المفترض أن يُضاء السهم الأيسر فوق لوحة القيادة. لكن لا ضوء يُرى. تسحبه إلى أسفل. لا ضوء أيضًا. تتحسَّس طريقها إلى طرف الرافعة، وتدير مقبض إضاءة الكشافات الأمامية. وبالطبع، لا يشتعل الضوء.

ماذا حدث؟

تحاول أن تتذكَّر. لكن ذكرياتها مظلمة كالمشهد الماثل أمامها.

"مُ..ع.. لِّ.. م.. ة".

صوت امرأة، رفيع وواهن. رفعت عينيها. يناديها الصوت مجدَّدًا:

"معلمة".

تميل برأسها تجاه الصوت، وتصغي بانتباه، محاولةً أن تُحدِّد مصدره. لكن الصوت خافت جدًّا، حتى إن اتجاهه غير واضح.

"معلمة لِي".

تجيب:

"أجل".

لا تستطيع تمييز من أين يأتي الصوت، ومَن المتحدث؟ أو إنْ كان الصوت ينادي عليها حقًّا. لكن سماع صوت شخص آخر في هكذا ظلام مطمئنٌ حتى إنها تجد نفسها تردُّ عليه قبل أن تستطيع منع نفسها.

"هل أنتِ هناك؟ مَن أنتِ؟ أنا هنا!".

"مُعلِّمة لِي، هل أنتِ على ما يرام؟".

يأتي الصوت من جهة اليسار.

"معلمة لي، هل أنتِ مصابة؟".

تحاول تحريك ذراعيها وساقيها. لا تشعر بأي ألم في أي مكان محدَّد.

"لا".

يقول الصوت الخافت، الذي لا يزال يأتي من جهة اليسار:

"إذًا اخرُجي من السيارة، بسرعة".

"لماذا؟ ماذا حدث؟ أين أنا؟".

يشرح الصوت بصبر:

"نحن في وسط مستنقع. والسيارة تغرق شيئًا فشيئًا. أعتقد أنه يجدر بكِ الخروج من السيارة".

تحاول النهوض. يضغط حزام الأمان على جذعها. تتبع الحزام بيدها حتى خصرها، وتضغط على زر تحريره، فينفكُّ حزام الأمان عنها. استدارت إلى اليسار، وتلمَّسَت طريقها حولها بحثًا عن مقبض الباب. يدها الآن فوق إطار النافذة. المزيد من التلمُّس. تُحرِّك يدها إلى أسفل.

"يجب أن تُسرِعي يا معلِّمة".

مقبض الباب. تسحبه. لا ينفتح الباب. تدفعه.

"معلِّمة لِي، أسرِعي!".

"الباب لا ينفتح".

لا تعرف ما الذي يجب أن تفعله.

يأمرها الصوت الرفيع:

"الباب مُغلَق من الداخل. يجب أن تفتحي القفل أولًا".

تتحسَّس بيدها حول مقبض الباب من جديد حتى يمكنها أن تشعر بنتوءات الأزرار. تضغط عليها، زرًّا تلو الآخر. مع ضغطها على الزر الثالث، تسمع تكَّة. الاهتزاز المقتضب الذي سرى عبر الباب كان مُرحِّبًا به كأنه المسيح المنقذ بشحمه ولحمه.

تسحب مقبض الباب ثانية. يبدو أن الباب ينفتح ببطء. لكنَّ شيئًا ما يعوقه.

تقول وهي تدفع الباب بكتفها: "الباب لن ينفتح".

يتحدَّث الصوت الرفيع قادمًا من جانبها مباشرة:

"ذلك لأن السيارة غاطسة في الوحل. دعيني أساعدكِ".

تحتَكُّ إصبع أحدهم بيدها التي تدفع الباب. ينفتح الباب قليلًا.

يقول الصوت الرفيع:

"بسرعة. اخرجي من هناك".

تمتثل إلى أوامر الصوت، وترفع ساقها اليسرى خارج السيارة أولًا، قبل أن تتذكر فجأة شيئًا.

"انتظري... انتظري لحظة".

تجثو في مقعدها، وتأخذ في التَّحسُّس بيدها تحت عجلة القيادة. الشيء الطويل على اليمين هو دواسة الوقود، والشيء العريض على اليسار المكابح. تمدُّ يدها اليمنى في المساحة أسفل الدَّوَّاسات. تستطيع الشعور بملمس السجادة الخشنة، والوحل الذي يلطِّخها. أما الشيء الذي تبحث عنه، فلا أثر له.

يقول الصوت الرفيع وقد بات مُتوتِّرًا:

"ماذا تفعلين؟ يجب أن تخرجي من هناك فورًا!".

"انتظري لحظة...".

تمدُّ يدها أبعد حتى تحت المقعد، وتشعر بقصبة معدنية رفيعة وطويلة. غالبًا الرافعة التي تعدِّل وضعية مقعد السائق؛ تحرِّكه إلى الأمام والخلف. تتحسَّس أسفلها. مرة أخرى، السجادة والوحل فحسب، بالإضافة إلى القليل من الغبار.

يمكنها أن تشعر بساقها اليسرى، الساق التي شقَّت طريقها خارج السيارة بالفعل، تبدأ في الارتفاع ببطء. باب السيارة يبدأ في الانغلاق، فارضًا ضغطًا على ساقها اليسرى.

يهتف الصوت:

"معلِّمة لي، أسرعي. لا أعرف عمَّا تبحثين، لكن اتركيه، واخرجي!".

"لكن... لكن...".

لا يمكنها حمل نفسها على أن تقول ما تريد.

"لكن ماذا؟ ما الأمر؟".

تقول، صوتها أقرب إلى الهمس: "شيء بالغ الأهمية".

تلمس يدها اليسرى بيمناها. لا يوجد خاتم في بنصر يدها اليسرى. تحسَّسَت يدها مقعد السائق حيث كانت تجلس، ثم مقعد الراكب.

سألها الصوت الرفيع مجدَّدًا:

"ما الشيء بالغ الأهمية؟ ما هو؟".

في حين يدها اليسرى مُمسِكة بإطار السيارة، تفرد ذراعها اليمنى إلى أبعد ما يمكنها الوصول تحت مقعد الراكب:

"خاتم...".

لا تصل يدها إلى المقعد الآخر. كل ما يمكنها الإمساك به ذراع ناقل السرعة، ومكابح اليد. تتمكَّن من مدِّ ذراعها أبعد قليلًا. لا خاتم في

مقعد الراكب المجاور. ربما بسبب وضعيتها الغريبة؛ لا تستطيع يدها الوصول إلى قاع المقعد الآخر.

تلمس الإصبع ذاتها يدَها اليسرى مجدَّدًا.

"هذا. هل هذا ما تتحدَّثين عنه؟".

تشعر بشيء صلب صغير ومستدير يحتكُّ بجلدها. تدسُّه أصابع أحدهم داخل بنصر يدها اليسرى.

تجلس، وتلمس يدها اليسرى بيمناها. لا تزال الرؤية مستحيلة، لكن الملمس الناعم، والسُّمك غير المريح إلى حدٍّ ما للشيء الذي يضغط على أصابعها يبدوان مألوفين.

يسأل الصوت الرفيع: "أهذا هو؟".

"أجل، كيف استطعتِ...؟".

يقول الصوت الرفيع بإلحاح:

"هذا هو، أليس كذلك؟ اخرجي بسرعة. الوضع خطِر".

تدفع الباب الآخذ في الانغلاق ببطء بيدها اليمنى. بالكاد تستطيع اعتصار جنبها الأيسر خارج الباب.

يحذِّرها الصوت الرفيع:

"احترسي. الأرض في الخارج ليست صلبة".

تهبط قدمها اليسرى على الأرض برطمةٍ. تدفع باب السيارة بيسراها، وتُمسك بإطاره بيمناها، وهي تدفع جسمها ببطء خارج السيارة.

تغوص قدمها مع كل خطوة في الأرض. الحفاظ على توازُنها عسير. في اللحظة التي توشك فيها أن تتعثَّر، تُمسك الأصابع المتجمدة بيدها اليسرى.

"احترسي. خطوة واحدة ببطء في كل مرة".

تفعل كما يوجِّهها الصوت؛ تأخذ خطوة مترددّة واحدة في كل مرة، وتتحرك مبتعدة أكثر فأكثر، عن السيارة. فجأة تتوقف.

يسألها الصوت:

"ما الخطب؟".

"هل... سمعتِ شيئًا؟".

سأل الصوت مُجدَّدًا:

"سمعت ماذا؟".

"أحدهم... اعتقدت أن أحدهم هناك".

سكت الصوت كأنه توقَّف في مكانه حتى يُنصت. ثم يقول:

"أنتِ مخطئة. نحن الاثنتان فقط هنا".

تصيخ السمع ثانية. ثمَّة صوتٌ مُبهَم. بعيد شيئًا ما، أو ربما بجوار أذنها مباشرة. صوت أشبه بصوت بشري أو رياح... يتلاشى الصوت ويعمُّ الصمت.

"أنا متأكِّدة من أن أحدهم كان هناك...".

يقول الصوت بعناد:

"لا أحد هنا سوانا. لو أنكِ تعتقدين أنك قد سمعت صوت شيء، فربما كان حيوانًا بريًّا".

تضغط الأصابع المُمسِكة بيدها اليسرى:

"أعتقد... أن علينا الهروب من هنا".

يبدو لها الصوت مرعوبًا.

يتسرَّب الخوف من أصابعها إلى يدها، ويتحرك أعلى ذراعها، وصولًا إلى قلبها. دون أن تتفوَّه بكلمة، تبدأ في السير.

تغوص قدماها أحيانًا في الأرض غير المستقرَّة، فتكاد تسقط. كلما حدث ذلك، تمسك الأصابع بيدها اليسرى بقوة لدرجة أنها تؤلمها، وتثبتها، وتساعدها على استعادة توازنها من جديد.

لا توجد طريقة لمعرفة إلى أين يذهبان، أو تحديد مكان وجودهما. الصوت الرقيق يبدو خائفًا مثلها، لكنها تشعر بأن الأصابع التي تمسك بيدها اليسرى يمكن الوثوق بها. وهكذا، قرَّرَت أن تثق بالصوت والأصابع في أثناء سيرهما معًا على الأرض المدلهِمَّة التي تغوص فيها أقدامهما، مُتَّجِهَتَيْن صوب المجهول. يقول الصوت مُطَمئِنًا: "آه، ها نحن ذا. الأرضية أصلب هنا".

في تلك اللحظة، استقرَّت قدمها اليسرى فوق أرض صلبة. ثم قدمها اليمنى.

يقول الصوت بحبور: "المشي هنا أسهل بكثير".

تقترح: "هل نرتاح قليلًا؟".

المشي إلى ما لا نهاية في ظلام حالك، عبر الطين الذي كانت قدماها تغوصان فيه، مرهقٌ للجسد والروح.

دون انتظار إجابة، جلست فوق الطريق. صاحبة الصوت الرفيع تجلس بجانبها. لا تستطيع رؤيتها، لكنها تشعر بأنها جالسة أيضًا.

يسألها الصوت الرفيع بحذر: "هذا الخاتم. لا بُدَّ أنه هامٌّ جدًّا بالنسبة إليكِ؟".

تداعب الجسم المستدير والصلب والناعم في إصبع يدها اليسرى.

"نعم".

يسأل الصوت الرقيق مرة أخرى، لا تزال نبرة الحذر تتخلَّله. "أهو هام حقًّا؟".

"حسنًا... أعني...".

تستمرُّ يدها في لمس بنصرها.

تتذكَّر يدًا ضخمة دافئة... ذكريات تلك اليد ملفوفة حول يدها، ووجه مألوف لطالما سرَّتها رؤيته على الدوام، يا لها من بهجة، يا لها من سعادة... شيء من هذا القبيل. شيء هام ونفيس، مثل...

لكن كلَّما حاوَلَت تَذَكُّر هذه الذكريات، تتهرَّب منها، ومثل آخر أشعَّة الشمس وقت الغروب، تختفي تارِكةً وراءها أثر دفئها. الشيء الوحيد الذي يمكث في عقلها، ويسيطر عليها ويغلِّفها منذ أن فتحت عينيها هو الظلام.

بينما تلتزم الصمت، يأخذ الصوت الرقيق يعتذر إليها.

"أنا آسفة، لم أقصد التَّطفُّل...".

"أوه... لا بأس".

يداهمها شعور بأن ثمة شيئًا خاطئ.

"أنا.. فقط.. لا أستطيع التذكر.. ذهني مشوَّش جدًّا..".

يبدو الصوت الرفيع قلقًا وهو يقول:

"أوه، لا. هل أُصِبت؟".

"... لا، لست مريضة على الإطلاق".

"دعيني أرى".

يمكنها الشعور بالأصابع تلمس جبهتها وفروة شعر رأسها.

يسأل الصوت الرفيع:

"هل يؤلِمكَ هذا؟".

"لا".

نقرت الأصابع على صدغيها.

"ماذا عن هنا؟".

"لا ألَمَ أيضًا...".

تنهَّد الصوت بارتياح:

"أوه، لا... يجب أن نخرج من هنا بسرعة، ونذهب إلى مستشفى في أسرع وقت ممكن".

تلمس رأسها ووجهها. لا يبدو أن هناك أي جروح، ولا يمكنها الشعور بأي نزيف. فقط الظلام يتغلغل داخل ذهنها.

تقول بعد أن تتحسَّس وجهها ورأسها مدَّةً من الوقت:

"حسنًا، اعذُريني، لكن أين نحن؟ وماذا حدث لنا؟".

"يا إلهي، ألا تتذكرين؟".

يبدو الصوت متفاجئًا.

تجيب بفتور:

"لا أتذكر أي شيء".

"ذهبنا إلى الحفلة التي أقامتها مُعلِّمتنا تشوي وزوجها الجديد للاحتفال بانتقالهما إلى منزل جديد، وتعرَّضنا لحادثٍ في طريق عودتنا... لا تتذكرين حقًّا؟".

"لا".

لا شيء، لا تتذكر أي شيء. تُدير رأسها دورة كاملة، بحثًا عن شيء ما. كل ما تجده هو الظلام، والمزيد من الظلام.

يبدو الصوت الرفيع مهزوزًا.

"معلمة... إذًا أنتِ.. أنتِ لا تتذكرين مَن أنتِ، أليس كذلك؟".

تتردَّد. ترغب في البكاء وقد صعقتها الحقيقة.

"لا".

"يا إلهي... ماذا سنفعل...".

يصبح الصوت أرفع وأرفع كأن قوته تُمتَصُّ منه.

"أنا المعلمة كيم.. أدرس الفصل الملاصق لفصلكِ. السنة السادسة الفصل الثاني.. ألا تتذكرين؟".

"لستُ مُتأكِّدة".

إذًا الصوت يناديها بـ"معلمة" لأنها معلمة مدرسة ابتدائية؛ تفكر في رأسها. يصير الصوت الرفيع مُلِحًّا:

"المعلمة تشوي درَّست السنة الخامسة معنا، لكنها استقالت في أعقاب زواجها... رافقت زوجها خارج سيول. كنَّا مَدعوَّتين إلى حفل انتقالهما إلى المنزل الجديد وهكذا ذهبنا معًا... لا تتذكَّرين حقًّا؟".

"لا أعرف".

"الأمر جِدُّ خطير".

تلامس الأصابع يدها اليسرى مجددًا. القبضة قوية كالعادة.

"يجب أن ننهض ونواصل التَّقدُّم".

"ماذا؟".

تقف على قدميها قبل أن تعرف ذلك. الصوت الرفيع عنيد:

"مُعلِّمة لِي، أعتقد أن إصاباتكِ أكثر خطورة ممَّا نظنُّ. لا يجب أن نهدر المزيد من الوقت.. يجب أن ننهض، ونعثر على مستشفى".

"أوه".

"هل أنتِ مجهدة للغاية؟".

"ماذا؟ أوه، لا، لست...".

"إذًا، فلنتحرك".

تشدُّ الأصابع برِقَّةٍ على يدها اليسرى. تبدأ في السير وراءها.

في أثناء مشيها، تسأل:

"إذًا كيف تعرَّضنا لهذه الحادثة؟".

يتنهَّد الصوت الرفيع:

"لا أعرف أيضًا... شربت أكثر من اللازم؛ ولهذا تولَّيتِ أنتِ القيادة".

"أوه"، يعيق إحساسها بالذنب كلماتِها مدَّةً. بعد برهة سكوت، تسأل مجدَّدًا:

"إذًا يعني هذا.. تلك السيارة... سيارتكِ، يا معلمة كيم؟".

لم يجب الصوت.

تتوقَّف عن طرح الأسئلة، وقد شعرت بتمنُّع الصوت عن الإجابة.

لكن بعد لحظات من المشي الصامت، لم تستطع كبح نفسها عن معاودة السؤال:

"أين.. أين يمكن أن نكون في اعتقادكِ؟".

"حسنًا...".

يبدو الصوت مترددًا.

تصرُّ:

"منزل المعلمة تشوي، أين هو بالتحديد؟ أقريب من هنا؟".

"حسنًا، الأمر أنني.. لا أعرف أيضًا.. استغرقت في النوم بمجرد أن غادرنا...".

خبا الصوت فيما يجيب.

تفكر أكثر قليلًا.

تسأل: "هل يتصادف أنكِ تحملين تليفونًا محمولًا معكِ؟".

لا يجيب الصوت هنيهة. ثم يقول:

"تليفون؟ لا، هل تحملين تليفونًا معكِ، يا معلمة لِي؟".

"كلَّا".

يسأل الصوت مجدَّدًا: "ألم تبحثي عنه أيضًا عندما كنتِ تبحثين عن خاتمكِ؟".

تستشعر نبرة عتاب في السؤال، فتجيب: "ما كان هناك أي شيء في المقعدين الأماميين".

"وماذا عن المقاعد الخلفية؟".

"كان الظلام حالكًا حتى أرى. وربما طار خارج النافذة لحظة الحادث".

لكن الصوت يبدو غير مُصدِّقٍ. تتوقَّف المحادثة مُجدَّدًا.

لم تمتلك أي فكرة كم مضى منذ غادَرَتا السيارة. لا يزال ظلام تام يحيط بهما من كل تجاه. والسماء تخلو من قمر أو حتى نجوم. تتساءل كم من الوقت ستضطران إلى الانتظار في تلك العتمة حتى طلوع النهار؟

تتساءل مترددة: "أين... أين بالتحديد كنا نتوجَّه؟".

لا يجيب الصوت.

تسأل ثانية: "هل... هل تعرفين حتى إلى أين نتجه الآن؟".

لا يتكلم الصوت هنيهة. ثم بدلًا من إجابة سؤالها، يقول:

"أشعر بالأسف عليها. أقصد المعلمة تشوي".

تتفاجأ بما تسمعه.

"عُذرًا".

يغمغم الصوت الرفيع كأنه لم يكن يقصد أن تسمعه:

"كم كانت سعيدة جدًّا عندما تزوَّجَت، كأنَّ العالم كله صار ملكها، لكنها تطلَّقَت في غضون عام، واستقالت من وظيفتها في المدرسة...".

تترقَّب. لكن الصوت لا يستطرد؛ لذا تسأل مجدَّدًا:

"... عمَّ تتحدثين؟".

يغمغم الصوت ثانية: "ليس ذنبَها أن زوجها تورَّط في علاقة غرامية.. ألا تعتقدين أن الأمر غير عادل؟ يقولون إن المعلم يجب أن يكون قدوة، لكنها امرأة أيضًا. في نهاية المطاف. امرأة مطلَّقة، وذلك...".

"عمَّ تتحدثين؟ ألم تخبريني قبل لحظات أن المعلمة تشوي عروسٌ جديدة؟".

يضحك الصوت الرفيع ضحكة رقيقة وهو يقول: "أفترض أنها كذلك إنْ لم يمضِ على زواجها سوى سنة فقط...".

"لكنَّكِ قلتِ قبل لحظات إن المعلمة تشوي قد تزوَّجَت للتَّوِّ، وأننا كنَّا في حفل بمناسبة انتقالها إلى منزل جديد...".

"أوه، معلمة لِي، لا بُدَّ أن رأسكِ تعرَّضَ إلى ضربة قوية حقًّا". يشرح الصوت الرفيع بصبر، "تطلَّقت المعلمة تشوي، وانتقلت إلى الريف للعيش وحدها، وكنا نزورها في غرفتها الجديدة، احتفالًا بمسكنها الجديد، وتعزية لها...".

بعد لحظة صمت، يبدأ الصوت في التمتمة من جديد. "العيش بمفردها حوَّلها إلى مدمنة كحول، شربها المُفرط...".

قالت حائرة: "لكن... لكن...".

"لا تتذكَّرين أي شيء حقًّا؟" يقول الصوت الرفيع ثم يتمتم، "أوه، يا إلهي، ينبغي حقًّا أن نأخذكِ إلى المستشفى بسرعة".

ترغمها الكلمات على إطباق شفتيها. لا يتبادلان أي كلام فيما يواصلان المشي.

تحدِّق في السماء بينما تسير. الظلام حالِكٌ لدرجة أنها لا تمتلك أي فكرة عمَّا إن كان الشيء الذي تنظر إليه هو السماء حقًّا. تفكِّر كيف أنها لم تختبر مثل هذا الظلام في حياتها قَطُّ. لو أنها تعرَّضَت حقًّا لحادث سيارة، فهذا يعني أنها كانت على طريق مروري، لكن كيف لا يوجد ولو مصباح شارع يتيم؟ أين هي؟ وإلى أين تسير؟

يتحدث الصوت الرفيع السائر أمامها مجدَّدًا: "معلِّمة تشوي، يا له من عار...".

لا ترد.

"أمُّها، واصَلَت البكاء.. إنها شابَّة جدًّا، وموتها بتلك البشاعة...".

تقاطعها بحدَّة: "عمَّ تتحدثين؟!".

يتنهَّد الصوت الرفيع. "شاهَدتِ الأمر بأمِّ عينيكِ، يا مُعلِّمة لِي، في الجنازة... أوه، صحيح، قلتِ إنك لا تتذكرين شيئًا".

تـردُّ بصرامـة عندمـا تلتقـط نـبرة السـخرية في النهايـة الممطوطـة لإجابـة الصـوت:

"لمـاذا تتحدَّثـين عـن جنـازة؟ قلـتِ سـابقًا إنـه كان حفـلًا بمناسـبة الانتقـال إلى منـزل جديـد".

يسـهب الصـوت في الحديـث بنـبرة اسـتهجان: "أفهـم فكـرة أن يُعجـب المـرء بشـخص لمـدة طويلـة، لكـن أن يُقـدِمَ عـلى الانتحـار بسـبب نـزوة.. كانـت شـابة جـدًّا حتـى تقـوم بذلـك، والعائلـة المسـكينة...".

"ألم تقـولي... ألم تقـولي إن المعلمـة تشـوي كانـت متزوِّجـةً"، تقـول مُجـبِرَةً صوتها المرتعـش عـلى أن يبـدو حازمًـا. "وأن زوجها تـورَّط في علاقـة غراميـة، وأنهـا تطلَّقَـت منـه... أليـس هـذا مـا قلتِـه قبـل قليـل".

يطلق الصوت الرفيع زفرة طويلة.

"مـاذا؟ عـمَّ تتحدثـين بحـقِّ الجحيـم؟ مـن المفـترض أنـكِ قـد اسـتوعبت الأمـر بالفعل".

"لكنـكِ قلـتِ ذلـك سـابقًا. قلـتِ في البدايـة إنـه كان حفـلًا بمناسـبة انتقـال المعلِّمـة تشـوي إلى منـزل جديـدٍ، عروسًـا، ثـم قلـتِ إنهـا كانـت غرفتهـا.. قلـتِ إنهـا كانـت متزوجـة ثـم تطلَّقَـت...".

"معلمة لي، إنك تتحدثين في دوائر مفرغة. هل يؤلمك رأسكِ كثيرًا؟".

تطبق فمها.

يغمغـم الصـوت الرفيـع بعـد مـدة صمـت. "معلِّمـة تشـوي، يـا لهـا مـن حكايـة مثـيرة للشـفقة، أليـس كذلـك؟ حتـى بنظاراتهـا ورديـة اللـون، كنـتِ لَتَعتقـدي أنهـا سـتلاحظ كيـف كان رجلهـا ينـام دون مواربـة مـع معلمـة الفصـل المجـاور لهـا. المدرسـة برُمَّتهـا كانـت تعـرف عـن العلاقـة، لكنهـا كانـت عنيـدة للغايـة في إنكارهـا... ثـم عندمـا سرَقَـت تلـك المـرأة

الأخرى رَجُلَها، استقالت من وظيفتها، وأثارت كل ذلك الضجيج حين هدَّدت بقتل نفسها". يتوقَّف الصوت الرفيع لحظة عن الحديث.

تنتظر قبل أن تقول: "إذًا فقد قتَلَت نفسها حقًّا...".

لا يمكنها الجزم إنْ كان الصوت الرفيع يقمع دمعةً أم ضحكة.

يداهمها ألمٌ حادٌّ يصاحب تمزُّق الثقة المقتضبة -لكن المتينة- التي شعرت بها في الصوت الرفيع. ينخر الخوف قلبها.

تتنحَّى بحذرٍ جانبًا، قليلًا إلى اليمين. الصوت الرقيق على يسارها يستمرُّ في الغمغمة كما لو أنها ليست موجودة.

"الحياة، حقًّا، غير عادلة. يولد الجميع بالطريقة نفسها، لكن بعضهنَّ يسرقن أزواج الأخريات، والبعض الآخر يُمتَصُّ دَمُه، ويُبصَق مثل العلكة المستعملة...".

لا تجيب.

الصوت الرقيق يستمر في الكلام.

"أليس مُضحِكًا؟ تعرَّض شخصان لحادث سيارة واحد، لكن أحدهما يعيش حتى يروي الحكاية، والآخر يموت على الفور...".

"أنتِ. مَن أنتِ؟"، لم تَعُد قادرة على كبت الرعشة في صوتها بعد الآن.

الصوت الرقيق يستمرُّ بلا مبالاة. "ألا تعتقدين أن هذا غير عادل؟ وحيدة وأنتِ حيَّة، ولا تزالين وحيدة وأنتِ ميتة".

تنفعل: "أين يوجد هذا المكان؟ ماذا حدث لي؟!".

الصوت الرقيق على يسارها يطلق قهقهة قصيرة. "الناس، كما تعرفين، مُضحِكون للغاية. ألا تعتقدين؟ لمجرد أنهم خائفون، يمضون

ويثقون في أي صوت قديم يسمعونه من حولهم، حتى عندما لا يستطيعون رؤية أي شيء".

تصرخ الآن. "ماذا تكونين؟ أين نحن؟! إلى أين تأخذينني؟!".

يستمرُّ الصوت الرقيق في القهقهة: "تتبعين صوتًا غريبًا في مكان غريب، لمجرد أنه يتظاهر بالطيبة...".

لا تستطيع التَّحمُّل بعد الآن. تبدأ في الركض.

يستمر الصوت في القهقهة وراءها، والتمتمة. "لا تعرف حتى مَن هي، أو إلى أين هي ذاهبة...".

تركض. لا تعرف إلى أين تتجه، لكنها تشعر ببعض الارتياح عندما يتراءى لها أن الصوت يبتعد، وهكذا تواصل الركض عمياء.

الأرض تحت قدميها تغور فجأة. تتعثَّر لحظيًا. بعد قليل من التَّرنُّح، تعتدل في وقفتها، وفجأة يملأ ضوء ساطع مجال رؤيتها.

عيناها، المعتادان على الظلام، تفقدان كلَّ وظائفهما في الوهج المفاجئ. تتجمَّد في مكانها أمام طوفان الضوء. للحظة مقتضبة، ترى بوضوحٍ أمامها مباشرة. ذاتها تجلس في سيارة خرجت عن السيطرة، وانبعجت تجاهها، ملامح وجهها متجمِّدة في خوف، ويداها تتشبَّثان -هامدَتَيْن- بعجلة القيادة حيث تُمسك مجموعة ثالثة من خمس أصابع، تبدو عادية على نحو سريالي ساخر، بعجلة القيادة في الفراغ ما بين يديها.

ثم عمَّ الظلام مُجدَّدًا.

"مُ.. عَ.. لِّ.. م.. ة".

صوت امرأة، رفيع وهشٌّ. تفتح عينيها. يناديها الصوت مجدَّدًا.

"مُعلِّمة".

الصوت من جديد. تحاول أن تدير رأسها نحو الجهة التي يأتي منها الصوت. لكن عنقها لا تتحرّك.

"معلّمة لي".

قبل أن تستطيع الحديث، يجيب صوت مألوف:

"نعم؟".

عندما تسمع صوتها يجيب الصوت الرفيع، تشعر كأنَّ جسمها بأكمله يتشنَّج أسفل السيارة. لكن جسمها لا يتحرك. ثمة وحلٌ رخو، أو شيء أشبه بالطين، لكنه ليس شيئًا تستطيع أن تعرف كُنهَه على نحو قاطع، يشقُّ طريقه بلزوجة وإصرار وشؤم فوق كاحليها، صاعدًا إلى ركبتيها، وفخذيها، وبطنها، ويزحف ببطء، لكن دونما توقُّف، إلى بقية جسمها. مكتبة سُر مَن قرأ

تستطيع سماع محادثة آتية من بعيد.

"هل أنتِ هناك؟ مَن أنتِ؟ أنا هنا!".

"معلمة لِي، هل أنتِ على ما يرام؟".

تبذل قصارى جهدها. ذراعها اليمنى محشورة تحت إحدى العجلات. بالكاد تنجح في تحرير يدها اليسرى. تتشبَّث بالمصدِّ الأمامي للسيارة. تضع كل قوتها في ذراعها اليسرى بينما تحاول أن تسحب نفسها من تحت السيارة. فجأة، تلامس أصابع باردة يدها اليسرى. تُكوِّر يدها على شكل قبضة. لكنَّ الأوان فات. انتزعت الأصابع الباردةُ الخاتم المستدير والأملس والصلب من يدها.

"لا..."، تحاول أن تهتف، لكن صوتها يتقهقر في حلقها.

يهمس الصوت الرفيع في أذنها: "تعرَّضَت لإصابة بالغة. لا يجب أن تتحركي حقًّا. معلمة لي!".

يتقطَّع الصوت برِقَّةٍ فيما يبتعد عن أذنها. تشعر باهتزازات طفيفة من السيارة الجاثمة فوقها.

"احترسي. خطوة واحدة بطيئة كل مرة".

يأتيها الصوت الرفيع من على مبعدة.

تفتح فمها. وتصرخ بكل قوتها وخوفها وسخطها ويأسها المكدَّس في قلبها.

يمكنها سماع الصوت يسأل: "ما الخطب؟".

"هل... سمعتِ شيئًا؟".

يسألها الصوت مجدَّدًا: "سمعت ماذا؟".

"أحدهم... اعتقدت أن أحدهم هناك...".

بالكاد تستطيع سماع خطوات أقدام ثقيلة تسير فوق أرض لينة. تصير المحادثة أبعد فأبعد.

تغوص السيارة. تستطيع سماع صوت عظامها تتهشَّم في مكان ما داخل جسمها. يجعلها الصوت تدرك بغرابة أنها لم تَعُد تشعر بالألم.

كل ما يسعها الشعور به هو الثِّقَل الهائل للسيارة فوقها بينما تواصل شدَّها إلى أسفل، داخل هاوية مجهولة.

الجنين[1]

يأبى النزيف التوقُّف. إنه اليوم الثاني عشر من دورة حيضها. عادة ما يبدأ تدفق الدم في الانحسار في حوالي اليوم الثالث، وينقطع في اليوم الخامس. لكن الآن مضت قرابة أسبوعين دون أيِّ علامة على التَّوقُّف. بدا أن التَّدفُّق الدموي يتناقص ليلًا، لكنه ما ينفكُّ يعود بغزارة دائمًا مع اقتراب الفجر.

بعد انقضاء أسبوعين، كان الدم لا يزال يتدفَّق؛ هل يجب أن تزور طبيب نساء؟ لكن عيادة طبيب النِّساء ليست مكانًا تستطيع امرأةٌ شابَّة غير متزوجة زيارته في كوريا دون أن يعتريها شعور غريب بالذنب.

(1) (العنوان الأصلي للقصة 몸하다، وهو فِعلٌ يعني: «أن يتجسَّد»، وقد يعني أيضًا: «أن تحيض»)

بعد عشرين يومًا، بدأ الدُّوار يصيبها، وصارت مجهَدةً جدًّا، حتى إن الأمر أخذ يؤثِّر على حياتها اليومية. صرَّت على أسنانها، وذهبت على مضض إلى الطبيب.

دهن طبيب النِّساء "چلًّا" لَزِجًا وشفَّافًا على بطنها، ومرَّر قرصًا معدنيًّا باردًا فوقه. غمغم فيما يحدِّق في شاشة عرض الموجات فوق الصوتية المغبَّشة، بالأبيض والأسود قبل أن يقول:

"لا أرى أي شيء غريب...".

مسحت الچل بقدر المستطاع؛ لم يَكُفَّ عن تلطيخ يديها وملابسها مهما مسحته بقوة، وعادت إلى غرفة الكشف. حدَّق الطبيب في استمارة الكشف أمامه، وسألها:

"هل تمرين بضغط زائد مؤخَّرًا؟ وهل طرأت أي تغيرات جسيمة على البيئة التي تعيشين فيها؟".

"أكتب هذه الأيام رسالة الماجستير... لكن لا أعتقد أنني مضغوطة إلى هذا الحد بشأنها".

رمقها الطبيب بنظرة حادَّة قبل أن يدوِّن شيئًا في الاستمارة.

"قد يتسبَّب الضغط في خَلَلٍ هرموني يمكن أن يقود إلى حالتكِ. وفقًا للموجات الصوتية، فأنتِ على ما يرام؛ لذا سأصف لكِ حبوب منع الحمل. تناوليها لمدة ثلاثة أسابيع، ثم توقَّفي عن تناولها لأسبوع، ثم تناوليها لثلاثة أسابيع أخرى، ثم خذي راحة منها لأسبوع، وهلم جرًّا. سترجعين إلى حالتكِ الطبيعية خلال شهرين أو ثلاثة شهور".

بدأت في تناول حبوب منع الحمل.

أخذتها ثلاثة أسابيع، ثم أوقفتها أسبوعًا، ثم عاوَدَت تناولها لمدة ثلاثة أسابيع، وهكذا، قبل أن تُقلع عن تناولها بعد مضي شهرين. لكن دورتها التي بدأت بعد يومين من إقلاعها عن تناول الحبوب،

رفضت أن تنقطع لأكثر من عشرة أيام. كان ذلك يعني الرجوع إلى الحبوب، وكالساعة في دقَّتها، توقَّف النزيف مع بدء تناول موانع الحمل ثانية. عندما حاولت الكفَّ عن تعاطي الأدوية ثانية بعد ثلاثة أسابيع، تكرَّر الأمر. انتهى بها المطاف وقد وجَدَت نفسها مضطرَّةً إلى تحمُّل التكلفة غير المتوقَّعة لتناول حبوب منع الحمل مدة ستة شهور.

بعد ستة شهور، عادت دورتها إلى مسارها الطبيعي؛ تنقطع بعد خمسة أيام من بدايتها. ابتهجت.

بعد شهر، نهضت من فوق فراشها ذات صباح، لكنها اضطُرَّت إلى الجلوس ثانية عندما بدأ العالم من حولها يدور. شعرت بالغثيان طوال اليوم. وكان الدوار غير مُحتَمل، ولم يستقرَّ أي شيء تناولته في معدتها. انتابها الخمول، وعانت من حُمَّى طفيفة. حجزت فحصًا شاملًا. في مستشفى كبرى، أجرت أشعَّة سينية، وسُحِبَت منها عيِّنات دم وبول من أجل التحليل.

أخبرها الطبيب بنتائجها بطريقة مجرَّدة من أي مشاعر. "أنتِ حبلى".

"عذرًا؟!".

"يجب أن تري طبيب توليد".

هبطت عدَّة طوابق حتى ترى أحد أطباء التوليد في المستشفى؛ امرأة شابة في الثلاثينيات من عمرها، تضع كمية لا يمكن تصديقها من مساحيق التجميل. بعد عدد من الفحوصات المؤلمة، أعلَنَت طبيبة التوليد تشخيصها بصوت بارد كالثلج:

"أنتِ حبلى في الأسبوع السادس".

"لكنني غير متزوجة، وليس لديَّ حبيب".

"لم تمُرِّي بأيِّ تجربة جنسية مُطلقًا؟ أو تتناولي أيَّ حبوب؟".

"تناوَلتُ حبوب منع الحمل لفترة؛ لأن دورتي لم تكن تنقطع...".

"لكم من الوقت؟".

"مدة ستة شهور".

حدجتها الطبيبة بنظرة حادة، وضيَّقَت عيونها الزرقاء الفاتحة المظللة والمحددة بكثافة.

"هل وُصِفت لكِ؟".

"أخبرني الطبيب أن أتناولها عدة شهور، وأنني لا أحتاج حقًّا إلى روشتة من أجل حبوب منع الحمل".

خفت صوتها في حين يعتريها شعور غريب بالخجل.

"لو أخبركِ الطبيب أن تتناوليها لمدة شهرين إلى ثلاثة شهور فحسب، فقد كان لزامًا عليكِ أن تلتزمي بذلك".

"حسنًا، دَورَتي لم تكن لتتوقَّف دون...".

زفرت الطبيبة ضيقها من خلال شفتيها الحمراوين المطلِّيَتين بشكل مبالَغ فيه: "إن كانت فسيولوجيا جسمك مضطربة، فأحد الآثار الجانبية لتناول حبوب منع الحمل مدة طويلة قد يكون الحمل!".

اعترَضَت بخنوع: "حقًّا؟ لكن... أليس وظيفة حبوب منع الحمل أن تمنعه؟".

استحالت نظرات الطبيبة، مزيج من الأزرق والأسود، حادَّة من جديد. "أنتِ مَن أفرط في استعمال الحبوب. إنه خطؤكِ. الأدوية ليست حلوى تستطيعين أن تلتهميها دون حساب كلَّما شئتِ ذلك".

"ماذا... ماذا أفعل الآن؟".

قلَّبت الطبيبة في استمارة الكشف. "هل للطفل أب؟".

"عذرًا؟".

"هل لدى الطفل شخص يمكن أن يكون أباه؟".

"لا...".

رفعت الطبيبة عينيها، ورمقتها بنظرة مُرعِبة من خلال مكياجها الكثيف. "إذًا يجدر بكِ أن تُسرعي، وتعثري على رجل مستعدٍّ لأن يكون الأب".

"أب للطفل؟ لماذا؟".

انفجرت الطبيبة في وجهها، "أنتِ حبلى بطفل... بالطبع، يحتاج الطفل إلى أب!".

"لكن، ماذا سيحدث إن لم يكن هناك أبٌ؟".

"أنتِ في موقف أصبَحتِ فيه حبلى تحت ظروف غير عادية؛ ممَّا يعني أنه لو لم تعثري على شريك، رجل، فلن تتكاثر خلايا الطفل أو تنمو على النحو الصحيح. تعرفين كيف تُباع في متاجر البقالة بيضات مُخصَّبة وأخرى غير مُخصَّبة؟ الشيء نفسه هنا. إنْ لم يَنمُ الطفل بشكل طبيعي، فلن يسير حملكِ بالكيفية الصحيحة، وهذا سوف ينعكس بالسَّلب في نهاية المطاف على الأم. هل تفهمين ما أقوله؟".

من الجَليِّ أن الطبيبة منزعجة منها.

"ما.. ماذا تعنين بـ' السَّلب'؟".

"يعتمد ذلك على عدة عوامل. أنتِ الآن في الأسبوع السادس فقط؛ لذا لا يسعني أن أخبركِ بما سوف يحدث مستقبلًا".

تنهَّدَت الطبيبة ثم حدَّقَت فيها مليًّا قبل أن تقول متوعِّدة: "الأفضل أن تعثري على أب من أجل ذلك الطفل، وبسرعة. لو لم تفعلي، فسوف تسوء أمورك حقًّا".

قرَّرَت أُسرتُها بعد التشاور أنه يجب عليها أن تأخذ إجازة من الكلية، وتطلب من خاطِبَةٍ أن ترتِّب لها لقاء مع أحد الرجال الراغبين في الزواج، قبل أن تبدأ آثار الحمل في الظهور عليها. كتبت "أسباب مَرضية" في استمارة طلب الإجازة؛ لتبرير حاجتها لها. ثار مشرف رسالتها العصبي في وجهها لأخذها إجازة، وقد بدأت رسالتها الآن فقط تأخذ إطارًا وشكلًا واضحًا. ندمَت على الانقطاع عن عملها أيضًا، لكن ما باليد حيلة. تعاطَفَ معها زملاؤها في القسم كأنها أُصيبت بمرض قاتل.

لم يكن عليها القيام بالكثير ما إن انقطعت عن الكلية. لكن عائلتها انشغلت، وقد تآزَرَت جهودهم من أجل مشروع "اعثروا للطفل على أب". لم يَمضِ وقت طويل قبل أن ترتِّب أمُّها والخاطبة أوَّلَ موعد غرامي مع رجل في أحد المقاهي.

ران صمتٌ يشوبه الارتباك بينها وبين الرجل حالما غادرت الأم والخاطبة المائدة. كان أول موعد غرامي مُرتَّب لها، ولم تعرف ما الذي يُفترض أن تقوله لهذا الرجل الغريب تمامًا، أو أين تنظر، أو ماذا تفعل بيديها. غثيانها الصباحي الذي بدا أنه انحسر، عاودها مجدَّدًا هذا الصباح بشراسة، وكان نسيم جهاز التكييف القوي في مقهى الفندق الراقي، ممتزجًا بعبق القهوة السوداء، يسبِّب لها القشعريرة، ويجعل بطنها يتقلَّب.

بدأ الرجل الحديث، مضطرًّا إلى حدٍّ ما: "إذًا... أنتِ طالبة دراسات عليا؟".

"نعم..."، اكتست شفتاها بالأزرق بفعل البرودة، وبالكاد استطاعت الإجابة على سؤاله مُتغلِّبةً على ارتجافتها.

"ما تخصصكِ؟".

"الأدب السلافي...".

"يا له من تخصُّص غير مطروق! أنا متأكد من أن مَن يدرِّسون الأدب النرويجي في كوريا ليسوا كثيرين".

"هذا ليس...".

فجأة، لم تَعُد قادرة على تحمُّل رائحة القهوة. ضربت باللباقة عرض الحائط، وهبَّت من على مقعدها، وهرولت إلى حمام السيدات. لمدة طويلة، لم تُفرغ أي شيء من معدتها سوى القليل من القهوة والهواء والعصارة. دعت أن يكون الرجل قد غادر فيما تغسل فمها ويديها. لكنه كان ينتظرها أمام حمام السيدات، والقلق مرسوم على كل وجهه. أمسك بذراعها بسرعة عندما خطت مترنِّحةً عبر الباب.

"هل أنتِ على ما يرام؟".

"نعم... أنا آسفة".

كان وجهها متوردًا من شدة الخجل، ولم تعرف ما عليها أن تفعله. أعانها الرجل على الرجوع إلى مائدتهما، وفيما تستند عليه في أثناء المسافة القصيرة التي قطعاها خلال سيرهما البطيء إلى المائدة، لاحظت كيف أن كتفيه عريضتان بما يكفي حتى تلتفَّا حول كتفيها في عناقٍ. أحسَّت يداها وكتفاها المتجمدة بسبب تكييف الهواء أن ذراع الرجل قوية وصلبة، لكن في الوقت نفسه دافئة وجذَّابة. لا تزال الحجرة تدور بها، وساقاها تتخبَّطان. انتابها شعور بالعار لأنها أرادت أن تهرب، لكن ومع إدراكها انجذابها الجسدي لهذا الرجل، صار وجهها قرمزيًّا حتى.

"هل تشعرين بالمرض؟ هل نغادر؟".

"أنا آسفة، هل يمكنني الجلوس لبعض الوقت؟".

"أوه، بالطبع".

انهارت فوق المقعد، ولم تستطع التفكير في أي شيء تقوله. ظلَّ الرجل، الذي لم يكن يعرف بدوره ما يقول، يرتشف قهوته.

"هل أنتِ مُتعبة اليوم؟ أتمنى أنكِ لم تضغطي على نفسكَ حتى تخرجي...".

"لا، إنه فقط الغثيان الصباحي... كما ترى فأنا حامل".

"أوه، حقًّا؟ مبارك لكِ".

"شكرًا لكَ".

"إذًا لا بُدَّ أن عبق القهوة أزعجكِ. هل نتخلَّص منها؟".

استدعى النادل في الحال.

"شكرًا جزيلًا لك".

كانت لا تزال مرعوبةً، لكن أراحها عدم اضطرارها إلى استنشاق رائحة القهوة بعد الآن.

"لكن لا يبدو عليكِ أنكِ حامل منذ مدة طويلة؟".

"أجل، أنا حامل في الشهر الثاني فقط".

"إذًا أنتِ لا تعرفين إنْ كان ولدًا أم بنتًا؟ آسف إن كنت أبدو فضوليًّا".

"أوه، لا، لا بأس. لا أعرف بعدُ. لم أسأل بالتحديد عن جنس الجنين".

"أعتقد أن الانتظار والمفاجأة أكثر مرحًا".

كان الرجل مهذبًا وطيبًا؛ شريك محادثة لطيف على نحو غير متوَقَّع. شعرت بالانجذاب إليه. تحدَّثا بُرهةً عن الإنجاب والأطفال، حتى سألَته فجأة:

"حسنًا إذًا، هل تودُّ أن تكون أبًا لطفلي؟".

"أبو الطفل؟".

"أجل، لأَكُن صريحة، ذلك هو سبب قدومي إلى هذا الموعد المُرتَّب..."، أعطته ملخَّصًا سريعًا، واعترفت إليه كيف أنها أصبحت حبلى بسبب حبوب منع الحمل، وباحت إليه بتحذير الطبيبة.

استمع إليها الرجل بتعبير صادق على وجهه. بعد أن انتهت، بدا شاردًا في أفكاره للحظة. "حسنًا، أعتقد أن عليَّ التفكير في الأمر قليلًا. لم أعرف ظروفكِ عندما وافَقتُ على القدوم.. أعرف أنه موعد غرامي مُرتَّب، لكن أن أصبح أبًا ليس قرارًا هيِّنًا... أتمنى أن تتفهَّميني".

"بالطبع، لا بأس في ذلك".

"لا يمكنني مَنحُكِ إجابة الآن، لكن ربما لو التقينا مرات قليلة، وسنحت الفرصة لنا بأن نتعارف بصورة أفضل، فسوف أستطيع أن أقرِّر حينذاك. هل يناسبكِ ذلك؟".

"يناسبني تمامًا".

أصرَّ الرجل على أن يُقِلَّها بسيارته إلى بيتها، رغم رفضها المتكرر.

قال مبتسمًا: "أنا سائق سيارة خبير. يمكنكِ الوثوق بي".

بينما تشاهده يقود السيارة مبتعدًا في الظلام بعد أن أوصلها إلى منزلها، فكَّرَت كيف أنهما انخرطا في الحديث طيلة ما بعد الظهر، والشيء الوحيد الذي تعرفه عنه حقًّا هو حقيقة أنه سائق سيارة.

خرجت في سلسلة من المواعدات المرتَّبة برفقة رجال آخرين بعد ذلك، لكن لم يحدث أي شيء فعلي. مرَّات كثيرة كانت تركض إلى حمام السيدات، وتعود لتجد الرجل قد ذهب. بعض الرجال توتَّروا، وأطفؤوا سجائرهم في منتصف اشتعالها عند ذِكرِها حقيقة أنها حُبلى، وتأكَّد آخرون من أن تَعيَ تمامًا نفورهم من وضعها. لم تتوقَّف عن التفكير في أن الرجل الأول كان الأفضلَ، لكن مع ساعات عمله غير المنتظمة، كان الحفاظ على تواصُلٍ مُستمرٍّ معه صعبًا.

ببطء ولكن بثبات، تضخَّمَت بطنها. أصبح الحمل واضحًا في عمر خمسة أشهر. بدا أن غثيانها الصباحي يزداد سوءًا لبعض الوقت، لكنه بدأ في النهاية في التراجع. كَبُرَ ثدياها، وزاد وزنها إلى درجة آلمت ظهرها وقدميها. أمست تلهث لأقل جهد، وتورَّم كاحلاها بشكل متكرِّر، وغالبًا ما شعرت بعقدة تُطبِق على صدرها، وتعرَّقَت مثل مُدمِن شَرِهٍ الإدمان، وكانت تدخل الحمام وتخرج منه باستمرار. أكَّدَت لها المستشفى أن هذه كلها أعراض حمل طبيعية. لكن بعد ستة أشهر، ما عادت تشعر بأي حركة للجنين. أحسَّت بالتواء طفيف أو رعشة بداخلها، لكن لم يكن هذا شعور طفل يركل داخل رحمها.

استهزأت طبيبة التوليد -بمكياجها الكثيف- من مخاوفها: "ما زلتِ لم تجدي أبًا للطفل؟ كل ما يحدث لكِ الآن بسبب ذلك".

"حسنًا، أعني، الأمر ليس بهذه السهولة...".

"لا شيء سهل في الحياة! هل اعتقدتِ حقًّا أن الحمل سيكون يسيرًا؟ ما الذي تحاولين أن تفعليه لحل المسألة؟ هل لديكِ أي فكرة عن مدى ضآلة الوقت الباقي لكِ؟".

"أنا أبحث، لكن...".

"إنْ كان هذا سلوكِ الآن، فأيَّ أمٍّ ستكونين؟ فكِّري في الأمر؛ توجد حياة جديدة تنمو في أحشائكِ في هذه اللحظة. يُخلَق إنسان. عليك

أن تتحمَّلي مسؤولية إنسان كامل! ولكن إن كنتِ غير مبالية إلى هذه الدرجة بنموِّ الجنين، فماذا ستفعلين فور ولادته؟".

"ولكن ذلك...".

"يبدو أنك راضية عن نفسكِ لأنه لا يمكنك في الواقع رؤية الطفل في الوقت الحالي، ولكن واصِلي على المنوال نفسه، وستدركين حقًّا الأذى الذي تُلحِقينه بالطفل. لو كنتِ تريدين طفلًا طبيعيًّا، فستفعلين كل ما يستلزمه منكِ العثور على أب".

"لكنني أحاول حقًّا أن أجد أباً صالحًا... من أجل الطفل".

"الوقت ينفد منكِ!".

تراءى لها الجزء العلوي من رأس طبيبة التوليد وكأنه على وشك الانفصال عن طبقات ظلال العين (الآي شادو) الزرقاء، والكحل الأسود الذي تتزيَّن به؛ نظرتها الضيقة حادَّة للغاية، لدرجة أنها هدَّدَت بتمزيق أي أحدٍ تقع عليه.

بروح منهزمة، غادرت المستشفى مسرعة.

لم يكن من السهل مقابلة الناس ببطنها البارز. عندما ألقى الرجل في موعدها المُرتَّب السابع والثلاثين نظرةً واحدة على بطنها وهرب من المقهى دون أن ينبس ببنت شفة، أعلنت أنها لن تخرج بعد الآن في مواعيد مُرتَّبة. أعلنت بطريقة درامية أنها حملت بهذا الجنين بمفردها؛ وبالتالي ستربِّي الطفل وحدها. لكنها لم تستطع فعل أي شيء حيال ذلك القلق والخوف المستمرَّين اللذين عذَّباها؛ إنها كانت بطريقة ما تؤذي الطفل بشكل لا يمكن إصلاحه لو أنجبته بدون أب.

تَركَّز روتينها اليومي على إراحة نفسها في السرير والاستماع إلى الموسيقى ومشاهدة مقاطع الڤيديو التي قيل إنها مفيدة للأمهات الحوامل. تناوَلَت أطعمة غنية بالحديد لأن غثيان الصباح حلَّ محلَّه

فقرُ الدم. ومع ذلك، فإن حاسة التذوق لديها لم تتغير، كما أنها لم تشتهِ فجأة الأطعمة التي لا تحبُّها عادة. كانت أيامها بطيئة وهانئة، وكان جميع أقاربها الذين لم يعيروها اهتمامًا في المعتاد، مهتمِّين جدًّا بسلامتها فجأةً، وعاملوها كإرث هشٍّ، حريصين دائمًا على السؤال إن كانت تريد أي شيء. بصرف النظر عن الأوقات التي كان عليها الذهاب فيها إلى طبيبة التوليد لإجراء الفحوصات، استقرَّت حياتها وشعرت بالرضا.

ذات يوم، بينما كانت تقرأ حكايات خرافية عن الأمهات في أسابيع الحمل الأخيرة اللاتي ينتظرن الولادة، وتستمع إلى موسيقى للحوامل، رنَّ هاتفها. كانت رسالة نصِّيَّةً.

"اتصلي بي على الفور".

لم تَرَ هذا الرقم من قبل قطُّ. استنتجت أنه رقم خاطئ؛ فمسَحَت الرسالة. بعد عشر دقائق أخرى، أزَّ التليفون ثانية. الرسالة نفسها. محتها. بعد ربع ساعة، رنَّ التليفون مرة أخرى. نفس الرسالة. هذه المرة مصحوبة بعلامات تعجُّب.

"اتَّصِلي بي! على الفور!!".

لا بُدَّ أن شخصًا في حالة طارئة يراسل الرقم الخطأ. ضغطت زرَّ الاتصال.

أجابها صوت رجل غير مألوف: "مرحبًا".

"مرحبًا، هل أرسلتَ لي رسالة نصِّيَّة قبل لحظات؟".

"هل أنتِ كيم يونج - لان؟".

فاجأها سؤاله: "نعم، أنا كيم يونج-لان. مَن أنت؟".

سمعت صوت حفيف.

"ها ذي سيدتي! إنها حبيبتي! وليتها تعرف أنها حبيبتي! تكلَّمتُ، لكنني لا أسمع الكلام. لا بأس! عيناها تخاطبانني! سأجيبها. تا لله ما أشد جرأتي! فإنها لا توجه الكلام لي"[1].

"... مرحبًا؟".

واصل الرجل، بصوت أعلى قليلًا: "نجمان من أبهى كواكب السماء، تَرَكَا مكانهما في بعض شأنهما، وتوسَّلا لحبيبتي، أنْ أَرسِلي العينين كي تتلألآ حتى نعود".

صرخت: "كفى".

توقَّف الرجل عن تلاوته.

"ماذا تفعل بحق الجحيم؟".

"إنه من مسرحية روميو وچولييت لشكسبير. الفصل الثاني، المشهد الثاني، في حديقة كابوليت".

"اعذرني؟".

"هذا ما أشعر به نحوكِ. عرفت في اللحظة التي رأيت فيها صورتكِ في الجريدة. أنتِ امرأة قَدَري".

"في الجريدة؟ أي جريدة؟".

"يمكنني حقًّا أن أشعر بأنوثتك الطافحة في العنوان الرئيسي: 'أبحثُ عن رجل ليكون أبًا لطفلي'. هذه جرأة تتجاوز أي محاولة لامرأة إغواء رجل حتى يكون زوجها. يا لها من أنوثة! يا له من حسٍّ أدبي.

---

(1) اقتباس من الفصل الثاني من مسرحية روميو وچولييت لوليام شكسبير، ترجمة محمد عناني، بتصرُّف. (المترجم).

يـا عزيـزتي، يونـج-لان، هـذا قـدري وقـدركِ. مـن خـلال شـغفنا المشـترك بـالأدب".

"انظر، لقد فهمتَ الأمر على نحو خاطئ...".

"قـد أكـون فقـيرًا جـدًّا لدرجـة أننـي ارتكبـت خطـأً شـنيعًا بمطالبتـكِ بالاتصـال بي بـدلًا مـن أن أبـادر وأتَّصِـل بـكِ أوَّلًا، لكننـي سـأدفع لـك مقابـل المكالمـة الهاتفيـة يومًـا مـا. الرأسـمالية لا شيء أمـام قـوة الحـب والعاطفـة! هـا ذي سـيدتي! إنهـا حبيبتـي!".

"أنا لست متخصِّصة في الأدب الإنجليزي!".

أغلَقَـت التليفـون بنرفـزة، وبحثـت عـن الجريـدة. في الصفحـة الأخـيرة وجـدت صورتهـا ترافقهـا كلـمات بحـروف ضخمـة:

"أبحث عن رجل ليكون أبًا لطفلي".

اسـمها وعمرهـا بجـوار الصـورة مـع عبـارة "طالبـة دراسـات عليـا، أدب" في خانـة الوظيفـة. رقـم هاتفهـا مطبـوع بوضـوح أسـفل ذلـك.

عـلى مائـدة العشـاء، لوَّحَـت بالجريـدة، ووبَّخَـت عائلتهـا. تبادلـوا النظـرات، وقالـوا إنهـا كانـت محاولـة يائسـة أخـيرة للحصـول عـلى أب لطفلهـا.

"اعتقدنا أن الأمر سيغدو أسهل إنْ كنَّا صرحاء بخصوص الأمر...".

اسـتاءت لكـن عنـد تذكُّرهـا تحذيـر طبيبـة التوليـد، لم تسـتطع إلا الاقتنـاع قليـلًا بوجاهـة مـا فعلـوه. اضطـرَّت إلى التعامـل مـع الكثـير مـن مكالمـات التليفـون بعـد ذلـك. لكـنَّ بصيصًـا مـن الأمـل كان يحدوهـا قبـل الـرد عـلى كل مكالمـة.

عندمـا رفضـت الإجابـة عـلى رسـائل "روميـو" المُتضرِّعـة، بـدأ يتصـل بهـا. كل يـوم، كان يتلـو مشـهدًا جديـدًا مـن مسرحيـة عـلى لسـان شـخصية رجُـلٍ يغـازل امـرأة، ويختتـم ذلـك بتوسُّـله إليهـا بـأن تقابلـه.

وتلقَّت أيضًا مكالمات على سبيل المقالب الساخرة من أطفال، وكذلك مكالمات جادَّة من نساء يعرضن عليها أن يقدِّمنها إلى أشقَّائهن، وآبائهن، وأطفالهن، وحتى أزواجهن. ولم تَخلُ المكالمات من التهديدات أيضًا.

"مرحبًا؟".

"هل هذه الآنسة كيم يونج-لان؟".

"أجل".

"هل تتذكَّرينني أيتها العاهرة؟".

"ماذا؟".

"تضاجعنا. ألا تتذكرين؟ طفلك هو طفلي".

"أوه، أعتقد أنك اتَّصلتَ بالرقم الخاطئ".

"كفاكِ عبثًا. لنتحدث. أحضِري عشرة ملايين وون إلى مقهى فندق (...) عند ظهر الغد. وسأُبقي الأمر سرًّا".

"اعذرني، ما الرقم الذي أردت الاتصال به؟".

"هل أنت معتوهة أو شيء من هذا القبيل؟ هل الغد قريب جدًّا؟ حسنًا، سأمنحكِ مهلة. لديك حتى عطلة نهاية الأسبوع حتى تأتي إلى مقهى الفندق، ومعكِ المال. وإلا سوف أجوب في أنحاء الحي وأخبر الجميع أننا تضاجعنا، وأنه طفلي. فهمتِ؟ الجميع سوف يعرف حقيقتك أيتها الفاسقة".

"في الحقيقة، ذلك ما أحتاج إليه. أحتاج إلى شخص يقول إن الطفل طفله، رجلًا يكون الأب...".

"مستقبلكِ على المحكِّ؛ لذا فكِّري في الأمر. عشرة ملايين وون. معكِ حتى عطلة نهاية الأسبوع. أفهمتِ؟".

أغلق الخط.

وصلتها المزيد من المكالمات العقيمة. ثم ذات يوم، تلقَّت أخيرًا مكالمة مبشِّرة.

"مرحبًا؟".

"مرحبًا، أتصل استجابةً للإعلان. أنتِ كيم يونج-لان؟"، كان صوت الرجل شابًّا ومهذبًا.

"هذه أنا".

"تقولين في الإعلان إنكِ تبحثين عن أب للطفل، صحيح؟ هل لديك متطلبات مُعيَّنة؟ عمر معيَّن أو أي شيء من ذلك القبيل...؟".

لم تفكِّر في ذلك سابقًا. أجابت بغموض: "حسنًا، ليس في ذهني أي مُتطلَّبات محدَّدة، كما أظن، طالما كان شخصًا لديه المقومات كي يكون أبًا صالحًا...".

"أوه، حقًّا؟" بدا الرجل كأنه يفكر مليًّا. "إذًا كيف يمكن لأحدهم أن يتقدَّم بطلبٍ حتى يكون أبا الطفل؟".

ابتسمت ابتسامة عريضة، معتقدة أنه شخص مثير للاهتمام. "لا حاجة لأن تتقدَّم بطلب. هل تستطيع إخباري عن نفسك؟".

"أوه، يا لوقاحتي!".

مضى الرجل ليقول إنه في الثالثة والثلاثين من عمره، خريج جامعة مرموقة، ويعمل حاليًّا في اتحاد شركات. نظرًا لأنها لم تعمل في شركة من قبل أبدًا؛ لم تكن متيقِّنة من معنى مُسمَّاه الوظيفي، لكن تَملَّكها شعور أنه يتبوأ منصبًا مرموقًا جدًّا بالنسبة لرجل شاب للغاية مثله. مُرشَّح مثالي حقًّا. حتى لو كان يكذب - كانت بالفعل مرتابة قليلًا، فقد وجدت نفسها معجبة بالانطباع العام الذي يعطيه. وأكثر من أي شيء، راق لها أنه سألها عمَّا تبحث عنه في الأب. بعد محادثة مُطوَّلة،

اتَّفقا على موعد للقاء في مقهى فندق (..) في عطلة نهاية الأسبوع. ثم أنهيا المكالمة.

في يوم الموعد، اختارت أكثر فستان فضفاض وعملي تمتلكه، ووضعت مكياجها بحرص، وتوجَّهَت إلى مقهى الفندق بقلب خافق، وذراعاها تحيطان ببطنها. عند المدخل، وبينما قد توقَّفَت لحظة لتلقي نظرة في أرجاء المكان، متسائلة مَن يا تُرى رجلها المنشود، تقدَّم رجل شاب منها.

"هل أنتِ كيم يونج-لان؟".

"نعم".

كان الرجل، الذي تعرَّفت على صوته من المكالمة، وسيمًا بشكل استثنائي. تبعته إلى إحدى الموائد. كان ثمة رجل عجوز يجلس إليها، ورجلان يرتديان نظارات شمسية يقفان بانتباه وراءه.

قدَّمها الرجل الشاب إلى العجوز: "هذا حَميَّ".

"عذرًا؟".

"سأترككما وحدكما إذًا".

"أوه، هلَّا انتظرتَ لحظة...".

غادر الشاب المقهى.

تحدث الرجل العجوز: "اجلسي".

سحب أحد الرجلين وراءه مقعدًا. جلست عليه؛ لم يكن أمامها خيار آخر.

"سأدخل مباشرة في الموضوع. أنا سوه ووتشانج، مدير اتحاد شركات 'ووتشانج'".

أدهشها هذا.

"والرجل الذي رحل للتَّوِّ، زوج ابنتي. أنا الفرد الوحيد المتبقِّي على قيد الحياة في الأجيال الثمانية من الذكور. ولم أنجب أطفالًا حتى بلَغتُ الخمسين من عمري، ولديَّ الآن ابنة واحدة. غمرناها بكل الرعاية الممكنة، لكن انتهى بها المطاف مع ذلك الحثالة عديمة الفائدة الذي رأيتِه للتَّوِّ. كنت سأغضُّ الطرف عن الأمر، وأورِّث الشركة لهما لو أنهما أنجبا ولدًا، لكن مضت ست سنوات على زواجهما ولم ينجبا أي طفل. وهكذا منحتني الحياة وضيعًا عقيمًا زوجًا لابنتي؛ ولهذا، أنا على وشك أن أخسر كل شيء عملتُ طوال حياتي من أجله". أثارت قصة العجوز مشاعرَه، واستمرَّ في حكايتها بحماسة يشوبها الحنق في حين كانت تجد -هي- الموقف مُحيِّرًا أكثر فأكثر.

"لذا على أية حال، أيتها المرأة الشابة"، مال فجأة مقتربًا منها، وأمسك بيدها، "ذاك الطفل في بطنكِ، أعطِه لي. الحقل محروث بالفعل، وكل ما تحتاجين إليه هو البذور، أليس كذلك؟ سأمنحكِ البذور. أو لماذا لا تأتين للإقامة في منزلي وتكونين محظيَّتي. عليكِ فقط أن تُكملي نسلنا، وتمنحيني ابنًا مكتنزًا ولطيفًا، وسأتأكَّد من أنكِ والطفل تحظيان بحياة سعيدة".

"عذرًا يا جدي، لكن...".

"أخبرني زوج ابنتي أنكِ قلت إن العمر ليس مشكلة. أنا في الثانية والثمانين من عمري، لكن دمي حارٌّ كأيِّ رجل شاب. سأكتب اسمكِ في سجلات العائلة وكل شيء. ما قولكِ؟".

"جدي، ذلك ليس...".

بينما راحت تنشد طريقة تخرج بها من هذه الفوضى، وهي تحاول نزع يدها من يده، رنَّ تليفونها. شعرت بالارتياح عندما تمكَّنَت أخيرًا من انتزاع يدها والرد على التليفون:

"مرحبًا؟".

لكن لم تتلقَّ جوابًا، وانقطع الخط. أمسك الرجل العجوز بيدها مرة أخرى.

"ماذا تقولين أيتها الشابة؟ أعطيني ابنًا، وستعيشين بقيَّة حياتك في رفاهية؛ بصفتك زوجة أحد أغنى أثرياء البلد. إنها فرصة تحدث مرة واحدة في العمر".

"كيم يونج لان؟".

رفعت بصرها. وقف أمامها رجلٌ قاسي الملامح، في منتصف العمر.

"أنت تعرفين مَن أنا، أليس كذلك؟ هل أحضرتِ العشرة ملايين وون؟".

"من أنت بحقِّ الجحيم؟"، سأل الرجل العجوز، وهو يعبس في وجه المتطفِّل.

"أنا؟"، أخرج الرجل الآخر سيجارة من جيب قميصه، وأشعلها، وأخذ نفثة منها.

تصاعد عمود من الدخان في وجه الرجل العجوز. تقدَّم الرجلان اللذين يرتديان النظارات الشمسية خلف الرجل العجوز خطوة إلى الأمام، لكن الرجل العجوز رفع يده لإيقافهما. تراجع الرجلان خطوة إلى الوراء.

كان الرجل في منتصف العمر ينفث على مهل دخان سيجارته. "أنا عشيق هذه المرأة. الطفل الذي في بطنها طفلي".

"ماذا؟".

"هل أنت والدها؟ أم عجوز منحرف جنسيًّا يحاول شراءها لممارسة الجنس معها؟ بحقِّ المسيح، هل فُزتَ باليانصيب هذه المرة؟".

ابتسم للرجل العجوز، وقرَّب وجهه ليصبح على بُعد شِبرٍ واحد من وجه الرجل العجوز، وقال بصوت منخفض مهدِّد: "لا أعرف ما إن

كانت ابنتك الغالية أم زوجتك الغالية، لكن إنْ لم تكن كذلك، أريد أن يظن الجميع أنها ستَلِدُ طفلي. من الأفضل أن تُسلِّمني خمسين مليون وون بسرعة".

"ماذا بحق الجحيم يقول ابن العاهرة ذاك!" صرخ الرجل العجوز بصوتٍ عالٍ، حتى إن الرجلين اللذين يرتديان النظارات الشمسية اقتربا منهم مرة أخرى.

الرجل في منتصف العمر لم يتراجع. "ابن عاهرة؟ مَن الذي تدعوه بابن العاهرة؟ إنْ كنتَ تعرف ما هو خير لكَ، فسلِّمني المال بينما لا أزال مهذَّبًا. وبعدها سأمضي في حال سبيلي".

نظر الرجل العجوز إليها وإلى الرجل في منتصف العمر وقال، "هاه!"، ثم نهض وضرب عصاه على الأرض. سارع الرجلان اللذين يرتديان النظارات الشمسية ليسنداه.

"أين بحق الجحيم تعتقد أنك ذاهب؟"، أمسك الرجل في منتصف العمر بياقة قميص الرجل العجوز. "هل تعتقد أن هذه مَزحَة؟...".

ضرب أحد الرجلين اللذين كانا يرتديان النظارات الشمسية الرجل في منتصف العمر بسرعة وحسمٍ في معدته. تدحرج على الأرض، بينما استدار الحارسان للمغادرة رفقة الرجل العجوز.

"أيُّها الأوغاد الملاعين، لقد ضربتموني!". قفز على الرجال الثلاثة المغادرين، وانتهى الأمر بأربعتهم على الأرض، مُشكِّلين كومة متشابكة من الأبدان. سرعان ما بدأ أحد الرجلين اللذين كانا يرتديان النظارات الشمسية في مساعدة الرجل العجوز، بينما أوسع الآخر الرجل في منتصف العمر ضربًا بلا رحمة. صرخ زبائن المقهى. هاتف عامل فندق بشكل محموم الشرطة.

تجنَّبَت بحرصٍ الشجار الدائرة، وتسلَّلَت مغادِرةً.

شعرت بأن قلبها أثقل من بطنها عدَّة مرَّات وهي تسير إلى محطة الحافلات. شعرت بالغباء، ومع ذلك لم يسعها إلَّا أن تضحك الآن على سخافة الموقف.

وصلت الحافلة. حاولت ألَّا تسقط على وجهها وهي تشقُّ طريقها فوق الدرج. راقبها سائق الحافلة بنفاد صبر، وبدأ في القيادة قبل أن توازن نفسها تمامًا. كادت أن تسقط، لكنها أمسكت بماسح بطاقة الحافلة الإلكتروني في الوقت المناسب.

مع إن الحافلة لم تكن مزدحمة، لم تجد أي مقعد فارغ من حولها. أرادت العودة إلى الخلف والبحث عن مقعد شاغر، حيث كان أمامها طريق طويل تقطعه، لكن كان من الصعب الحفاظ على توازنها في الحافلة المهتزَّة؛ أمسكت بعمود بالقرب من مقعد السائق وتشبَّثَت به بكل ما أُوتيت من قوة.

قالت امرأة في منتصف العمر، قريبة منها: "أيَّتها الشابة، اجلسي مكاني".

"أوه، أنا بخير، شكرًا لكِ".

"لا يبدو أنكِ بخير على الإطلاق!". ابتسمت المرأة بدفءٍ بينما تقول متظاهِرةً بأنها توجِّه اللوم إليها: "معدتكِ ضخمة كجبل نامسان. كيف إذًا يكون البقاء واقفة في حافلة تهتزُّ أمرًا مستحبًّا؟ مرآكِ هكذا يوتِّرني! اجلسي فورًا".

"شكراً جزيلًا". ابتسمت ابتسامة محرَجة وهي تجلس بحذر شديد بمعاونة المرأة الأكبر سنًّا.

حالما استقرَّت في مقعدها، نظرت المرأة في منتصف العمر عن كثب إلى وجهها، وصرخت قائلة: "مرحبًا، ألستِ أنتِ فتاة الجريدة؟".

"عذرًا؟"، لكنها عرفت ما سيأتي بعد ذلك. كان قلبها يغوص في بطنها.

"أتعلمين، المرأة التي تبحث عن أبٍ لطفلها؟".

"آه...". كانت لا تزال في حالة صدمة مما حدث في المقهى، ومجرد ذكر الإعلان أثار فيها رغبة في البكاء. ندمت بمرارة على عدم حذف الإعلان من الجريدة عاجلًا.

"لا بُدَّ أن الأب الحقيقي قد هرب بعد أن حملتِ بالطفل، هل أنا على صواب؟". كانت المرأة الأكبر سنًّا تنسج من وحي خيالها قصَّتها عنها بالفعل. "أيتها المسكينة، كيف يمكنه أن يتخلَّى عن مثل هذه الفتاة الشابة والجميلة؟".

ربَّتَت المرأة في منتصف العمر على ظهرها كما لو كانت والدتها الحقيقية. كان الأمر مثيرًا لأعصابها. سيطر عليها غضب جمٌّ، ولكن في الآن نفسه، شعرت بِيَدِ المرأة الدافئة وكأنها تُسكِّن الألم بداخلها.

استطردت المرأة الأكبر سنًّا قائلة: "أعني، هذه الحياة. والحياة لا تتوقَّف. فكِّري في الطفل في بطنكِ. عيشي فقط من أجل الطفل. ليس من السهل تربية طفل بمفردك هذه الأيام، لكن عليكِ أن تكوني قويَّةً وتواصلي عَيْشَ حياتك! يكبر الأطفال بسرعة. تذكَّري كلماتي؛ سيبدو اليوم وكأنه ذكرى بعيدة قريبًا بما فيه الكفاية...".

تلاشى صوت المرأة وهي تَشخَص بعينيها بعيدًا.

صرير.

توقَّفَت الحافلة. عادت المرأة الأكبر سنًّا إلى تركيزها بسرعة. "آه يا إلهي، أين أنا؟". ضغطت بسرعة على جرس التَّوقُّف ونظرت بجنون من النافذة. "انظري، عليكِ تجاوز هذا! وأنا متأكِّدة من أن والد الطفل سيعود ذات يوم".

نزلت المرأة الأكبر سنًّا في المحطة التالية.

نزلت هي أيضًا في النهاية من الحافلة وسارت بقية الطريق إلى المنزل، شاردةً في أفكارها. اتصلت بالجريدة، وطالبتهم بالتوقف عن نشر الإعلان. ثم أغلقت تليفونها، وألقته في الدرج.

كان الجنين داخل رحمها، رغم بلوغه ذروة وزنه، يتلوَّى أو يفرفر من حين لآخر، لكنه لم يركلها أبدًا أو يعطيها الانطباع بأنه على قيد الحياة حقًّا. تفاقم فقر الدم لديها. كان بإمكانها رؤية حركة الجنين من خلال الموجات فوق الصوتية، ولكنها لا تشعر بوجوده، لم يكن هناك أي شيء خاطئ معها بشكل خاص. بصرف النظر عن إخبارها بالإسراع في العثور على أب، لم يكن لدى طبيبة التوليد الكثير لتُعلِمها به. أصبحت ضخمة جدًّا، لدرجة أن أي امرأة حامل أخرى شعرت بعدم الارتياح في وجودها. ولكن ماذا يعني أن الطفل لا ينمو "بشكل صحيح"؟ فكَّرت في النظرة العدائية لطبيبة التوليد ذات الماكياج الكثيف. لو أنها احتاجت فعليًّا إلى والد للطفل من أجل نموِّه السليم، فما تفسير حجم بطنها الآن؟ ألم تَدَع بسذاجة بضع كلمات تفوَّهَت بها الطبيبة -امرأة شابة بشخصية بغيضة- تخيفها؟ هل كانت شديدة التركيز على إيجاد أب للطفل لدرجة أنها لم تفكر بما فيه الكفاية فيما يحتاج إليه الطفل حقًّا؟ بغضِّ النظر عن نموِّه، سواء كان له أب أم لا، الطفل ملكها، ملكها هي وحدها، بالمعنى الحقيقي للكلمة. "عيشي فقط من أجل الطفل." هذه الكلمات لم تُطهِّرها تمامًا من مخاوفها وقلقها، لكنها استطاعت أخيرًا أن تبثَّ فيها الهدوء عند تكرارها.

لأول مرة منذ مدة طويلة جدًّا، شعرت بشراهة للطعام. أرادت أن تأكل شيئًا لذيذًا من أجل الطفل. قفزت من مقعدها.

عندما فتحت عينيها مرة أخرى، كانت مستلقية على الأرض.

لماذا أرقد هنا؟

تمكَّنَت من الجلوس. استغرق الأمر بعض الوقت حتى تستردَّ قدرتها على التفكير.

فقر الدم. لا بُدَّ أنني أُغمى عليَّ عندما نهضت.

تحسَّسَت بيدها حول مؤخِّرَة رأسها. كان ثمة نتوءٌ ضخم. بدأ الخوف يتسلَّل إليها.

شعرت بدفء بين ساقيها.

هل بلَّلتُ نفسي عندما أُغمي عليَّ؟ كان ذلك مُحرِجًا للغاية. يجدر بي أن أنظف المكان قبل أن تصل عائلتي إلى المنزل.

هذه المرة، نهضت بحرص من على الأرضية. قطعت الشقة بحذر إلى المطبخ، والتقطت خرقة قماش، ومسحت بها الأرضَ ببطء. واصلت المياه الدافئة التدفُّق فيما تمسح الأرضية. تشرَّبَت خرقة القماش بسائل أحمر. توجَّهَت إلى الحمَّام. كان لباسها الداخلي منقوعًا بالأحمر. وبالنظر إلى الرائحة، كان من المستَبعَد أن يكون السائل الدافئ بولًا.

مستحيل أن يكون...

فتحت كُتيِّب دليل الحمل الذي أعطته لها طبيبة التوليد، "اتِّصلي بالمستشفى في حالة ظهور أي من الأعراض بالأسفل". أحد العناصر كان "عندما يستمرُّ سائلٌ شفَّاف في التَّدفُّق. (انفجار كيس المياه حول الجنين)".

بدأت معدتها تؤلمها فجأة. راح الألم يجيء ويروح في جسمها كله أشبه بمدٍّ سريع. هاتَفَت طبيبة التوليد بيدين مرتعشتين. بدأت مؤخِّرة رأسها تنبض. ردَّت ممرضة شابَّة عليها، والتي أصابتها نوبة ذعر عندما أخبرتها بأعراضها؛ الإغماء، وفقر الدم، ونزول مائها. والآن كانت تنزف، وتشعر بألم رهيب في معدتها.

"انظري، أنا بمفردي في البيت. ماذا أفعل؟ رأسي يواصل إيلامي من بعد أن صَدَمتُه...".

"سنرسل إليكِ سيارة إسعاف. ستكون عندكِ قريبًا! لا تتحركي، ابقَيْ مستلقية على الأرضية".

أكَّدَت الممرضة بسرعةٍ معها الاسم والعنوان ورقم التليفون. "لا تغادري البيت! سوف تصل سيارة الإسعاف في لمح البصر!".

وصلت سيارة الإسعاف سريعًا بالفعل. رنَّ جرس الباب ففتحته لمجموعة من الرجال طوال القامة الذين اندفعوا إلى الداخل، ووضعوها على نقَّالة، وحملوها إلى داخل سيارة الإسعاف. وقف رجل آخر خارج السيارة للمساعدة في إدخال النقالة.

تعرَّفَت عليه على الفور. "أوه... مرحبًا!".

اتَّسعَت عينا الرجل أيضًا وقد تعرَّف عليها بدوره. بدأ يقول شيئًا، لكن الرجال الآخرين دفعوها إلى الداخل قبل أن تسمعه. أغلق الرجل الباب بسرعة، وركض نحو مقعد السائق. أدار المحرِّك...

كانت الرحلة إلى المستشفى كابوسًا. اهتزَّت السيارة، وكانت صفارات سارينة الإسعاف صاخبة، ولم يتوقَّف المسعفون عن قياس مؤشِّراتها الحيوية، وتشجيعها، وطرح الأسئلة عليها. ركَّبوا لها قسطرة تغذية في وريدها، وسوار قياس ضغط الدم حول ذراعها، في حين تنتقل سماعة طبية باردة فوق بطنها. شعرت بالجزء الخلفي من رأسها وكأنه سينشطر نصفين من الألم، وشعرت برغبة قوية في التقيُّؤ. لكن آلام المخاض لم تعاودها من جديد...

رغم غياب الألم، كان الجنين في بطنها يزداد نشاطًا أكثر فأكثر. وكأنه يعوِّض شهورًا من الخمول. بدا الأمر الآن وكأنه سيتشقلب خارجًا من رحمها؛ يمكنها أن تتخيل الطفل يطرق على جدران رحمها وهو

يصرخ "أريد أن أُولَد، أريد أن أخرج من هنا! أريد أن أعيش، ابحثي عن أب!".

ظل المسعفون يسألون عمَّا إن كانت تشعر بالانقباضات، والمدة الزمنية بين كل انقباضة وأخرى. استمرَّت في الإجابة بأنها لا تعاني من انقباضات، وبدأت تخشى من وجود علَّة ما في الجنين، وهو الخوف الذي تحوَّل إلى سحابة مظلمة نَمَت بشكل أكبر وأكبر بداخلها، وسرعان ما غلَّفتها بالكامل. تشبَّثَت بمُسعِفٍ قريب، وتوسَّلت إليه أن يكون والدَ الطفل. بعد ذلك، اجتاحتها موجاتٌ من الألم وهي تتأوَّه وتحيط بطنها بذراعيها.

توقَّفَت سيارة الإسعاف فجأة. ضغط السائق بإلحاح على بوق السيارة.

صاحت باسم السائق. قامت من على الحمَّالة وزحفت تجاه مقعد السائق.

توسَّلَت إلى السائق الذي كان الرجل الذي قابَلَته في أول موعد غرامي مُرتَّب لها:

"من فضلك كُنْ والِدَ طفلي! لم يَفُت الأوان بعدُ! الطفل على وشك أن يولد! أرجوك، ساعدني! لم يَفُت الوقت بعدُ".

أخرج سائق سيارة الإسعاف رأسه من نافذة مقعد السائق، وصرخ: "أيُّها الأحمق! ابتَعِد عن الطريق! هذه سيارة إسعاف! معنا سيدة حامل مصابة بارتجاج في المخ".

شدَّها المسعفون وأعادوها فوق النَّقَّالة، وساعدوها على الاستلقاء. بدأت سيارة الإسعاف في التَّحرُّك ثانية. عبرت السيارة إشارات مرور حمراء دون اكتراث، وتنقَّلَت عبر حارات الطريق، وتجاوَزَت عددًا لا يحصى من السيارات، منطلقة بسرعة جنونية. وصلوا أخيرًا إلى

المستشفى، حيث نقلوها من سيارة الإسعاف إلى داخل المستشفى. أعاد الرجل الذي كان أوَّلَ موعد غرامي مُرتَّب لها، تشغيلَ المحرِّك، ورمقها بنظرة أخيرة متردِّدة من خلال مرآة الرؤية الخلفية في أثناء دخولها غرفة الطوارئ.

أكَّد الأطباء في غرفة الطوارئ أن الارتجاج خفيفٌ إلى حدٍّ ما، وأرسلوها إلى غرفة الولادة.

كانت غرفة الانتظار الملحَقة بغرفة الولادة ملأى بنساء أخريات ببطون ضخمة مثل جبل نامسان، بعضهن يتشبَّثن بأذرع أزواجهن ويصرخن أنَّهنَّ على وشك الموت، بينما أخريات يتجوَّلن بلا مبالاة في أرجاء الغرفة، أو ينتحبن بهدوء، أو يتحدَّثن مع الممرِّضات. أمَّا بالنسبة لحالتها، فقد كان الجنين يهدِّد بالاندفاع خارجًا في أي لحظة وكان جسدها ينفتح ببطء مع كل ركلة. اجتاحها الألم. ومع تلاشيه، أصيبت بصداعٍ حادٍّ، شعرت معه كأنَّ قلبها في جمجمتها. حثَّتها الممرضات على المشي إنْ أرادت أن يخرج الطفل بشكل أسرع، لكن صداعها كان شديدًا، لدرجة أنها لم تستطع الجلوس حتى. استلقت في السرير، وحدَّقَت إلى السقف حتى أصبحت عيناها ملتهبتين من المصابيح الفلوريسنت البيضاء. خفق رأسها مع إيقاع دقَّات قلبها. شعرت برأسها تنفصل مسافةَ بوصة واحدة عن جسمها مع كل نبضة، وتطفو ببطء نحو السقف الأبيض. لكنها سرعان ما تلتصق بجسمها ثانية كلما داهمتها موجة أخرى من الألم تُجبِرها على التَّلوِّي مثل قطعة قماش مُبلَّلة. دفعتها التقلصات التي تجتاحها على مُدَدٍ مُتقطِّعة، والصداع، إلى الشعور بإحساس غريب بالسكينة، فيما يغمر الضوء الأبيض عينيها.

أصبحت الفواصل الزمنية بين الانقباضات أقصر، والألم طويلًا وعنيفًا بشكل لا يطاق. فحصتها الممرضة وقالت إنها جاهزة لدخول

غرفة الولادة. كان رأسها لا يزال يرتفع مثل البالون، ويهبط مع كل موجة من الألم. تشبَّثَت ببطنها وهي تخطو داخل غرفة الولادة. رفعت نفسها فوق طاولة الولادة. كانت تسمع بشكل غامض العَدَّ السريالِيَّ للطبيبة بينما تدفع بكل ما أوتيت من قوة.

ادفعي مرة أخرى. مُجدَّدًا. مرة ثانية...

انزلقت كتلة من بين ساقيها، أو بالأحرى تدفَّقت إلى الخارج. شعرت بارتياح سارٍّ في بطنها.

استلقت هناك بهدوء، في انتظار سماع بكاء الطفل.

ران الصمت.

لم تتحرَّك الطبيبة أو الممرضة. ولم يتحدث أي أحد.

بالكاد استطاعت أن تهمس: "ما الأمر؟ هل هو... ميت؟".

لا إجابة.

"هل الجنين ميِّت؟".

اخترق الرعب واليأس الفراغَ الخالي من أي مشاعر أو أفكار، المخضَّب بالأبيض، بداخلها، وراح يخنقها. جالت بعينيها في الغرفة، وواجَهَت صعوبة في الجلوس. أخذت ممرِّضةٌ الطفلَ برفق من يدي الطبيبة، وسلَّمَته لها.

كان "الجنين" عبارة عن جلطة دموية متكتِّلة باللونين الأسود والأحمر، وتنبعث منه رائحة معدنية خفيفة.

"ما هذا؟" سألت وهي تنظر حولها إلى الطبيبة والممرِّضات، وتدعِّم نفسها بإحدى ذراعيها، وتحمل الجنين بالذراع الأخرى. كانت الجلطة الدموية فوق صدرها دافئة.

"قلتُ، ما هذا؟".

ردَّت طبيبة التوليد بانفعال: "إنه طفل". كان وجهها نصفَ مُغطًّى بقناع جراحي، لكن ظلَّ جفنها الأزرق اللامع وكحل عينها الأسود واضحان.

"هذا... هذا طفل؟".

"أخبرتكِ أن تجدي أبًا للطفل. أنتِ مَن تركتِه ينمو بدون أب. هذا نتيجة ما اقترفته يداكِ".

كان صوت الطبيبة باردًا، وبدت عيناها وكأنهما تقولان: هذا كله خطؤكِ.

تلوَّت الجلطة الدموية.

جفَلَت.

قالت الممرضة، التي سلَّمتها الطفل، برقَّة: "الطفل يبحث عن أمه. إنه ينظر الآن إلى أمه. بادليه النظراتِ".

يمكنها أن تشعر بالجلطة الدموية وهي تنظر إليها. لكنها لم تستطع تحديد مكان العينين بالضبط، أو بصراحة تامة، أين ينتهي رأسها، ويبدأ جذعها.

في حيرة من أمرها، أدارت الجلطة الدموية بين يديها حتى تفحصها.

ظلَّ "الجنين" يتلوَّى، ثم بدأ فجأة يرتجف. سطعت الجلطة الدموية -مزيجٌ من اللونين الأحمر والأسود- لمدة وجيزة، شفافة وبلورية مثل جوهرة مُلطَّخة بالدماء.

في اللحظة التالية، تحلَّل "الطفل" في بِركَةٍ من الدم السائل.

تلطَّخَت يدها وصدرها بالدم، بينما ذراعها لا يزال مُقوَّسًا كما كان عندما كانت تحمل الطفل قبل ثوانٍ. حدَّقَت -خرساء- في صدر

ردائها المبقَّع، وبركة الدماء الصغيرة التي تشكَّلَت في منتصف طاولة الولادة.

انفتح باب غرفة الولادة ببطء. ودخل سائق سيارة الإسعاف، الرجل الذي قابلته في أول موعد غرامي مُرتَّب، بتردُّد إلى الغرفة.

قالت إحدى الممرضات: "غير مسموح لكَ بالتواجد هنا".

"أوه، أنا... أنا الوصي عليها. حسنًا، لست كذلك بعدُ... لكنني...".

استدار إليها، وقال متلعثمًا: "هل من الممكن أن أكون الوصيَّ عليكِ الآن؟ أتساءل إن كان الأوان لم يَفُت...". انحسرت كلامته بينما يلقي أخيرًا نظرة فاحصة على الحجرة، ويدرك أنها مُغطَّاة بالدم. "أوه، ذلك ليس..؟".

أدارت رأسها ببطء، وآلية، وحدَّقَت ببلاهة إلى وجه الرجل الحائر. ثم استدارت ثانية ببطء، وصعوبة نحو كتلة الدماء التي تتقاطر على السرير، الكتلة التي كانت من قبل جنينَها؛ طفلها.

غطَّت وجهها بيدٍ دامية، وشرعت في البكاء. دموع في البداية، سرعان ما تزايدت حتى صارت عويلًا لا يتوقَّف. سواء كانت دموع ارتياح أو دموع أسى على فقدان الطفل، أو شيئًا مختلفًا كلِّيًّا، لم يكن بوسعها تحديد ذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الأرنب المَلعُون

اعتاد جدِّي أن يقول: "عندما نصنع أصنامنا الملعونة، من الضروري أن تكون جميلة".

والمصباح، على شكل أرنب الجالس تحت شجرة، جميل حقًّا. يبدو الجزء المتعلِّق بالشجرة زائفًا بعض الشيء، لكن من الواضح أن الأرنب مصنوع بمحبَّة وعناية. أطراف أذني الأرنب وذيله أسود، وعيناه وجسمه أبيض كالثلج. مادَّته صُلبة، لكن جسمه وشفاهه الوردية مُصمَّمة حتى تبدو ناعمة الملمس. عند تشغيل المصباح وانبعاث الضوء منه، يبدو الأرنب وكأنه على وشك تحريك أذنيه أو هزِّ أنفه.

كل شيء له قصة. هذا الكائن ليس استثناءً، خاصةً أنه صنم ملعون.

بينما يجلس جدي على كرسي بذراعين بجوار مصباح الأرنب، يخبرني القصة نفسها التي رواها لي بالفعل مرات كثيرة.

المصباح كان مصنوعًا من أجل أحد أصدقائه.

يحظر صنع صنم ملعون من أجل الاستخدام الشخصي. أيضًا وفقًا للتقاليد العائلية، يُحظر لعن أي قطعة مصنوعة يدويًّا. تورَّث هذه القواعد غير المكتوبة لأجيال في مجال عمل عائلتنا؛ صنع أصنام ملعونة.

هذا الأرنب الاستثناء الوحيد.

يقول جدي: "كانت عائلة صديقي من حِرفيِّي صناعة المشروبات الروحية". ثم يضيف دائمًا: "هل تعرف معنى حرفيِّي صناعة المشروبات الروحية؟".

أعلم بالطبع. سمعت هذه القصة مرَّاتٍ عديدة، لكن جدِّي لم يمنحني الفرصة لأقول ذلك.

"شركة عائلته تضاهي الآن مصنع تقطير كحول. في ذلك الوقت، كان أكبر مصنع تقطير كحول في المنطقة. لا يمكنك العثور على شركة عائلية تصنع مثل هذه المشروبات الروحانية هذه الأيام، لكن عائلة صديقي كان لديها ذات يوم مصنع ضخم رائع وظَّف معظم الناس في الحي الذي أسكن فيه. في تلك الأنحاء، كان كل فرد في مجتمعنا يتطلَّع إلى عائلة حرفيِّي المشروبات الروحانية تلك".

لا يتذكَّر الجدُّ كيف أصبح هو -الذي اشتهرت عائلته بصنع الأصنام الملعونة- وابن هذه العائلة المحترمة، صديقين. قال لي عدة مرات: "أنا لا أتذكر حقًّا. عائلة جدي. عائلتي بعبارة أخرى، رسميًّا، حدَّادون. نحن في الواقع نصنع أو نصلِّح الأدوات الزراعية وشتى أنواع الأشياء المعدنية عند تكليفنا بذلك، لكن كل شخص في منطقتنا، حتى الأطفال الصغار، يعرفون طبيعة عملنا الحقيقي".

كل مهنة يُشار إليها بالمصطلح المهذَّب والمعاصر "الساحر" -الشامان، والعَرَّاف، والمُنجِّم، والحانوتي- كانت تُعامَل مثل القذارة في ذلك الحين. كان هذا التمييز جائرًا، لكن هذا ما كان عليه الحال. عائلة جدي، أو يجب أن أقول عائلتي، بالكاد مُنِحوا أبسط لفتات المجاملة. لم يكن لدى الناس أي فكرة عمَّن نكون. لم نكن شامانًا، ولم نقدِّم طقوس طرد الأرواح الشريرة في مقابل مادي، ولم نتمكَّن من التَّكهُّن بحظوظ الناس، ولم نكن مرتبطين تمامًا بأعمال تجهيز الجثث أو غيرها من أعمال الجنازات. امتلكنا شيئًا يتعلَّق بالسحر والتنجيم، لكن لم يجرؤ أحدٌ على أن يقول بصوت عالٍ ما كُنهُ هذا الشيء، وكانت تجارتنا المتعلِّقة بالحدادة مزدهرة بقوة على السطح. وعلاوة على كل هذا، انتشرت شائعة مفادها أننا سنلعن أيَّ شخص يحاول التَّعدِّي علينا. لن تستخدم عائلتي أبدًا صنمًا ملعونًا ضد شخص نعرفه شخصيًّا، لكن جيراننا لم يكونوا ليعرفوا ذلك، وحتى لو عرفوا، فلن يزعجونا على أي حال. في أي مناسبة، حصلنا على مساحة واسعة للعرض.

أصرَّ جدِّي مرارًا: "لكن صديقي لم يهتمَّ بهذا النوع من الأشياء". لم يعبأ هذا الصديق بالإشاعات حول البلدة، أو بهمسات الآخرين، أو النظرات المرعبة والفضولية للجيران. بالنسبة لابن حرفي المشروبات الروحية، كان جميع أطفال الحي أصدقاء له افتراضيًّا، ولم يمتنع عن اللعب مع أحدهم فقط بسبب مهنة والديه. ولأن ابن العائلة الغنية المالكة لمصنع التقطير، عَدَّ جدي صديقًا؛ قَبِل الأطفال الآخرون تدريجيًّا جدي أيضًا.

يؤكِّد جدِّي مرَّةً أخرى: "والداه كانا صالِحَيْن وحكيمَيْن. لم يستخدما أموالهما أو سلطتهما أبدًا ذريعةً لمعاملة الآخرين بقسوة: انحنيا بوقار مثل أي شخص آخر عند الترحيب بجيرانهما، وكانا دائمًا أول مَن يساعد في حفلات الزفاف والجنازات وما إلى ذلك".

تَصادَف أن تكون هذه العائلة، بلغة اليوم، روَّادَ أعمال مبتكِرين. كانت بداياتهم متواضعة، حيث عملوا على تقطير مجموعة من المشروبات الكحولية كلما شعروا بذلك لصالح جيرانهم، وانتقلوا إلى توحيد معايير إنتاجهم وتحديثها، وبالتالي توسيع شبكة مبيعاتهم على المستوى الوطني. ثم اندلعت الحرب الكورية. فرُّوا جنوبًا مثل أي شخص آخر، وعادوا فور أن وضعت الحرب أوزارها ليجدوا مصنع التقطير والحي في حالة خراب. لكن الأسرة لم تترك الإحباط يصيبها. على النقيض، كانوا أكثر إصرارًا من أي وقت مضى على استغلال هذا كفرصة لبدء إنتاج موحَّد وعصري حقًّا.

فهم صديق جدي طموحات والديه، وورثها هو بنفسه. "اعتقدنا أنه سيدرس إدارة الأعمال في الكلية لأنه سيصبح المالك، لكنه تخصَّص في الهندسة بدلًا من ذلك. قال إنه سيكتشف كيفية إنتاج مذاق النبيذ الذي يُقَطَّر يدويًّا من الأرز المطهوِّ بالبخار. فتى يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، تخرَّج حديثًا من المدرسة الثانوية، يقول إنه سيغزو العالم بمشروبات عائلته الروحية! كان زاخرًا بالحماسة حينذاك".

لكن ما دقَّ إسفينًا في خططه كان سياسة غذائية وطنية جديدة. كان جوهر هذه السياسة إصرار الحكومة على أن تحقِّق كوريا اكتفاءً ذاتيًّا من الأرز؛ وبالتالي بات استخدام الأرز في تخمير المشروبات الروحية محظورًا. الطريقة التقليدية -وهي صبُّ الماء فوق خليط من الأرز المستَنبَت والمطهو بالبخار وتركه يتخمَّر- استُبدلت بالإيثانول، وهو كحول صناعي، غمر السوق. لجعل هذا الحلِّ المقزِّز مستساغًا، خلطت شركات المشروبات الإيثانول بالماء والنكهات الاصطناعية.

حطَّم ذلك صديق جدي نفسيًّا. لكنه لم يستسلم. كان الأخير من عدة أجيال من حِرفيِّي التقطير المهرة، مُسلَّحًا بمعرفة دقيقة في هذا المجال بالذات. تقبَّل موقف الحكومة بأن الأرز نفيس، وأن

تناوله أهمُّ من شربه. بحث في طرائق الإنتاج التي يمكن أن تستعيد المذاق القديم من خلال محاكاة الأساليب اليدوية التقليدية -نسبة المكوِّنات، ومستوى الكحول، ودرجة حرارة التخمير، وأساليب التقطير- قدر الإمكان، في إطار الامتثال للسياسة الوطنية.

يتوقَّف جدِّي دائمًا دراماتيكيًّا عند هذه المرحلة من القصة. "إذن، ماذا حدث بعد ذلك برأيك؟ هل يمكنك تخمين ما إنْ كان قد نجح أو فشل؟".

مرة أخرى، سمعت القصة عدة مرات. أعرف الإجابة سلفًا. لكن كما هو الحال دائمًا، أبتسم وأهزُّ رأسي نفيًا.

"نجح. كان فتى ذكيًّا وعنيدًا". ثم يبتسم الجدُّ بحزن. "ولكن بعد ذلك خسر كل شيء".

كان صديق جدِّي يهتم فقط بتطوير مشروبات روحية لذيذة وصحية؛ لم يكن لديه فكرة أنه في العصر الجديد، عصر ما بعد الحرب، كانت الاتصالات مع كبار المسؤولين الحكوميين، وامتلاك شبكة علاقات، وعامل الترفيه المرتبط بصناعة الكحول، ودفع الرشاوى من حين إلى آخر، والتعامل من خلال الأبواب الخلفية- أهم من جودة المنتج أو التكنولوجيا المستخدَمة.

وكانت توجد شركة أكبر بكثير تضع سوق الخمور الانتقالي نصب عينيها، وهي شركة لديها علاقات سياسية قوية، وكانت ماهرة في التسويق للترفيه المرتبط بهذه الصناعة. كان لدى هذه الشركة الوقاحة للإعلان عن مزيجها من الكحول والنكهات الاصطناعية على أنه "مشروب الناس" و "طعم التقاليد". نشروا إعلانات قانونية في الصحف والتلفزيون في حين نظَّموا حملة افتراء موازية، روَّجوا فيها أكذوبة بأن شركة صديق جدِّي تخلط "الكحول الصناعي" في مشروباتها.

زعموا فِريةً أن أي شخص يشرب منها سيصاب بالعمى أو الإعاقة أو حتى التَّسمُّم القاتل.

انخفضت مبيعات صديق جدِّي بصورة حادَّة. توقَّف مصنعه عن العمل. بغَضِّ النظر عن عدد المرات التي أنكَرَت فيها شركتُه الأكاذيبَ التي نشرها منافسها الأكبر، رفض المستهلكون تصديقها. أراد صديق جدي أن يشرب مُنتَجَ شركته أمام الكاميرات لإثبات مدى أمانه، ولكن لم يرغب أي مذيع في تصويره على الهواء مباشرة. وما كان يوجد إنترنت في هاتيك الأيام، لم يكن ثمَّة مكان يلجأ إليه المرء في حالة نبذه من الصحف والتلفزيون. ولم يكن لدى صديق جدِّي أيَّ ملاذ قانوني أيضًا؛ لأنه لم يكن بإمكانك تسجيل المحادثات الهاتفية أو التقاط صور للرسائل الهاتفية في ذلك الوقت: كان من المستحيل تحديد كيفية انتشار الشائعات. قضت المحاكم بأنه لم يكن هناك افتراء أو تشهير، وانتهى الأمر بصديق جدِّي بتراكُم الديون عليه من عمله ومن الدعوى القضائية. ترك ملاحظةً اعتذر فيها من عائلته، وشنق نفسه، وهو لا يزال في الثلاثينيات من عمره فقط. زوجته، التي عثرت على الجثَّة، أغمى عليها عدَّة مرات خلال مراسم الجنازة، وسرعان ما ستلحق بزوجها في ذلك المكان الذي لا يمكنهم العودة منه أبدًا. لحسن الحظ، استقبل قريبٌ يعيش في الخارج أطفالَهما، الذين باتوا أيتامًا فجأة، وكان هذا آخر ما يسمع به أي شخص عنهم.

اشترت الشركة نفسها التي نشرت الأكاذيب حول "الكحول الصناعي" شركةَ مُنافِسها المدمَّرة بسعر أقلَّ بكثير من قيمتها السوقية. كما سُلِّمَت عمليات التصنيع التي كرَّس صديق جدِّي حياته لتطويرها إلى منافسه، الذي دفن المشروع في قاع قبو مظلم.

سألتُ بسذاجة عندما سمعت هذه القصة لأول مرة: "لماذا دفنوه في القبو؟".

أوضح جدِّي: "كان هدف تلك الشركة الشريرة بيعَ الكثير من المشروبات الروحية الرخيصة وكسب أكداس من المال، وليس ابتكارَ مُنتَجات جديدة أفضل. ولو كانوا عاجزين عن تحسين جودة منتجاتهم، فعليهم عندئذ منع الآخرين من القيام بذلك للحفاظ على قدرتهم التنافُسيَّة".

وهذا سبب صنع جدي الأرنب الملعون.

"ليس من الخطيئة إنتاج وبيع المشروبات الروحية الجيدة. ولكن بسبب الجرائم المزعومة المتمثِّلة في عدم الاتصال بأشخاص أقوياء، وعدم امتلاك رأس المال لعَقدِ مثل هذه الصِّلات؛ تحطَّمَت عائلة بأكملها وتبعثرت بقاياها في مهب الريح".

يهزُّ الجد رأسه. "كان صديقي صالحًا، وبالِغَ اللطف، ومكرِّسًا ذاته لشركته، ومخلصًا لزوجته... كان صديقًا رائعًا...". رغم سرده هذه القصة عشرات المرات، كان صوت جدي يرتجف دائمًا عندما يصل إلى هذا الجزء، عيناه تتحوَّلان إلى اللون الأحمر. "قَتلُهم جميعًا، تدمير عائلة... كيف يمكن السماح بمثل هذه الأشياء؟".

لكن مثل هذه الأشياء مسموح بها بالفعل، والأشخاص الذين يسمحون بها موجودون في كل مكان. وهذا بالضبط سبب تمكُّني -وجدِّي وأبي- من كسب لقمة العيش من الأصنام الملعونة.

لكن لم أقُل شيئًا لجدِّي. كالعادة، أستمعُ ببساطة إلى قصته، وقد صِرتُ معتادًا على سماعها مرات عديدة.

هدف اللعنة يجب أن يلمس الصَّنم الملعون بيديه. هذا أهم جانب في أي صنمٍ ملعون، وأصعب جزء في جعله يعمل. استدعى الجدُّ جميعَ صِلاته، القويَّة والضعيفة المستوى، للتواصُل مع شخص يعرف شخصًا يعرف آخر يعمل لدى مقاول فرعيٍّ للشركة التي دفعت صديقه للانتحار. طلب من الشخص الأول تسليمَ مصباح الأرنب إلى

الرئيس التنفيذي للشركة المنافسة. كان يوجد مفتاح مدفون في الجزء الخلفي من الأرنب يجعل النور يُضاء عند ضربه، فيبدو مثل أرنب أليفٍ حقيقي على قَيْد الحياة.

هذا الشخص الذي يعرف شخصًا يعرف آخر فَعَل ما قيل له. زار الرئيس التنفيذي للشركة المنافسة وقال إن المصباح كان هديَّةً من شركة المقاول الفرعي، موضِّحًا له مفتاح التشغيل والإيقاف بيدين ترتديان القفازات. أومأ الرئيس التنفيذي ببساطة برأسه، مشتِّتًا ببعض الأوراق التي كان يوقِّعها، ثم تلقَّى مكالمة عبر مساعِدته وغادر مكتبه فجأة، قائلًا إن لديه اجتماعًا مع أحد أعضاء الجمعية الوطنية.

هذا الشخص الذي يعرف شخصًا يعرف آخر لم يكن لديه خيارٌ سوى ترك مصباح الأرنب خلفه في مكتب الرئيس التنفيذي. في طريقه للخروج، ناشد مساعِدةَ الرئيس التنفيذي الجالسة في الخارج أن لا تسمح لأي شخص بلمس المصباح باستثناء الرئيس التنفيذي، ولكن نظرًا لأنه كان مجرَّد شخص نَكِرَة، يعمل مع مقاول فرعي؛ فقد أومأت المساعِدة برأسها كما فعل رئيسها وعادت لقراءة مجلتها.

بعد أن سمع جدي بما حدث، تنهَّد وهو يفكر كيف أن مسار اللعنة سيتغير قليلًا.

لكنه اعتقد أنه طالما كان الأرنب الملعون في مكانٍ ما في منزل الرئيس التنفيذي أو مكتبه، فلم يفشل الأمر كلِّيًّا.

ربض مصباح الأرنب فوق مائدة داخل مكتب الرئيس التنفيذي مدة يوم واحد، قبل أن يُنقل إلى حجرة مستودع الشركة في حين كان العُمَّال يستعدُّون للرجوع إلى منازلهم. في تلك الليلة، قضم الأرنبُ أيَّ وكلَّ ورقةٍ داخل المستودع: صناديق من الورق المقوَّى، وجرائد مُجعَّدة تُستخدَم في التعبئة والتغليف، وأكوام من المستندات القديمة، ودفاتر حسابات تعود إلى سنوات طويلة. لم يأتِ أحدٌ إلى المستودع

ليلاً قطُّ؛ مـمَّا أتـاح الفرصـة للأرنـب أن يقضـم مـا طـاب لـه مـن الـورق دون إزعـاج.

في صبـاح اليـوم التـالي، عندمـا فتـح حـارس المسـتودع الأبـواب، كانـت الأرضيـة مـلأى بقصاصـات الـورق وفضـلات الأرانـب. تمتـم الحـارس بـشيء عـن الفـئران، وشراء سُـمٍّ الفـئران أثنـاء تنظيفـه تلـك الفـوضى.

الأرنـب، الـذي لم يلاحظـه أحـدٌ في زاويـة المسـتودَع، كان يقضـم أوراق الأرشـيف طـوال الليلـة التاليـة أيضًـا. كان رجـل الأمـن يمـرُّ مـن حـين لآخـر خـارج البـاب، بينـما كان الأرنـب يمضـغ الأوراق داخـل المسـتودع، وكان الحـارس الليـلي أيضًـا يسـير كالمعتـاد مـع مصبـاح يـدوي في يـده، لكـنَّ الرجلـين كانـا يلقيـان نظـرة خاطفـة فقـط إلى النافـذة الصغيـرة أعـلى بـاب المسـتودع؛ مـا كان لأحدهـم أن يتخيَّـل مـا كان يجـري في الداخـل. حالمـا فـرغ الأرنـب مـن مضـغ كل قطعـة ورق في المسـتودع، انتقـل إلى الخشـب.

لمـح أحـد الحـراس شـيئًا أبيـض داخـل المسـتودع. بـدا وكأنـه قطعـة قُطـنٍ منفوشـة، لكنهـا اختفـت عندمـا اقـترب منهـا. اعتقـد أن تيَّـارَ هـواءٍ قـد دفعهـا بعيـدًا. في اليـوم التـالي، أصبـح الجسـم الصغـير الأبيـض ثلاثـة، ثـمَّ سِـتَّة في اليـوم التـالي لذلـك. اعتقـد الحـارس أن الشـخصيات البيضـاء المتقهقـرة تبـدو وكأنهـا تقفـز مثـل الأرانـب، لكـنَّ الأرانـب البريـة لا يمكـن أن تعيـش في ذلـك الجـزء مـن المدينـة. لم يفكـر كثـيرًا في الأمـر؛ كانـت ثمـة شـاحنات يجـب تحميلهـا مـن أجـل تسـليمها إلى المكاتـب الفرعيـة. الحـارس، وعامـل الفـرع، وسـائق الشـاحنة- لم يلاحِـظ أيٌّ منهـم الأرانـب البيضـاء ذات الآذان والذيـول المرقَّطـة بالأسـود التـي قفـزت عـلى متنهـا مـع صناديـق الكحـول.

بعـد مـدَّة وجيـزة، أبلَغَـت مسـتودعات كلٍّ مـن المقـرِّ الرئيـسي والفـروع، وكذلـك تُجَّـار التجزئـة، عـن عـدوى مُعيَّنـة أدَّت إلى انتشـار الـورق والخشـب المقضـوم، وفضـلات بحجـم البـازلاء في كل مـكان. لم تُجـدِ

مصائد وسمُّ الفئران نفعًا، ولم تساعد حتى القطط. ألقى أحدهم نظرة سريعة إلى الفضلات، ولاحظ أنها كانت كبيرة جدًّا لتكون فضلات فئران، وبدت أشبهَ بتغوُّط الأرانب. المرأة التي قدَّمت هذا الرأي الدقيق موظَّفةٌ، ولديها ابنة أخت في المدرسة الابتدائية تربي الأرانب من أجل أحد دروس مادة الأحياء، وقد زارت كوخ الأرانب عدَّةَ مرَّات لإطعامها العشب الجاف. لكن لم يرَ أحدٌ في الفروع، أو بائعو التجزئة، أيَّ أرانب داخل المستودعات، ولم تكن الموظفة خبيرة في الأرانب، فقط امرأة أمضت أيامها في الجرد وجلب القهوة حتى تحين اللحظة التي ستترك فيها العمل حتمًا من أجل الزواج. تجاهلها الجميع.

أجبر مقرُّ الشركة الرئيسي وجميعُ الفروع كلَّ موظَّفٍ على المشاركة في حملة اصطياد الفئران في جميع المستودعات. قُبِض بالفعل على العديد من الفئران، وبفضل الحملة، رغم أنها تركَت العمَّال مُنهَكين، باتت المستودعات أنظف. لكن كل ما استغرقه الأمر ليلة واحدة حتى تمتلئ أرضيات المستودعات من جديد بالورق المقطَّع، فضلًا عن فضلات أكبر من أن تكون فضلات فئران.

مع استمرار تعرُّض الورق للتَّلَف، قرَّرَت الشركة نقل أهم مستنداتها، مثل دفاتر الحسابات القديمة ومخطَّطات المصنع، إلى مكاتبها الرئيسية. أثناء قيامهم بذلك، لم يلاحظ أحدٌ أن الأرانب البيضاء ذات الآذان والذيول المرقَّطة بالأسود، غير المرئية تحت أشعَّة الشمس، تنتقل أيضًا إلى المكاتب.

انتشرت شائعة مفادها أن مصنع تقطير المشروبات الروحانية قد غزته الفئران. نظرًا لأن الكثيرين من السكان المحليين يعملون في جميع أنحاء الشركة -في المقر الرئيسي، والفروع، والمستودعات، والمصنع- كان لا مفرَّ من تسرُّب هذا الخبر في الأنحاء.

طرد أحدُ الفروع عامِلَ مستودَعٍ من باب التحذير، بينما جمع قسمٌ آخر عُمَّاله كلهم معًا في غرفة واحدة، وطُلِب منهم توخِّي الحذر بشأن نشر الشائعات. تَصادَف أن العامل المفصول كان يعتني بأمِّه العجوز طريحة الفراش بالإضافة إلى ثلاثة أبناء وخمسة من أشقائه الصغار، وقد أمسكه الحارس الليلي لاحقًا عندما اقتحم المستودع بحاويةٍ ملأى بالبنزين لإشعال النار في المكان. في هذه الأثناء، في المنطقة التي كانوا يجمعون فيها العُمَّال لإلقاء محاضرات تحذيرية على مسامعهم حول نشر الشائعات، ظهر مقال رأيٍ احتلَّ صفحة كاملة في الصحيفة المحلية حول مخاطر الفئران عندما يتعلَّق الأمر بسلامة الأغذية.

انتشرت الأخبار حول مشكلة "الفئران" كالنَّار في الهشيم في جميع أنحاء المنطقة، وقرَّرَت الشركة استضافة حفل تذوُّقٍ عندما اعتقدوا أنهم تجاوزوا النقطة التي كان تهديد العُمَّال فيها مؤثرًا. توصلوا إلى خطَّةٍ حيث أغدقوا على العمال وعائلاتهم، والأشخاص الذين يعيشون بالقرب من المصانع، والأهم من ذلك، أعمدة المجتمع والأشخاص الهامين الآخرين في المنطقة- بالمشروبات الروحية من المستودعات، وأظهروا كيف لا توجد مشكلة مع سلامة الأغذية أو جودة منتجاتهم، ومدى مساهمة الشركة في المجتمع المحلي.

أقيم الحدث على مروج المقر الرئيسي. حضر الرئيس التنفيذي بنفسه، وكذلك فعل ابنه، نائب الرئيس الذي كان لديه طفلٌ في المدرسة الابتدائية. حفيد الرئيس التنفيذي، الذي شعر بالملل من الخُطَب الطويلة والموسيقى الصاخبة، والأهم من ذلك كله أولئك البالغين الثَّملين المنغمسين في العربدة والشرب، انسلَّ مبتعدًا، وراح يتجوَّل في أرجاء مقر الشركة. وجدته زوجةُ ابن الرئيس التنفيذي جاثمًا أمام باب المستودع المفتوح. قال الطفل لها: "كنت ألعب مع الأرانب". سألت أين هم. جرَّها الصبي بيده إلى المستودع. وأشار إلى

مصباحٍ أرنب يربض فوق خزانة ملفَّات فولاذية مغبرَّة، وتوسَّل إليها للسماح له بأخذه إلى المنزل.

قالت والدته إنهم بحاجة إلى سؤال جدِّه لأن هذا الشيء يخصُّ الشركة، وسرعان ما نسيته وهي تسحب ابنها إلى الحفل في الهواء الطلق. لكنَّ الصبي لم ينسَ. عندما سمع جدُّه الثَّملُ ما قاله له الصبي عن رغبته في الحصول على شيء غريب في المستودع، قال له أن يمضي قُدُمًا في ذلك قبل أن يعود إلى الشرب مع الكبار الهامِّين.

كان الحفل الدعائي ناجحًا. سهر الجميع، وشربوا الكحول المجاني حتى الساعات الأولى من الصباح. بعد أن تحمَّلَت الأمر لأطول مدة ممكنة، غادَرَت زوجة ابن الرئيس التنفيذي مع الطفل عندما بدأ يئنُّ من الإرهاق. عانق الصبيُّ مصباحَ الأرنب بإحكام في السيارة التي حملته إلى المنزل.

بدت شائعة "الجرذان" وكأنها قد اختفت أخيرًا، والسبب الأساسي للشائعات -مصباح الأرنب- قد انتقل من المستودع إلى منزل نجل الرئيس التنفيذي.

لكن الأرانب الذين انتشروا بالفعل في جميع أنحاء فروع الشركة ومستودعات تجار التجزئة لم يختفوا. أولئك الذين انتقلوا إلى المكاتب مع الوثائق لم يختفوا أيضًا. استمرُّوا في التكاثر ومضغ كل شيء في مرمى أبصارهم.

كل ليلة داخل الأدراج والخزائن الفولاذية، كانت جميع أشكال المستندات -نماذج الطلبات والعقود، ومراجعات أداء المهام، ودفاتر الحسابات، والبيانات المالية- تُمضَغ إلى فتات.

حتى بعد نقل أهم المستندات إلى الخزنة، بدأت الأموال النقدية والشيكات وسندات الأذونات في التلاشي أيضًا.

أجرت الشركة عملية إبادة احترافية على مستوى المبنى كله، حيث ألقت كل الأشياء في الأفنية، بما في ذلك محتويات القبو. في خِضمِّ كلِّ هذا، أدَّى حفيد الرئيس التنفيذي واجباته المدرسية على ضوء مصباح الأرنب في المنزل، ونام في سرير بجواره مباشرة. أحبَّ الصبيُّ مصباح الأرنب اللطيف الجالس تحت شجرةٍ، وتَفاخَر أمام أصدقائه بأنه هدية وصلت إلى جده من خارج البلاد. لمس حفيد الرئيس التنفيذي المصباح عدَّة مرات في اليوم، ضاربًا ظهر الأرنب من أجل تشغيل وإطفاء الضوء.

لم يمضغ الأرنب الورق في منزل ابن الرئيس التنفيذي.

مضغ شيئًا آخر بدلاً من ذلك.

كان حفيد الرئيس التنفيذي في سنته الأخيرة في المدرسة الابتدائية. بالإضافة لكونه أصغر حجمًا من المتوسط بالنسبة لعمره، فقد كان فتى قويَّ البنية، ليس له تاريخ مَرضي. وفقًا لأمه، كان طفلاً وديعًا بدرجة كافية، استمتع بالذهاب إلى المدرسة وأبلى بلاء حسنًا في دراسته، وإن كان متحمِّسًا بعض الشيء لركل الكرة أكثر من أداء واجباته المدرسية أو تكثيف المذاكرة من أجل الامتحانات.

لم ينتبه أحدٌ كثيرًا في البداية عندما أخذ ينسى واجباته المدرسية وأدواته الدراسية. كان حفيد صاحب المصنع، وطالما كان طالبًا جيدًا؛ لم يوبِّخه المعلم على تقصيره بقدر ما ذكَّره بما نسيه. لكن سرعان ما بدأ الطفل في نسيان ليس فقط واجباته المدرسية، ولكن حقيقة أنه كُلِّف بها في المقام الأول، وفي نوبة غضب، هاجم مُعلِّمه؛ ممَّا دعا إلى الاتصال بالمنزل. قال المعلم للأم: "من فضلك ضعي في اعتبارِكِ أن الأطفال يدخلون سنَّ البلوغ مبكرًا هذه الأيام، ويمكن أن يصبحوا مزاجيِّين".

مع اقتراب نهاية عطلة الشتاء، تنامى هَوَسُ الصبي بالطعام. أصرَّ على أنه لم يأكل عندما كان من الواضح أنه تناول وجبته، واختلس طعامًا إضافيًا من الثلاجة، وأخفى الوجبات الخفيفة في جميع أنحاء المنزل، وكان يصبُّ جام غضبه على أمه عندما تحاول انتزاع الطعام منه. افترضت عائلته أنه كان صبيًا يكبُر جسمانيًا، معتقدين أنه يمر بطفرة النمو، واشتروا له المزيد من الطعام بأصناف متنوِّعة، لكن جشع الصبي وجنون الارتياب وتقلُّب المزاج لديه ساء فحسب.

ثم، في أول يوم مدرسي في الربيع، تاه الصبي وهو في طريقه إلى المنزل. كان هذا المسار نفسه الذي سار فيه كل يوم دراسي على مدار السنوات الست الماضية، وهي مسافة يمكن أن يقطعها في عشر دقائق، خمس عشرة دقيقة على الأكثر.

وجدته إحدى الجارات جالسًا في منتصف الطريق، وقد أصابه الدوار من التَّجوُّل في محيط المدرسة مدة طويلة. رائحة الصبي مُريعة. الجارة التي أحضرته إلى والدته، ذكَرَت بشكلٍ محرج أن الصبي بدا وكأنه قد تغوَّط في سرواله، واستدارت وهرولت مبتعدةً قبل أن تتعافى والدة الصبي من الصدمة، وتشكرها.

اصطحب الوالدان الصبيَّ إلى الطبيب. أوصى طبيب الأطفال المحلي بنقله إلى مستشفى أكبر. لكن حتى المستشفى الجامعي في المدينة لم يَجِد شيئًا خاطئًا به، كان هذا قبل زمن وجود التصوير بالرنين المغناطيسي. لاحظ طبيب الأطفال في المستشفى الجامعي، مع ذلك، أن عيني الطفل بدتا زائغتين وهو يتأرجح بجسده ذهابًا وإيابًا مغمغمًا بكلام غير مفهوم، وأنه تبوَّل على نفسه مكان جلوسه. أوصى الطبيب باستشارة معالج نفسي. سقط كرسيه جانبًا حين قفز والد الطفل على قدميه وصرخ: "هل تلمِّح إلى أن ابني مجنون؟!". تحوَّل وجهه إلى اللون القرمزي، وصرخ الأب بأبشع الشتائم في وجه الطبيب وهو

يدفع زوجته المتوسلة جانبًا، ويمسك طفله بين ذراعيه قبل أن يغادر المستشفى. توسَّلَت الأم البريئة باكية إلى الطبيب حتى يسامحهم في حين تنحني له عدَّة مرات قبل أن تلحق بزوجها.

ازدادت حالة الطفل سوءًا بعد زيارته المستشفى الجامعي. لم يَعُد الطفل قادرًا على التَّعرُّف على وجهي والديه، وتغوط في سرواله مرَّاتٍ عديدة، ولم يتمكَّن من المشي على نحو صحيح، وظلَّ يتمتم إلى نفسه، ولكنه لم يَعُد يشكِّل كلمات ذات معنى. قضى معظم يومه مستلقيًا فوق السرير، يحدِّق إلى السقف بعيون شاردة، يبقبق بفمه بين الحين والآخر، لكن الشيء الوحيد الذي كان يفعله دون انقطاع هو الهوس بمصباح الأرنب. نقل الطفل مصباح الأرنب من فوق مكتبه إلى منضدة بجانبه، وراح في حين يغمغم إلى السقف، يستدير وينظر إلى المصباح بين فينة وأخرى، الفعل الذي بدا وأنه يطمئنه. في المقابل يغدو قَلِقًا ويصرخ كلما حاول أي شخص آخر أن يلمسه.

أثناء نومه، كان الطفل يلوي أحيانًا أنفه أو يقضم بأسنانه أو يحرِّك أذنيه مثل الأرنب، لكن لم يلاحظ ذلك أيٌّ من البالغين من حوله. في أحلامه، جلس الطفل تحت شجرة رُفقةَ أرنب أبيض بأذنين وذيل مرقَّط بالأسود، راح يلتهم بسرورٍ نسيج دماغه. وكلَّما أخذ قضمة، أصبح عالَمُ الطفل أضيقَ، حتى ما عاد قادرًا على ترك مساحة الأرض الصغيرة التي تَقاسَمها تحت الشجرة مع الأرنب. بحلول ذلك الوقت، لم يكن قادرًا على فهم أي شيء باستثناء سعادته بالتواجد مع صديقه الأرنب.

في حين يحتضر حفيد الرئيس التنفيذي ببطء على السرير بجوار مصباح الأرنب، تغيَّرَت الفصول، كما تغيَّرَت الحكومة والعالم كله. الأشخاص الذين مكَّنوا الرئيس التنفيذي من احتكار سوق الخمور

بمشروباته الكحولية الرخيصة التي لا طعم لها، فقدوا مناصبهم في السُّلطة. خضعت الشركة، لأول مرة منذ تأسيسها، لتفتيش ضريبي.

بحلول ذلك الوقت، كانت الأرانب غير المرئية قد مزَّقت تقارير أداء الشركة، ودفاتر الحسابات، والبيانات المالية والمذكِّرات اليومية. كل إخطار بصافي الأرباح قبل الفوائد والضرائب، وكل سجلٍّ ضريبي مدفوع إلى دائرة الضرائب الوطنية، كان كل شيء ممزقًا وغير مقروء تمامًا.

انتقلت الأرانب إلى ورق جدران مبنى المكتب، وتركت آثار أسنان على الجدران والأبواب. لم تكن المستندات الهامة للشركة الآن سوى كومة من فراش هامستر، وبدأ المبنى نفسه يتراءى رثًّا. كان من الواضح للعُمَّال أن الشركة، من الداخل والخارج، تنهار. لكن الرئيس التنفيذي رفض الاعتراف بذلك، واستمرَّ في غَضِّ الطرف.

استلقى حفيد الرئيس التنفيذي في السرير مدة طويلة، محدِّقًا في السقف بعيون زائغة، يتنفَّس ولا يفعل شيئًا آخر.

ثم ذات يوم توقَّف الطفل عن التَّنفُّس.

عند عودته إلى المنزل من الجنازة المهيبة التي أقاموها لابنه، حبس الأب نفسه في غرفة ابنه المتوفَّى، وبكى طويلًا. وضع مصباح الأرنب الذي كان ابنه يحبُّه كثيرًا في حِجره، وناح باسم ابنه مرارًا وهو يضربه.

قرَّرَت دائرة الضرائب الوطنية أن الشركة لا يجب فقط أن تُسدِّد جميع الضرائب التي كانت تتهرَّب من دفعها بمهارة في الماضي، بل حتى الضرائب التي دفعتها بالفعل، بالإضافة إلى الفوائد. بغضِّ النظر عن مدى استماتة الشركة في محاولتها لإثبات أنها دفعت الأخيرة، لم يكن لدى الشركة مستند واحد مقروء لتقديمه دليلًا.

عندما بدأت همسات بأن عمليات الشركة المادية ومستنداتها المالية قد اختفت، أصرَّ المدينون على عدم وجود دليل على أنهم مدينون للشركة بأي شيء، ورفضوا الدفع. في الوقت نفسه، طالب دائنو الشركة بالدفع على الفور. كان الرئيس التنفيذي غاضبًا. ذهب إلى خزنة سرِّيَّة حيث كان يحتفظ بمفكِّرة لا يعرفها إلا هو، سِجل لجميع أصول الشركة وسنداتها ووثائق الدين. ولكن عندما فتح الخزنة، وجد مُفكِّرته السرية الموثوق بها مُمزَّقة إلى أشلاء، مُضِغت إلى أجزاء- كومة من عجينة عديم الفائدة.

لا بُدَّ أن تكون هذه اللحظة التي كان من المفترض أن يُصاب فيها الرئيس التنفيذي بجلطة، ولا يستعيد وعيه بعدها أبدًا. ومع ذلك، لم يكن الأرنب الملعون بهذا السخاء. لم يُصَب الرئيس التنفيذي بجلطة دماغية. كان نجل الرئيس التنفيذي هو الذي أصيب بجلطة دماغية. بعد أن بكى الرَّجلُ حتى نام على سرير ابنه الميت، استيقظ في صباح اليوم التالي، ووضع قدمه على الأرض... وسرعان ما كسر كاحله الأيمن. عندما سقط، ألقى بذراعه اليسرى لحماية رأسه، فانكسرت في ثلاثة مواضع، مع إصابته بشرخ شَعريٍّ[1].

كان ابن الرئيس التنفيذي بالكاد في الأربعين من عمره، وكان رجلًا بالغًا يتمتع بصحة جيدة. لم يتعرَّض قَطُّ لإصابة خطيرة في حياته، ولم يكسر عظامه من قبل.

عندما كان نجل الرئيس التنفيذي يرقد في السرير مع جبيرة كبيرة فوق ساقه اليمنى وذراعه اليسرى بعد تثبيت مسامير معدنية جراحيًّا في العظام، بدأت الشركة في التدهور بمعدَّلٍ سريع. كان الرئيس التنفيذي مشغولًا للغاية بالركض، بعيدًا عن الدائنين، ووراء المدينيين، لدرجة أنه لم يكن لديه حتى الوقت لزيارة ابنه الوحيد في المستشفى. استجوب

(1) نوع من أنواع الكسور التي لا تُسبّب افتراق العظم عن بعضه. (المترجم).

نجل الرئيس التنفيذي زوجته بقلق بشأن ما يجري في الشركة. وبناء على ذلك قرَّر أنه لا يمكنه الاستلقاء في المستشفى فحسب في حين الشركة تنهار، فحاول النهوض من السرير. لكن في اللحظة التي وضع فيها قدمه اليسرى السليمة على الأرض، تحطَّمَت. سقط وكسر عظمة العجُز.

استغرقت العملية اللاحقة تسع ساعات كاملة. بعد ذلك، أُعيد إلى غرفته بالمستشفى حيث، تحت تأثير التخدير، استراح بلا حراك مدَّةً طويلة، باستثناء حركة شفتيه اللتين تتلويَّان من حين لآخر.

واصل الأرنب القضم.

جاء الرئيس التنفيذي أخيرًا لرؤية ابنه في المستشفى في اليوم الذي أفلست فيه الشركة. مثل المومياء، كان ابنه ملفوفًا بالكامل تقريبًا بالضمادات، ويستغرق في النوم سريعًا بفضل المهدئات.

عندما استفاق من تأثير المُخدِّر في المرة الأولى، تمتم بشيء عن أرنب جالس فوق السرير. في البداية، لم يأخذ أحدٌ كلماته على محمل الجد. أصرَّ نجل الرئيس التنفيذي على وجود أرنب جالس على السرير يأكل بطانيته. لم يأخذ أحدٌ ذلك على محمل الجد أيضًا. أخيرًا صرخ نجل الرئيس التنفيذي قائلاً إن الأرنب يأكل قدميه، وحاول القفز من السرير. طلبت زوجته الحائرة المساعدة، واندفعت مجموعة من الممرِّضات وحاولن كبح جماحه. قاوم الرجل، وصرخ بشيء غير مفهوم عن الأرانب. رفعت ممرِّضتان ذراعيه وعانقت زوجته جذعه. هكذا انكسرت ذراعه اليمنى، وتصدَّعت اثنتان من ضلوعه.

بعد ذلك، في كل مرة يفتح فيها عينيه، يصرخ نجل الرئيس التنفيذي حول الأرانب، وتنكسر عظامه في كل مرة يقيِّدون حركته فيها. انكسرت عظامه في حين يحاول الأشخاص المساعدة في تثبيته في مكانه، وانكسرت عندما ضرب يده في مقابل ظهر السرير أو قاوم

الجبيرة. كانت الطريقة الوحيدة لتمكين تعافيه هي إبقاءه مخدَّرًا باستمرار.

حدَّق الرئيس التنفيذي في وجه ابنه غير المستجيب، المغلَّف بالضماد، الذي كان حبيسَ يأسٍ متبلِّد. كان حفيده الغالي قد مات بالفعل، وأصبح ابنه وريثه الوحيد، ابنٌ كان الثالث في سلسلة أجيال من الأبناء الوحيدين، هذه الكتلة المهشَّمة عديم القيمة المستلقية أمامه.

ضاعت الشركة، ولم يتبقَّ له سوى الديون: الضرائب والغرامات غير المسدَّدة، وأقساط القروض، ورسوم مستشفى ابنه. عجز عن إخراج ابنه الذي تتحطَّم عظامه لأقل لمسة من المستشفى. وسينتهي الأمر برُمَّته إن سُجِن هو بتهمة التَّهرُّب الضريبي.

يتوقَّف جدِّي عن سرد القصة ويحدِّق في المصباح. الأرنب تحت الشجرة ممتلئ الجسم، فروه أبيض، باستثناء أطراف أذنيه وذيله: سوداء. مصنوع من مادة صلبة، لكن يبدو الأرنب المضيء بجوار جدِّي، مُغطًّى بفراء ناعم، أذناه وكأنهما على وشك الارتعاش، وفمه على وشك القيام بحركات القضم.

أسأل: "إذًا ماذا حدث بعد ذلك؟".

بالطبع، أعرف ما سيحدث بعد ذلك. الأسئلة التي أطرحها عندما يتوقَّف جدي عن سرد القصة في الأماكن المتوَقَّعة ليست أسئلة بحدِّ ذاتها، ولكنها تستهدف حثَّه على متابعة الروي، توجيهات مسرحية غير مكتوبة توصَّلنا إلى اتفاق ضمني بشأنها بشكل أو بآخر عبر السنين.

يقول جدي وهو يداعب أذني الأرنب ورأسه: "ماتوا جميعًا. توفي ابن الرئيس التنفيذي في المستشفى، وأقيمت جنازة له، وفي اليوم التالي، رمى الرئيس التنفيذي نفسه من فوق سطح مبنى شركته".

يهزُّ الأرنب طرف أذنيه.

لا تصنع صنمًا ملعونًا لأسباب شخصية. لا تستخدم أبدًا شيئًا مصنوعًا يدويًّا في لعنة شخصية. ثمة أسباب وجيهة لهذه القواعد غير المكتوبة.

يوجد مثل ياباني يقول: "لَعنُ الآخرين يؤدي إلى قبرَيْن". من المؤكد أن أي شخص يلعن شخصًا آخر سينتهي به المطاف بالتأكيد في قبر أيضًا. قبر للَّاعن وقبر للملعون.

رغم وجود أكثر من قبرين في حالة جدي؛ الرئيس التنفيذي الذي لعنه جدي، وابن الرئيس التنفيذي، وحفيد الرئيس التنفيذي. كلهم موتى. وحتى يومنا هذا، لا أحد يعرف مكان قبر جدِّي. غادر المنزل ذات يوم، ولم يَعُد أبدًا.

حسنًا، لا. أفترضُ أنه عاد.

في الأمسيات عندما يكون القمر مُغطًّى بالغيوم القاتمة، أو عندما تمطر بغزارة بحيث يبدو أن زخَّات المطر تحجب ضوء مصابيح الشوارع، أو في الليالي المظلمة والكئيبة بحيث لا يستطيع أي ضوء، طبيعيًّا كان أم صناعيًّا، اختراقها، يظهر الجد جالسًا فوق كرسي بذراعين بجوار النافذة، يشعل مصباح الأرنب، ويبدأ في سرد القصة نفسها التي أخبرني بها عشرات المرات من قبل.

ربما هذه لعنة جدي.

أو نعمته.

يقول: "الوقت متأخِّر. عليك أن تنام مبكرًا إن كنت تريد الذهاب إلى المدرسة غدًا".

تجاوَزتُ سِنَّ الالتحاق بالمدرسة كثيرًا. ما عاد أي أحد في هذا المنزل يذهب إلى المدرسة. لكن أجيب بالطريقة نفسها دائمًا. "أجل، يا جدي. ليلة سعيدة".

ثم، بدافع رغبةٍ مُلِحَّة، أعطي خدَّه المتجعِّد قَرصةً خفيفة.

ثمة زمن تساءلت فيه عمَّا إنْ كان ينبغي أن أسأله كيف مات، وماذا حدث لجسده، أو مكان قبره. فكَّرتُ في الأمر عدَّة مرَّات. لكنني الآن أقمع بحزمٍ الرَّغبةَ في السؤال كلَّما هدَّدت بالاستحواذ عليَّ.

لو تذكَّر جدي كيف مات، فربما يتوقَّف عن المجيء. والأسوأ من ذلك، أنه قد لا يتذكر، ويترك أسئلتي دون إجابة، وقد تجعله دهشته من أسئلتي يختفي نهائيًّا. لم أستطع تحمُّل حدوث ذلك.

لذلك أنا لا أقول شيئًا. أستدير بهدوء، وأرجع إلى غرفتي، وأغلق الباب.

لكن ليس بشكل كامل. أتركه مواربًا لأرى جدي لا يزال جالسًا على الكرسي ذي الذراعين، ومصباح الأرنب الجميل يضيء بجانبه. المنظر يطمئنني.

"عندما نصنع أصنامنا الملعونة، من المهم أن تكون جميلة".

هذا ما اعتاد جدي قوله. وتجارة العائلة أحسن من أي وقت مضى هذه الأيام.

إن واصلت القيام بالعمل الذي أقوم به الآن، فسوف ينتهي بي المطاف مثل جدي: ميِّتًا، ولكن ليس ميِّتًا تمامًا، جالسًا في ظلام حجرة معيشة في ليلة غير مقمرة أمام جسم يُبقيني متصلًا بعالم الأحياء.

لكن بحلول الوقت الذي سأجلس فيه على الكرسي بذراعين بجوار النافذة، لن يكون ثمة طفل أو حفيد يستمع إلى قصتي. وفي حياتي الملتوية البائسة هذه، تظل تلك الحقيقة بحدِّ ذاتها عزائي الوحيد.

أغلقُ الباب، وأسير عبر الممر في ظلام دامس.

بيتي العزيز

"لا بُدَّ وأنك تعلم قطعًا أنه من باب اللباقة فقط أن تعوِّضني بمبلغ ثلاثين مليون وون في هذه الحالة، إن كنت تعرف ما أعنيه يا عزيزي". تحدَّثت مالكة مطعم يخنة نقانق الدم إلى الشَّابَّة وزوج الشَّابَّة في ارتباك مُضطرب على نحو غريب؛ تخلط بين أسلوب الحديث المهذب، وغير الرسمي المجرد من أي تكليف.

تدخَّل زوج مالكة المطعم في الحديث: "لا يبدو أنكم أيها الشباب، تعرفون جيدًا الطرائق التي يسير بها العالم هذه الأيام. ولكن إن عجزتما عن فعل هذا الشيء الصغير، فقد تصبح حياتنا جميعًا بائسة". رمقهما بنظرات ذات مغزى في حين يقول هذا.

أومأ الرجل ذو الرداء الأسود، الذي كان يقف بجانب مالكة المطعم وزوجها، ثم ابتسم بصمت.

قال زوج الشابة لثلاثتهم: "معذرة، لكن تبادُل قسط إيجار[1] ليس سوى ممارسة تقليدية بين المستأجرين، أليس كذلك؟ لا علاقة له بالمالك من الناحية القانونية الرسمية. وثلاثون مليون وون ليس مبلغًا صغيرًا من المال. هل ستكون على استعداد للتخلِّي عن ذلك؟".

حتى وهي تستمع بلا تركيز إلى صوت زوجها المرتعش وهو يستخدم عبارات الاحترام المناسبة وأسلوب الكلام الرسمي أثناء محاولة التفاهم بالمنطق مع المبتزِّين و"مساعدهما"، الذي يرتدي الأسود (أو بالأحرى البلطجي الذي استأجراه)، راحت الشابة تراقب الطفلة. كانت الطفلة في زاوية المتجر، تمسح بأصابعها على طول الجدار، ثم تعبث بأصيص الزهور الصناعية بجوار الباب، لكنها لم تبادر بالخروج. عندما التقت عيونهما، ابتسمت الطفلة. بادلتها الشابة الابتسامة.

***

في السنة السابعة من زواجها، تمكَّنَت الشابة من سداد قروضها كلها. ساعد أهل زوجها قليلًا (أو كثيرًا في الحقيقة)، لكنها في النهاية ردَّت لهم المال الذي ساهموه به. عندما سمعت أن أفضل طريقة لتربية أطفالك في مكان واحد هي أن يكون لديك في المقام الأول منزل أكبر، خطرت ببالها ذكرى شراء شقتهما الأولى، وكان عليها أن تتكيَّف بسرعة مع الشعور المرير الذي صاحب الذهاب إلى البنوك، ومنحها كل قرش تقريبًا يكسبانه لمدة سبع سنوات طويلة لسداد أقساط وفوائد القروض. لكنها كانت أموالًا مُنفَقَة في مكانها الصحيح في النهاية. بعد تلك السنوات السبع، أصبحت الشقة في النهاية ملكًا لها ولزوجها. وقرَّرَت عندئذٍ بيعها والانتقال إلى حيٍّ كان أرخص وأهدأ. وهكذا

(1) قسط الإيجار: اسم يطلق على النفقات التي يتعين على مالك عقار أن يسددها للمستأجر مقابل تجديدات أو إصلاحات في الشقة تكفل المستأجر بها (المترجم).

في السنة الثامنة من زواجهما، اشترت مبنى متعدِّد الاستخدامات في منطقة رخيصة من المدينة.

لم تكن سعيدة تمامًا به. "راضية" ستكون صِفةً مُبالَغًا فيها. المرات التي قامت فيها هي وزوجها برحلات استكشافية إلى أجزاء مختلفة من المدينة كانت ممتعة. كان الحي الذي استقرَّا فيه هادئًا، وليس مكلفًا للغاية، وكان معظم الناس الذين يعيشون فيه يتمتَّعون بهالة من السكينة التي أتت من وجودهم هناك منذ عقود. ونظرًا لأن غالبية السكان كانوا من كبار السِّنِّ إلى حَدٍّ ما، بدا أن سمسار العقارات (الذي لا تزال يافطته تستعمل المصطلح القديم بوك-دوكبانج "جالب الثروة" الذي كان يُطلق على مكتب سمسرة العقارات)، حائرًا إلى حدٍّ ما من أن مثل هذا الزوجين الشابين سيكونان توَّاقَيْن بشدَّة إلى شراء مبنى كامل نقدًا.

لكن المرأة باتت سعيدة أخيرًا. كم كان مثيرًا للمرء شراء مكانه الخاص بأمواله الخاصة لأول مرة! ناهيك برغبتها في مغادرة شقتهما في أسرع وقت ممكن. في شقتهما القديمة، في كل مرة تصادف إحدى الجارات في المسافة الممتدة من موقف السيارات حتى المصاعد، كان يدور حديث مُمِلٌّ عن أسعار الأراضي، وأسعار المنازل، والتماسات من جمعية زوجات قاطني البناية، ونصائح بحضور اجتماعات الجمعية المذكورة، نصائح تكاد تصل إلى حدِّ المضايقة.

كانت تعلم أنها لم تكن "تتصرَّف بذكاء". في حين تعلَّم هؤلاء الناس الحيل حتى يكونوا أذكياء، لم تعرف مثل تلك الحيل، ولم ترغب في معرفتها. كسب أكبر قدر ممكن من المال في أسرع وقت ممكن، وشراء منزل أضخم، وسيارة باهظة الثمن، وإرسال أطفالك إلى حضانة مكلِّفة تستخدم اللغة الإنجليزية في التعليم، ثم إلى المدارس الخاصة التنافسية، والذهاب في إجازات عائلية باهظة خارج البلاد في

كل موسم عطلة. ربما تبدو تلك حياة مزدهرة للبعض. لكنها لم تكن الحياةَ التي أرادتها. أرادت حياة هادئة ومسالمة، وسَعَت إلى مجتمع متواضع ودافئ حيث يمكنها أن تعيش أيامها في وئام مع جيرانها. ظنَّت أنها وجدت هذا المكان أخيرًا.

إلا أنها لم تعجب بالمبنى من البداية.

فكَّرَت فيما تستمرُّ في محاولة إقناع نفسها: إنه مبنًى قديم في حيٍّ قديم. كان المبنى بسعر شقة، وإن أرادت شراء مبنى كامل حتى ولو كان صغيرًا، لم يكن أمامها خيار سوى شراء مبنى أكثر تداعيًا، بغضِّ النظر عن مدى افتقار الموقع للإلهام. كان المبنى أرخص بكثير من معظم الأماكن الأخرى، وكان يقع عند مدخل زقاق يؤدِّي إلى طريق رئيسية، ولم يكن بعيدًا جدًّا عن محطة قطار الأنفاق أو مواقف الحافلات؛ لذلك ربما لم يكن هذا الموقع يفتقر إلى الإلهام إلى هذه الدرجة أيضًا. بعد تشاور مختَصَر مع زوجها، ولحظة وجيزة من التَّردُّد، اتَّخذَت قرارها بالشراء.

بدأت المشاكل الحقيقية بعد أن اشترت المرأة وزوجها المبنى. كان مكوَّنًا من أربعة طوابق فوق الأرض، وطابق قبوي أضخم من المتوقَّع. يوجد مقهى في الطابق الأول ومكتب صغير مستأجر في الطابق الثاني. كان الطابق الثالث قد فقد للتَّوِّ مستأجِرَه، وكان فارغًا، وكان الطابق الرابع هو المكان الذي يعيش فيه المالك وفقًا لسمسار العقارات الذي قال لهما وهو يفرجهما على المبنى إنه سيكون من غير اللائق الدخول دون دعوة إلى شقَّة حيث كان لا يزال أحدهم يعيش فيها، وأراهم الطابق الثالث الفارغ عوضًا عنه. عدم طرح أسئلة أو المطالبة بإجابات والاكتفاء بإلقاء نظرة إلى ما أراهم السمسار فحسب قبل التوقيع على العقد، كان خطأً فادحًا، كان بوسع حتى المبتدئين مثلهم تجنُّبه.

بعد إخلاء المالك السابق شقته، دخلا أخيرًا الطابق الرابع حيث لم يشاهدا فقط أكوامًا فوق أكوام من القمامة ولكن أيضًا أكوامًا فوق أكوام من فضلات الفئران، وبعض قطع الأثاث الهزيلة التي تتعفَّن في موضعها. كل شيء عن المكان يصرخ بأنه مهجور منذ زمن طويل. كان أمرًا لا يُصدَّق للمرأة أن هذا المكان "حيث كان لا يزال أحدهم يعيش فيه" حتى وقت قريب. في الثانية التي بدأت في جمع القمامة، تدفَّقَت الصراصير تحت أقدامها. كان الطوفان أكثر ممَّا تستطيع أن تدوس عليه بقدمها، ومحاولاتها الأولية لضربها جلبت سربًا من الفئران المصدومة. صرخت وأعلنت استسلامها.

لم تُحَلَّ المشكلة عن طريق جلسات التعقيم بالمبيدات. جاؤوا بالفعل أربع مرات لمكافحة حشود من الصراصير والجرذان بينما كانت تقصف ظهرها عمليًّا من التنظيف. بعد أن طفح كيلها، اتصلت بمالك المبنى السابق.

لم يردَّ المالك. اتصلت مرة أخرى، ولكن بعد بضع رنَّات، انقطع الخطُّ من تلقاء نفسه. اتصلت عدَّة مرات بدافع النكاية، ولكن عندما كانت على وشك الاستسلام، أتاها صوت امرأة عجوز على الطرف الآخر من الخط. "مرحبًا؟"، ممتنَّة لأنها نجحت أخيرًا، شرحت الشابَّة مَن تكون، وحاولت تلخيص الموقف، ولكن في اللحظة التي ذكرت فيها كلمة "مبنى"، صرخت المرأة العجوز في الطرف الآخر فجأةً بألفاظ نابية بصوت عالٍ، لدرجة أن الشابة اعتقدت أن طبلة أذنها ستنفجر. وأغلقت العجوز الهاتف فجأة قبل أن تتاح للشابة فرصة الكلام مرة أخرى.

كان ذلك كافيًا لإخماد أي رغبة في الاتصال مرة أخرى. بدلًا من ذلك، اتصلت المرأة بالسمسار "جالب الثروة".

يا له من يوم غريب كانت المرأة تعيشه عبر المكالمات الهاتفية. كان سمسار العقارات في الخارج يفرِّج عميلًا على منزل، كما قالت العَمَّة التي لم تلتقط الهاتف إلَّا بعد أن رنَّ مدة طويلة. اعتقدت المرأة أنها زوجة السمسار. لم يلتقيا سوى مرة واحدة من قبل.

قالت زوجة السمسار عندما سمعت قصة المرأة: "لا تتصرَّفي هكذا. أنتِ أصغر سنًّا، يجب أن تكوني مَن تتحلَّى بالصبر. تلك المرأة العجوز في حالة يُرثى لها. مات زوجها في عمر مُبكِّر، وخرج ابنها الوحيد لتوصيل طلبية من أجل مطعمها، وأصاب رأسه في حادث دراجة نارية... كان صغيرَ السِّنِّ، يا لها من خسارة. لم يكن متزوجًا حتى، هذا المسكين...". تنهَّدَت زوجة السمسار قبل أن تستطرد: "بعد حدوث ذلك، أصبحت المرأة العجوز غريبة الأطوار قليلًا... أغلقت المطعم الذي كانت تديره طوال حياتها تقريبًا وغادرت مع ابنها؛ من أجل بعض الخلوات المسيحية. كان المبنى كل ما تملكه وقتذاك لكنها تخلَّصَت منه حتى مقابل أجر زهيد...".

فاجأ هذا المرأة. "ذهبت في خلوة؟ إذًا... لم تسكن في شقة في الطابق الرابع؟".

"لم أرها منذ زمن طويل. يبدو أنها تعود من حينٍ لآخر لأخذ بعض الملابس وما شابه...".

سألَتها: "كم مضى منذ أن غادرت؟".

قالت زوجة السمسار بهدوء: "لا أعرف. ثلاث أو أربع سنوات؟".

بعد أن أنهت المكالمة، وجدت المرأة صعوبة في غربلة مشاعرها. الآن فهمت لماذا كان المبنى أرخص بكثير من المباني الأخرى في الحيِّ نفسه، وربما جزءًا من السبب الذي يجعل جيرانها يرمقونها هي وزوجها بنظرات قلقة. كل ما خطر ببالها في ذلك الوقت أن كبار

السن كانوا ببساطة مستائين من أن شابَّين قد اشتريا مبنى بأكمله، وكانا ينتقلان إليه.

الآن لم يكن ثمة شيء يمكنها أن تجنيه من التواصل مع المالكة السابقة بخصوص هذه المسألة. بعد حوالي عشر جلسات تعقيم للشقة بالمبيد في الشهر الأول وحده، أصبحت مشكلة الجرذان والصراصير تحت السيطرة أخيرًا. ثم وقعت حادثة حيث اجتاحت الفئران، التي أُجبِرت على الخروج من ملجئها في الطابق الرابع، المقهى في الطابق الأول. أثار هذا استياء مالك المقهى الذي أعلن أنه سينتقل من المبنى. كانت المرأة قَلِقَة من مغادرة المستأجرين جميعهم، وأن ينتهي الأمر بالمبنى فارغًا، لكن سرعان ما ظهر مستأجرٌ جديد. فاحت من متجر يخنة نقانق الدم الجديد رائحة كريهة أكثر بكثير من المقهى، لكن المرأة شعرت بالارتياح. أخيرًا، تمكَّنَت هي وزوجها من استعادة الصناديق المخزَّنة في منزل والدتها، والانتقال إلى الطابق الرابع من مبناهما الخاص.

أحبَّت الطفلة الطابق القبوي. اعتقدت المرأة أن هذا كان بسبب وجود العديد من الأشياء التي يمكن النظر إليها، واللعب بها. قيل لها إنها كانت جميعها أشياء تركها المستأجر السابق في الطابق الثالث. مهما كان هذا الشخص الغامض يفعل، كان الطابق القبوي يزخر بالملابس والأحذية والإكسسوارات التي قد يراها المرء في كواليس مسرحية. عندما أنارت الضوء، ودخلت المكان لأول مرة، جعلها مشهد الطفلة وهي تقفز ما بين صفوف العارضات في ملابس غريبة، تتراجع إلى الوراء في مفاجأة. ولكن حالما أكَّد عاملو الإبادة عدم وجود جرذان أو صراصير مختبئة في الطابق القبوي، وغيَّرَت المصابيح، لم يَعُد المكان مخيفًا للغاية. بدأت بالفعل في الاستمتاع بالسير عبر صفوف العارضات بملابسهن وأحذيتهن الفاخرة بشكل لا يُصدَّق وإكسسواراتهن الغامضة،

التي قلَّما ما تتاح الفرصة لسكان المدن الحديثة لرؤيتها، مضاءة بسطوع بمصابيح فلورسنت.

قال عامل الإبادة بعد انتهائه من تمشيط المكان: "عادة ما تصعد الفئران من الطابق القبوي إلى الطوابق العليا. لكن هذا المبنى مقلوب رأسًا على عقب". أمال رأسه. "معظم الفئران والحشرات في الطابق العلوي، بينما الطابق القبوي نظيف. لم أرَ قَطُّ قبوًا مكتظًّا بالعديد من الأشياء ومع ذلك لا توجد فيه حشرة واحدة".

كانت كلمات عامل الإبادة مُطَمئِنَة. سمحت للطفلة بجرِّها وراءها بين الفينة والأخرى إلى الطابق القبوي، حيث تفرِّجها على زيٍّ أو إكسسوار جديد رائع، رغم أن المرأة كانت متأكِّدةً من أنها قد فحصت كل شيء في الطابق القبوي بحلول ذلك الوقت، وأبدت علامات التعجب والانبهار المناسبة، وشاركت الطفلة مرحها.

كلما كان الحي أقدمَ، كان من الصعب عليك فرض السيطرة على أراضيك. عاشت المرأة "سياسة المنطقة" لأول مرة. واصل أحدهم ترك آثار خدوش على سيارتهما القديمة ليلًا، سيارة مستعملة أعطاها لهما شقيقُ زوجها الأكبر. في البداية عثرا على علامتين على باب السائق. في الليلة التالية، خدش أحدهم باب السائق بالكامل. ثم ظهر في صباح اليوم التالي خدشٌ طويل جدًّا لدرجة أنه يلتفُّ حول السيارة كلها. وفي الليلة الرابعة كانت المرآتان الجانبيتان مهشَّمتين. بعد أسبوع، أحدث أحدهم قطعًا في العجلات الخلفية.

استطاعت هي وزوجها تخمين هوية الجاني ودوافعه. بعد الانتقال، أوقفا سيارتهما في الشارع أمام مبناهما كما يحقُّ لهما، لكن الرجل الذي أصرَّ على أن المكان من حقِّه، بدأ في تهديدهما. كان شابًّا في أوائل الثلاثينيات من عمره، يعيش في منزل قديم في نهاية الزقاق. كان من ضمن الجيل الثالث الذي يعيش هناك، وتفاخر بأن عائلته

كانت تملك الحي بأكمله في يوم من الأيام، وبالتالي، مكان وقوف السيارات في الشارع عند مدخل الزقاق كان ملكًا له بالفعل- وقد أوصل "الحقائق" إليهما بغطرسة، وبنبرة آمِرة.

سواء كانت الأرض في السابق ملكًا لعائلة الرجل أم لا، فقد أمسى الوضع مختلفًا تمامًا الآن. مُنِحت المساحة أمام المبنى لساكنيه بموجب القانون، مساحة دفعت المرأة وزوجها مقابلها رسوم وقوف سيارة وحق انتفاع. بالطبع، لم يكن لمثل هذه التفسيرات المعقولة أي تأثير على الرجل الذي يعيش في الزقاق.

"إذا انتقلتما إلى حيٍّ آخر، فعليكما اتباع قواعد قاطنيه!"، صرخ رافعًا إصبعًا في وجههما. "لا يمكنكما القدوم إلى هنا وإفساد نظام حينا!".

لم تستطع المرأة أو زوجها فهم كيف أن وقوف السيارة في المكان المخصَّص لها، الذي يدفعان تكلفته، "يفسد نظام الحي". اقترح زوجها عليها ببساطة تجاهُلَه، ووافقت. بعد حوالي ثلاثة أيام من هذه المواجهة، بدأ أحدهم في إتلاف سيارتهما ليلًا.

شعرت المرأة بالقلق عندما ظهرت الخدوش الأولى على باب السيارة. زوجها ضحك بكل بساطة، ولكن بعد تحطيم المرايا الجانبية وتمزيق الإطارات، أصبح تعبير وجه زوجها متجهِّمًا أيضًا. ثبَّتت المرأة وزوجها كاميرات مراقبة على جدار المبنى، بجوار مصباح الشارع مباشرة. سيحتاجان إلى دليلٍ إنْ كانا سيلجآن إلى الشرطة.

مجرد وجود الكاميرات من شأنه أن يحلَّ العديد من مشاكلكما، بذل فني تركيب كاميرات المراقبة قصارى جهده للتأكيد على تلك الحقيقة. وقد تأكَّدت صحة كلماته في البداية، حيث لم يحدث شيء في الأيام القليلة التالية.

ولكن بعد أسبوع، أجابت المرأة على الهاتف لتتلقّى استدعاء من الشرطة؛ وجَّه أحدهم اتهامات ضد زوجها.

تبيَّن أن هذا الشخص بالطبع الرجل نفسه الذي يعيش في الزقاق. كان يتَّهمهما بالاعتداء عليه. وفقًا للرجل، كان في طريقه إلى المنزل في ساعة متأخِّرة من الليل بعد انتهائه من العمل، حيث مرَّ أمام السيارة التي كانت متوقِّفةً في المكان المتنازَع عليه، عندما قفز زوج المرأة من السيارة واعتدى عليه. زعم الرجل الشاب أن الزوج قد خبطه بباب سيارته، ثم أمسك به، ولطم وجهه بغطاء السيارة، وضرب أصابعه في مقابل الباب؛ ممَّا تسبَّب في إصابات جسيمة. كان الرجل مصابًا بجروح في جميع أنحاء وجهه، بالإضافة إلى ضمادة حول رأسه، وكانت يده اليمنى مغطاة بجبيرة.

كان هذا العنف يتنافى تمامًا مع شخصية الزوج؛ لذلك عرفت المرأة أن الاتهام كاذب. على أي حال، في التاريخ والساعة التي ادَّعى الرجل أنه تعرَّض فيها للاعتداء، كان زوجها نائمًا في المنزل بجوارها، ولم يخرجا ذلك المساء. عندما أنكرت هي وزوجها جميع الاتهامات، بدأ الرجل في الصراخ والقفز صعودًا وهبوطًا رغم إصابته، ولكن بعد ذلك جاء دور السلاح السري للزوجين؛ لقطات كاميرات المراقبة.

نظرًا لعدم وقوع حوادث في الأيام القليلة الماضية، خزَّنت المرأة وزوجها ببساطة لقطات الفيديو دون تكبُّد عناء مراجعتها. لكن اللقطات، التي شاهدوها جميعًا مع المحقِّق المسؤول عن القضية، كشفت عن شيء غريب جدًّا.

في الفيديو، اقترب الرجل من السيارة في الزقاق. من اتجاه سيره وطريقة حركته، كان من الواضح أنه كان يفعل عكس ما زعم سابقًا؛ أنه كان يمشي بجوار السيارة في طريقه إلى المنزل. كان يحمل أداة

معينة في يده. بسبب الظلام وتشوش المشهد، كان من المستحيل تحديد طبيعة تلك الأداة بالضبط.

اقترب الرجل من السيارة. في اللحظة التي لمست يداه العربة، اندفع باب السيارة منفتحًا. بدا الأمر حقًّا وكأن الباب قد انفتح عمدًا ليلطم الرجل في وجهه. فقد الرجل توازُنه وسقط على ظهره. وبينما كان يحاول النهوض من جديد، انغلق الباب على وجهه مرة أخرى. استمرَّ الباب في فعل الشيء نفسه عدة مرات فيما يحاول الرجل النهوض.

ثم صار جسده منتصبًا، غير متوازن تمامًا على قدميه، لكنه مرفوع عن الأرض كما لو أن مهاجمًا غير مرئي قد رفعه. ارتطم رأسه بغطاء السيارة. صارع الرجل، وهو يركل الإطارات، لكن رأسه ارتطم مرارًا في غطاء محرِّك السيارة حتى تمكن أخيرًا من استعادة توازنه. كان ذلك عندما صدمه باب السائق مرة أخرى. أمسك الرجل حافَّة الباب بيده اليمنى ليوازن نفسه. انغلق الباب ويدُ الرجل لا تزال بداخله. حرَّر يده اليمنى وسقط على الأرض ممسكًا بها من فرط الألم. لم تكن الكاميرا مزوَّدة بميكروفون، لكن ألم الرجل كان جليًّا من فمه الصامت المفتوح على مصراعيه.

استدار المحقِّق إلى الرجل. "إذن أين بالضبط وقع الاعتداء عليكَ في شريط الفيديو هذا؟".

كان الرجلُ الشخصَ الوحيد في اللقطات، من البداية إلى النهاية. مهما حاول تفسير الأمر، فكل ما يتراءى من المشهد أنه انخرط في إيذاء نفسه باستخدام السيارة التي تخصُّ المرأة وزوجها.

تحدَّث المحقِّق مرة أخرى. "وكيف فتحت سيارة شخص آخر؟ هل سرقتَ المفاتيح؟".

بدأ الرجل في الصراخ معترضًا، لكن إلقاء نظرة إلى عينَيْ المحقِّق اللتين تنضحان بالشكوك جعلته يُخفِّض صوته إلى درجة التمتمة: "لكن... لكنني كنتُ متأكدًا من أن شخصًا خرج من السيارة، و...".

"أي شخص؟ أي شخص؟! ومن أين؟" قاطعه المحقِّق بصوت خشن. حاول الرجل أن يقول شيئًا، لكن المحقِّق لم يمنحه فرصة.

"إذًا تصوَّرتَ أنكَ ستبتزُّ هذين المسكينين عن طريق التظاهر بأنهما ضرباك، أليس كذلك؟ هل توجيه الاتهامات لعبة عندك؟".

"لكنني متأكِّد من أن شخصًا قد...".

"أي شخص؟ أين؟ ما زلت تجرؤ على التَّفوُّه بمثل هذه الأكاذيب في حين دليل كاميرات المراقبة أمامك مباشرة؟".

لم يتعاطف المحقِّق مع الرجل بتاتًا، وأشار إلى أن الابتزاز يُعدُّ جريمة جنائية. لكن المرأة وزوجها قالا إنه يتعيَّن عليهم جميعًا العيش في الحي نفسه، وطلبا التساهل مع الرجل، الذي استمر في التمتمة بأنه متأكِّد من وجود أحدهم في السيارة حتى أثناء خروجهما من مركز الشرطة، ولكن همهمته يشوبها الخوف الآن.

بعد أيام قليلة، عَلِمَا أن الرجل اتُّهِم بالشروع في ابتزاز. وعندما كانت المرأة في طريقها إلى منزلها من السوبر ماركت، رأت سيارة الرجل السيدان الفارهة واقفة في الشارع، داخلها مليء بالحجارة الثقيلة، وإطاراتها ممزَّقة تمامًا. كان المشهد مخيفًا للغاية، لدرجة أنها هرعت إلى المبنى دون أن تلقي نظرة ثانية وراءها.

لم يزعجهما الرجلُ ثانيةً بشأن الوقوف بسيارته أمام مبناهما. حتى عندما كانا يصادفانه في الحي، أدار رأسه ببساطة ومضى في الاتجاه المعاكس. كانا يسمعانه يتذمَّر كيف أنهما أفسدا بها يومه بارتكاب

جريمة كونهما مرئيين ببساطة، لكن لم تكن هي أو زوجها يتكرمان عليه بردٍّ.

كانت الطفلة تحبُّ اللعب في المبنى. كانت تذهب وتستكشف الغرف المختلفة، وكلما بدت وكأنها اختفت للحظات، كان من الممكن دائمًا العثور عليها في الطابق القبوي.

وكان هذا كل ما راق لها أن تفعله. لا يبدو أنها ترغب في الخروج كثيرًا. حاولت المرأة عدة مرات اصطحابها إلى السوبر ماركت أو التَّنزُّه معها في الحي، لكن الطفلة كانت تهزُّ رأسها دائمًا رافضة. لم تُلِحَّ المرأة عليها.

واجها صعوبة في العثور على مستأجر للطابق الثالث.

كان تحصيل الإيجار الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تحصل بها هي وزوجها على دخل ثابت. كان الطابق الثالث فارغًا من قبل انتقالهما، ومع انقضاء الوقت، بدأت تشعر بتوتُّر أكثر فأكثر بشأن خلوِّه.

اقترح زوجها: "لماذا لا نجدِّده ونغيِّر ديكوره؟".

"ألن يكون ذلك مكلفًا؟ سيتعيَّن علينا استخراج تصريح أيضًا. وماذا لو لم يرغب أحد في استئجار الشقة حتى بعد تجديدها؟".

مع ذلك، كان زوجها أكثر ثقة منها. "قال صديقي إنه سيستخدمه مكتبًا. قال أيضًا إنه يعرف شخصًا يمكنه الحصول على خصم لنا من أجل عملية التجديد. ارتادت مصمِّمة ديكور مدرستنا في السابق. ستعتني بالتصاريح وكل شيء".

التقت المرأة بزوجها في نادي للطلاب بالكلية. كان أكبر عمرًا منها. الصديق الذي ذكره كان أيضًا شخصًا تعرفه من النادي. زعمت مُصمِّمة الديكور التي ستتولى مسؤولية التجديد أنها كانت أيضًا

عضوة في النادي نفسه مدَّةً وجيزة. بعد لقائها وسماع اسمها، شعرت المرأة أنها رأتها بالفعل من قبل. عندما بدأ التجديد، وأثار صديق زوجها ومصممة الديكور وعمالهم الكثير من الصخب والضجيج في الطابق الثالث، بدا أن النشاط المتزايد يؤثِّر على زوج المرأة أيضًا. هو، الذي لم يرفع إصبعًا واحدة قطُّ لمساعدتها في التنظيف بعد انتقالهما للعيش هنا، كان متحمِّسًا لإعادة تصميم المكتب الذي سيستعمله صديقه، وتحدث إليها باستفاضة عن كل خطوة صغيرة من تقدُّمهم. لم يكن لدى المرأة أي فكرة أنه سيكون متحمِّسًا للغاية بشأن أي شيء له علاقة بالاعتناء بالمبنى وسيرحب بهذا التجديد.

كرهت الطفلة بشدَّةٍ حقيقةَ أن مستأجرًا جديدًا كان ينتقل إلى الطابق الثالث. لا بُدَّ أن الضوضاء التي تنجرف إلى الطابق الرابع لا تُطاق؛ إذ باتت تنزل الآن دائمًا إلى الطابق القبوي للاختباء.

كما وجدت المرأة صعوبةً في تَحمُّل الغبار الذي غطَّى الدَّرَج باستمرار، وأصوات المثاقب والمطارق القادمة من الأسفل. بصرف النظر عن المرات التي ناداها فيها زوجها أو قدَّم المستأجر في الطابق الثاني شكوى من حين إلى آخر على الإزعاج، أمضت المرأة معظم وقتها في اللعب مع الطفلة في الطابق القبوي.

بالإضافة إلى الأردية الحمراء المزخرفة على أجسام العارضات والأحذية ذات أصابع القدم المدبَّبة بحيث يبدو من المستحيل ارتدائها، كانت الطفلة بارعة في العثور على جميع أنواع الصناديق المعدنية الغريبة في الطابق القبوي. تحتوي هذه الصناديق أحيانًا على أقفال أو آليات إغلاق مع مفاتيح ملحقة بها، ولكن حتى مع المفاتيح، كان من الصعب معرفة كيفية فتحها. سلَّمَت الطفلة لها صندوقًا واحدًا. عبثت المرأة به بشكل أخرق، وعندما انغلق الصندوق فجأة في يديها بدويٍّ معدني عالٍ، كلنك، كادت تقفز مرتعدة. ضحكت الطفلة

بشدة. في البداية، وجدت المرأة الأمر مزعجًا عندما سقطت كتلة الحديد الباردة بدويٍّ معدني فجأة في يديها، على ما يبدو من تلقاء نفسها. لكن عندما شاهدت الطفلة تضحك وهي تغلق الصناديق ذات المظهر الغريب واحدًا تلو الآخر، نسيت ذلك الشعور الغريب، وشاركتها الضحك.

انتهت أخيرًا جهود التجديد وتغيير الديكور التي تراءت بلا نهاية، وانتقل صديق زوجها إلى المكتب. رغم المشقة الكبيرة التي بذلوها لإعادة تصميم الطابق الثالث ومدى اتساع المكتب، يبدو أن الصديق لا يملك أي موظفين؛ كل ذلك تراءى للمرأة غريبًا. أوضح زوجها أن السبب في ذلك أن عمله كان في مهده، وأثنى على الصديق لتوخِّيه الحذر في نفقاته. زوجها، كما لو كان موظفًا بحدِّ ذاته، كان دائمًا في حجرة المكتب. كلما اختلست النظر، وجدته يجلس دائمًا على الجانب الآخر من صديقه، ومكتب ضيق يفصل بينهما، ويتحدث كلاهما دون انقطاع في هاتفه. من حين لآخر، كان صديق الزوج يستدعيها إلى المكتب ويقدِّم لها مشروبًا داكن اللون. كان المشروب حامضًا ولاذعًا لدرجة أنها لم تستطع تناول سوى رشفتين في المرة الأولى من باب اللباقة، قبل الاستسلام. ادَّعى صديق زوجها أن المشروب مصنوع من بعض المحاصيل المدعومة من الحكومة في أوروبا، وله خصائص مقاوِمة للسرطان ومضادة للأكسدة وللشيخوخة، واستطرد في تشدُّق طويل مستخدمًا مصطلحات لم تستطع فهمها. أومأ زوجها برأسه تأييدًا لمحاضرة الصديق حتى رنَّ هاتفه وأجاب على الفور.

قبل مرور ثلاثة أشهر حتى، اختفى صديق زوجها برأس مالهما الأساسي. في حجرة المكتب، وبصرف النظر عن المكتب الصغير و "كرسي الرئيس التنفيذي" الفخم، تراكَمَت صناديق فوق صناديق من حاويات العصير. افترضت أنها كانت تحوي المشروب الذي استمرَّ صديق زوجها في دفعها إلى تناوله. كانت الصورة المزخرفة على عبوات

الحاويات عبارة عن رسمة توت أزرق صغير. التوت نفسه الذي كان يتعفَّن في ثلاجة في زاوية الغرفة.

قال زوجها بلا مبالاة: "لا يزال لدينا مبلغ التأمين الذي دفعه؛ لذلك لم نخسر قدرًا كبيرًا من المال، كما أنه ترك كل هذا الإنتاج وراءه. كل صندوق يساوي مائتي ألف وون... فكِّري في كل الأموال التي يمكننا جنيها من بيعها".

بعد أن تعهَّد زوجها بتقليل حجم خسائرهما قدر الإمكان، اتَّصل بكل شخص يعرفه وألقى المعلومات نفسها حول خصائص الفاكهة الزرقاء المضادة للسرطان، وروَّج لها بأفضل ما في وسعه. لكن التفكير في كل الصناديق المكدَّسة في الطابق الثالث جعل المرأة تيأس من أنه سيبيعها جميعًا.

ثم بدأت المكالمات الهاتفية تتواتر.

لو أنهم فقط لم يحاولوا تجديد الطابق الثالث، أو أنهم لم يؤجِّروه لصديق زوجها... عبر هذا الندم ذهنها مرات عديدة.

كانت تعلم أنه لا فائدة من التَّحسُّر على الماضي. لكن الأسف عاود زيارتها على أي حال. كان من الممكن أن يحدث الشيء نفسه مع أي شخص آخر في محلها.

أخبرها زوجها أنه اقترض عشرين مليون وون، لكنه على الأقل "استثمره" فقط في مشروع صديقه، ولم يَرِد اسمه في أي وثيقة رسمية تتعلَّق بالعمل، ولم يكن ضامنًا لديون صديقه.

أرادت أن تبكي... أن تصرخ. قضت سبع سنوات من حياتها في سداد ديونها، والعمل حتى ساعة متأخِّرة من الليل والتوفير من راتبها الضئيل، وعيش حياة متواضعة. والآن، عادت إلى حيثما بدأت. وبغضِّ النظر عن مقدار المبلغ، جعلت كلمة "قرض" عينيها تُظلِمان.

اتبع زوجها "أسلوبَ حياةٍ بديلًا"، المتحرِّرَ من قيود الرأسمالية. كانت المرأة نفسها، في أيام الكلية، قد عدَّت الضغوط التي تفرضها التقاليد والأعراف المجتمعية عليهم، من أجل الحصول على درجات مرموقة، وبناء سيرة ذاتية محترمة، والحصول على وظيفة في شركة كبرى- مُمِلَّةً وبغيضةً؛ وظنَّت أن الحياة التي يريدها زوجها تتوافق مع حياتها. تزوَّجا فور تخرُّجها، وحصلت مباشرة على وظيفة. سرعان ما تعلَّمَت أن "أسلوب الحياة البديل" لا يعني شيئًا بدون خطة مفصَّلة وواضحة، وأن العيش "متحرِّرين من قيود الرأسمالية" يعني العمل في أماكن لا تدفع أجور عُمَّالها في الميعاد المحدَّد. نظرًا لقلقها بشأن تحقيق نمط الحياة البديل هذا في العالم الواقعي؛ فقد انهارت تحت وطأة العمل في شركة في القطاع غير الربحي الذي لم يكن يُدار من خلال قانون عمَّالي طبيعي وعادل، ولكن من خلال تضحيات العاملين فيه التي لا تحظى بتقدير كافٍ. في هذه الأثناء، أهدر زوجها، الذي كان في عام دراسي أكبر منها في الكلية، ومع ذلك تخرَّج متأخِّرًا عنها، وقتَه بحثًا عن "أسلوب الحياة البديل" المثالي من وجهة نظره دون أن يستقرَّ في أي مهنة معينة؛ والنتيجة كانت قرض العشرين مليون وون الذي حصل عليه، وبدَّده دون علمها.

قال زوجها إنه سيسدِّد الدَّين، ووعدها قائلًا أنه سيفعل كل ما يتطلَّبه الأمر. عرفت أنه كان صادقًا لكنها علمت أيضًا أن العالم لم يكن مكانًا سهلًا حتى يَهَبَ أي شخص عشرين مليون وون بناءً على صدقه وحسن نواياه وحدهما.

لذلك بحثت ما إنْ كان بمقدور زوجها استخدام أصولهما المشتركة ضمانةً للحصول على المزيد من القروض دون علمها. فكَّرَت في طريقة لإسقاط اسمه من أي ملكية مشتركة، لكن أمور متعلِّقة بالضرائب كانت مُعقَّدة للغاية. ومع ذلك، بدا أنه من المستحيل قانونيًّا عليه أن يطرح أي ممتلكات مشتركة بوصفها ضمانة دون موافقتها. في أسوأ

السيناريوهات، ستكون قادرةً فقط على الاحتفاظ بنصف ممتلكاتها؛ يخيفها هذا.

كانت معيشتهما تعتمد على ريع منزلهما. بالنسبة لها، كان المنزل يعني شيئًا أكبر بكثير من مجرَّد مصدر دخل شهري. كان المكان كلَّ ما تملك، الشيء الوحيد الذي يمكنها إظهاره كدليل إثبات على سنوات الكدِّ والعناء التي عاشتها في مواجهة العالم. خلال تلك المدة كلها، أجهدت نفسها تمامًا، وحملت على ظهرها أعباء زوجها الذي لم يرفع إصبعًا أبدًا من أجل مساعدتها. في أثناء قلقها بشأن دين العشرين مليون وون التي بدَّدها زوجها دون علمها، بدأت كل هذه الحقائق تتكشَّف بجلاء أمامها.

كلَّما شعر زوجها بالرغبة في ذلك، كان يتمشَّى من حين لآخر في تلَّةٍ قريبة. لم يذهب بعيدًا بما يكفي لتقلق عليه، لكن لم يكن لرحلاته نمطٌ ثابت. أحيانًا كان يغادر في الصباح الباكر، وأحيانًا أخرى يأخذ أيام راحة من عادته قبل أن ينطلق فجأة في المساء. منذ أن هرب صديقه بأمواله، كان يقضي ساعات على الهاتف في المكتب قبل أن يسأم منه ويخرج في نزهة في التلال.

ثم تلقَّت مكالمة هاتفية عندما كان زوجها في إحدى جولات تمشيته. كانت قد هبطت إلى المكتب لاستدعائه من أجل تناول طعام الغداء، ولكن لم تجد سوى هاتفه المحمول فوق مكتبه. حالما دلفت إلى المكتب، بدأ الهاتف يرنُّ كما لو كان ينتظر قدومها. هل يريد شخص أخيرًا بعضًا من المشروب الصحي؟ لمع بصيص أمل في قلبها، وهي تلتقط الهاتف.

عند سماع صوتها وهي تقول: "مرحبًا"، صمت أيًّا من كان على الطرف الآخر من الهاتف لحظة. كرَّرَت المرأة تحيتها، وأضافت: "تكلَّمْ من فضلك".

"هل هذه أنتِ أيتها العاهرة؟!".

كانت المرأة مندهشة من العدوانية في الصوت الأنثوي على الطرف الآخر.

"عذرًا؟".

"هل أنتِ زوجة هذا الأحمق؟".

"ماذا؟".

الصوت على الطرف الآخر ينضح بالكراهية.

"أليس زوجك ابن العاهرة الذي خدع زوجي حتى يبيع مشروب التوت هذا، قبل أن يستولي على أموالنا ويتبرَّأ من شراكته مع زوجي؟".

أخيرًا، بدأت المكالمة تتراءى لها منطقيَّةً. لكن مَن كان يتَّهم مَن بأنه مخطئ. "الآن انظري هنا. بخصوص هذا العمل، أنا...".

"جعلتما زوجي يسجِّل المشروع باسمه حتى يتحمَّل كلَّ اللوم، لكنكما أنتِ ورجلك الحقير احتفظتما بالمخزون، واستوليتما على أموال المبيعات لنفسيكما، هل أنا مُحِقَّة؟ كان زوجي الشخص الذي جلب جميع صِلاته من أجلكما، لكنكما جفَّفتماه حتى آخر قطرة، وتخلَّصتما منه فور أن انتهيتما منه!".

"أنتما مَن تعرَّضا للنصب؟! كيف تجرئين...".

لكن صوتها المرتفع قوبل بهجوم أعلى عزَّزَته شتائم قاسية. عندما طلبت منها المرأة أن تحتاط من نبرة صوتها، أطلقت المتصلة ضحكة مشوبة بالازدراء.

"انظروا إليها كيف تنحاز إلى زوجها! هل ما زلتِ تريدين الوقوف بجانبه في حين يضاجع امرأة أخرى؟ استأجر عاهِرةً يطلق عليها

لقب 'مصمِّمة ديكور' عندما كان يجدِّد تصميم المكتب. سرقة أموال الآخرين والتَّورُّط في علاقة غرامية تحت سمعك وبصرك. يا له من منزل مثير للشفقة ذلك الذي تديرينه".

"ماذا؟!".

بدت نبرة المرأة المتوتِّرة وكأنها تُرضي المتَّصِلة التي بدأت تتحدث بنبرة أكثر أريحية.

"حصلت على نسخة من رسائل ومكالمات زوجك لاستعمالها دليلًا. لن ينجو من فعلته. هل اعتقدتما أنني سأتظاهر وكأن شيئًا لم يحدث؟".

أرادت المرأة أن تسألها عن الغرض من هذا الدليل. لكن يبدو أن المتصلة قد تجاوَزَت مرحلة الغضب واللعن وانخرطت في مرحلة ندب قَدَرها.

"زوجي هو الأحمق الحقيقي لتورُّطه مع قذارة مثلكما، وترك وظيفته الجيدة حتى يتمكَّن من الدخول في مشروع تجاري مع رفاقه في الكلية... ربما كنتما طالِبَيْن زائفين أيضًا، أليس كذلك؟ وتظاهَرتُما بأنكما شابان جامعيان؟ محتالان!".

في اللحظة التي بدأت المتصلة تنفعل مرة أخرى، سمعت شخصًا يُدخِل شيفرة الباب الرئيسي عبر لوحة المفاتيح في الطابق السفلي. زوجها. فاجأها ذلك كثيرًا لدرجة أنها، لأسباب لم تستطع فهمها، أغلقت الهاتف بسرعة.

سمعته يصعد الدَّرَج. بسرعة، وضعت الهاتف في مكانه، وذهبت إلى الثلاجة. بدأت تفتِّش في محتوياتها. نظَّفاها بعد اختفاء صديق زوجها، لكنَّ التُّوت الأكثر طزاجة الذي احتفظا به بدأ في التَّعفُّن بدوره.

المزيد من ضوضاء لوحة المفاتيح. جاءت من الطابق الثاني. لم يكن زوجها إذًا، بل المستأجرون مَن عادوا بعد تناول الغداء في الخارج.

تنفَّسَت الصعداء.

رقد الهاتف صامتًا على المكتب.

رفضت عبارة "رسائل ومكالمات" مغادرةَ عقلها تمامًا مثل شيفرة الدخول إلى هاتف زوجها المحمول.

لم تستطع أن تُقرِّر ما إذا كان اختيار مالكي مطعم نقانق الدم في الطابق الأول تلك اللحظة لإثارة مسألة قسط الإيجار، شيئًا جيدًا أم سيئًا.

أوَّلًا، جاء الرجل العجوز بمفرده. نظرًا لأن المرأة هي التي تتعامل في الغالب مع المستأجرين، فمن المحتمل أنه كان يعتقد أنه سيكون من السهل عليه -رجلٌ له صولات وجولات في هذا العالم- أن يجعل امرأة شابَّةً تفعل كل ما يخبرها به. لكن زوج المرأة، وهو أمر غير معتاد منه، قرَّر إضفاء حضوره الذكوري على هذا الاجتماع لأسباب غير معروفة.

عندما ذكر الرجل العجوز قسط الإيجار ردَّ زوج المرأة بأنه يفهم الحقائق القانونية ذات الصلة بالموضوع. ذكَّره الرجل العجوز بأنهم وقَّعوا عقدًا معدَّلًا لتَجنُّب دفع أي رسوم إضافية، وهدَّده بالإبلاغ عنه إلى مكاتب الضرائب. استمرَّ زوجها بلا هوادة في مناداة الرجل بـ "سيدي"، وشرح له الموقف مرات عديدة. "هذا العقد مُوقَّع من قِبَل الطرفين، ولو واصلت التهديد، فستُحاكمك أيضًا هيئة الضرائب. كما أن إيجارك ليس مرتفعًا إلى هذه الدرجة في الواقع، ولم تدفعه منذ مدة طويلة؛ ممَّا يعني أن الأموال التي ندين بها لن تكون بهذا الارتفاع أيضًا. ألا تعتقد أنه سيكون من الأرخص لنا فقط سداد الضرائب

المتأخرة بدلًا من دفع فرق الثلاثين مليون وون في قسط إيجار لا علاقة له بالمالك على أي حال؟ ألا تعتقد ذلك يا سيدي؟".

استفزَّ هذا الكلامُ الرجل العجوز، الذي ظلَّ يردِّد "الشباب لا يعرفون حقيقة الأشياء هذه الأيام" و"دعنا نرى ما سيحدث عندما تصرُّ على البقاء فوق حصانك العالي"، قبل أن ينهض ويغادر. لم يمضِ وقت طويل على ذلك عندما جاء الرجل العجوز مع "مساعد" كان يرتدي ملابس سوداء بالكامل. تهديد مستتر بأنه لو لم يسلم المرأة وزوجها إليه مبلغ الثلاثين مليون وون، فسوف يتكبَّدون أكثر بكثير من مجرد ضرر مالي.

قال زوج المرأة، غير منزعج كالعادة: "سوف نسجِّل كلامهم في المرة القادمة ونطالب بالقبض على هؤلاء الأوغاد".

كان السؤال الذي يدور في ذهن المرأة هو ما إن كانت ستسنح "مرة قادمة" للتسجيل والإبلاغ. كما جلبت كلمة "تسجيل" طوفانًا من الذكريات من ذاك اليوم عندما ردَّت على هاتفه والأسرار التي اكتشفتها عنه. أحبطها هذا كثيرًا لدرجة أنها لم تعُد قادرة على الكلام، وظنَّ زوجها خطأً صمتها أنه موافقة، وأحسَّ بالرضا. كان ذلك نهاية حديثهما.

في الطابق القبوي، وفي حين تلعب مع الطفلة، انفجرت المرأة فجأة في البكاء.

عندما سألتها الطفل عن سبب بكائها، كان أول ما خطر على بال المرأة هو وجه الرجل العجوز من مطعم يخنة نقانق الدم. لم يمتلكوا ببساطةٍ ثلاثين مليون وون للدفع لهم، ولم يكونوا ملزمين بذلك قانونًا. لكنهم لم يتمكَّنوا من تحمُّل سداد الضرائب المتأخرة أيضًا إن هو أبلغ عنهم. كان زوجها قد أنفق بالفعل العشرين مليون وون التي اقترضها، والطابق الثالث لا يزال شاغرًا، وسكان الطابق الأول،

الذين أعلنوا نيَّتهم الانتقال خارج المبنى، يرفضون دفع الإيجار منذ الشهر الفائت.

قالت المرأة وهي تهزُّ رأسها وتبتسم للطفلة: "كل شيء على ما يرام. في بعض الأحيان، يتورَّط الكبار في مواقف معقَّدة".

حاولت رفع زوايا فمها حتى ترسم ابتسامة على وجهها، لكن الدموع واصلت الانفلات من عينيها.

جلست الطفلة القرفصاء أمامها، وحدَّقَت في المرأة بصمت وهي تبكي.

لم تحصل مالكة مطعم نقانق الدم على قسط إيجارها أبدًا.

عُثر على زوج المالكة ميتًا في مطبخ مطعمهما. عند اكتشاف جُثَّته، قيل إن جزءًا من جُثَّته كان يغلي في القِدر العملاق الذي استخدموه لإعداد المرق.

عندما أتت الشرطة إلى مسرح الجريمة للتحقيق في حادثة القتل المروِّعة التي لم يُسمَع بمثيل لها في الحي من قبل أبدًا، اختفت ابنة مالكة المطعم وزوجها اللذان قيل إنهما كانا يعملان هناك، فجأة دون أن يتركا أي أثر؛ ممَّا حوَّل الشُّبهات إليهما.

بعد أيام قليلة، شاهدت المرأة في الصحف صورة "المساعد" بملابسه السوداء، الذي أحضره معه الرجل العجوز سابقًا. وفقًا للمقال المصاحب، كان المساعد -رجلَ عصابات- عُثِر عليه ميتًا في فراش عشيقته.

العشيقة، التي اكتشفت الجثَّة، أعطت الشرطة إفادتها قائلةً إنها غادرت إلى عملها بعد أن رأت أنه لا يزال نائمًا، لكنها وجدته ميِّتًا عند عودتها. انسحق الجزء العلوي من جسم الرجل بشكل محدَّد؛ ممَّا دفع الشرطة للاشتباه في أن عصابة منافسة قد انتقمت منه.

حتى عندما كانت تلعب مع الطفلة في الطابق القبوي، لم تستطع المرأة تجاهُلَ هذه الأحداث الغريبة.

لكن زوال مصدر التهديد كان بلا شكٍّ جيِّدًا. ما عاد هناك مَن يهدِّدهما بالتبليغ عنهما إلى مكتب الضرائب أو يطالب بقسط الإيجار؛ ممَّا يعني أنها لم تكن مضطرَّةً للقلق بشأن المال في الوقت الحالي. كان متجر الملابس الذي كان يخطِّط للانتقال إلى الطابق الأول متردِّدًا الآن بين فسخ عقد الإيجار الموقَّع أو تأجيل موعد الانتقال، لكن المرأة لم تَعُد مضطرَّةً للقلق بشأن مثل هذه الأشياء بعد الآن.

كلنك.

نظرت المرأة لأعلى في دهشة. جلبت الطفلة صندوقًا مقفلًا جديدًا من مكانٍ ما، وكانت تعبث به أمامها. كان لذلك الصندوق قفلٌ بسيط ينفتح عندما تلويه. بدت الطفلة مستمتعة بإغلاق القفل بشكل متكرِّر، ولويه حتى تفتحه. فيما تحدق المرأة إلى يدي الطفلة الباسمة بإشراقٍ وهي تغلق الصندوق وتلوي هذه الآلة الغريبة لتفتحها، تذكَّرَت فجأة سطرًا في المقال الإخباري الذي قرأته سلفًا: انسحق الجزء العلوي من جسم الرجل بشكل محدَّد.

كلنك.

نظرت الطفلة إلى المرأة، وابتسمت بفخر.

الحياة سلسلة من المشاكل. خاصة عندما يكون المرء متزوجًا ولديه عائلة. لأنه حتى عندما تتمكَّن من تجنُّب مشاكل العالم الخارجي، والرجوع إلى المنزل بأمان، ستجد عائلتك تنتظرك هناك مع مجموعة مختلفة تمامًا من مشاكلهم الخاصة.

رغم حلِّ مشكلة قسط إيجار مطعم يخنة نقانق الدم (وإن كان ذلك بطريقة تركت شعورًا بالغثيان في معدة المرأة)، إلا أن المتصلة لم

تتراجع عن هجماتها. كانا يتلقَّيان مكالمات قبل ذلك بوقت طويل، لكن زوجها لم يَرُدَّ عن قصد، ولم يكن لدى المرأة أي قوة باقية بداخلها لإثارة مشكلة حول ذلك الموضوع. حصلت المتَّصلة بطريقة ما على رقم المرأة الخاص، وبدأت في مضايقتها على هاتفها الخاص أيضًا.

"زوجك ينام مع مصمِّمة الديكور!".

" تعاميكِ عن الأمر يجعلني متأكِّدة أنكِ نصابة أيضًا".

"ارتاد ثلاثتكم الكلية معًا، وأنا مقتنعة بأنكِ من عرَّفت زوجكِ على مصمِّمة الديكور!".

"أعلم أنك مَن شجَّع زوجك على أن يحظى بعلاقة غرامية، والنصب على زوجي، وأنكِ تتظاهرين فقط أنكِ ضحية!".

"ألِحِّي على زوجك حتى يُرجع المال الذي سرقه، ويخبرني بمكان زوجي!".

"لا أستطيع أن أتنفَّس وهؤلاء الدائنون يطاردونني. أخبراني أين زوجي أو تحمَّلا المسؤولية القانونية عن ديونه!".

كلَّما استمعت المرأة إلى المتصلة، زاد اعتقادها بأن زوجة صديق زوجها هذه مريضة عقليًّا أو شيء قريب من ذلك. تكاد تشفق عليها؛ لأنه، من وجهة نظر المتصلة، قال زوجها ببساطة إنه سيبدأ مشروعًا تجاريًّا قبل أن يختفي تمامًا ذات يوم، والآن يحتشد الدائنون حولها مطالبين إيَّاها بالدفع.

لكن المرأة نفسها لم تمتلك أدنى وسيلة لمساعدة الزوجة التي شتمتها وصرَخَت فيها عبر الهاتف في مختلف ساعات اليوم.

وفقًا للرسائل النصية الخاصة المحفوظة على هاتف زوجها، كان هو ومُصمِّمة الديكور يتقابلان سرًّا منذ مدة طويلة. وقد سلَّم زوجها مبلغ العشرين مليون وون الذي قال إنه استثمره في شركة صديقه

البائدة في الحقيقة إلى مُصمِّمة الديكور. لم يطلب صديق زوجها أبدًا تغيير ديكور المكتب. كل ما قاله له هو، "إن كان لديك مكتب فارغ في مبناك، هل يمكنني استخدامه مدة شهرين فقط؟"، وعندما بدأ زوجها في تجديد المكتب، أرسل صديقه له رسالةً بنبرة مرتبكة، "أنت تتكبَّد الكثير من المشقة من أجلي. لا أحتاج سوى مكانٍ حتى أجلس فيه مدة شهرين".

لكن زوجها أراد أن يتباهى أمام عشيقته بأنه مالك مبنى. "إن كنتِ بحاجة إلى مزيد من المال للديكور، فأخبريني وسأحضر لك كل ما تحتاجين إليه"، كان يتفاخر أمامها. لم تعرف العشيقة بالطبع أن الأموال التي يستخدمها زوجها للحصول على كل ما تحتاج إليه كانت مُقتَرَضة، أو حقيقة أن المبنى الذي أراد التباهي به أمامها، مُشتَرًى من خلال تعب سنوات من عمل زوجته القاصم للظهر.

كانت الطفلة تجيد اللعب وحدها. هذه المرة لم تبكِ المرأة وهي تراقبها. ظلَّت الطفلة تقفل الصندوق وتفتحه -كلنك.. كلنك.. كلنك- بينما راحت المرأة تراقب في صمتٍ، شاردة في أفكارها.

نظرت إليها الطفلة التي كانت لا تزال تعبث بالصندوق، وابتسمت. حاولت المرأة أن تبتسم لكنها وجدت أنها لا تستطيع.

غادر زوجها المنزل في ساعة متأخِّرة من إحدى الأمسيات قائلًا إنه ذاهب من أجل التمشية.

بدأ مطر غزير يهطل.

لم يَعُد أبدًا من التَّلَّة.

وقع حادث مروري على الطريق السريع القريب. انزلقت سيارة على الطريق واصطدمت بدرابزين. نقلوا السائقة إلى غرفة الطوارئ لكنها كانت في غيبوبة. الرجل الذي كان جالسًا في مقعد الراكب، طار

خارج السيارة عند الاصطدام وعُثر عليه فوق منحدر. كَسَر رقبته وتوفي على الفور.

بعد وفاة الزوج، تبعت الطفلة المرأة كظلها طوال اليوم، حتى عندما كانت المرأة تهاتف والدتها.

"هل تنامين جيدًا؟ هل تأكلين؟".

"لا أفوِّت وجبة. وأنام جيدًا". أشارت المرأة إلى الطفلة حتى تحترس، في حين تركض الصغيرة ضاحكة فوق أرضية حجرة المعيشة.

"وكيف حال المبنى، هل أنتِ بخير هناك؟ هل تحصلين على أموال الإيجار؟".

"نعم، انتقل متجر ملابس إلى الطابق الأول، ولا يزال الناشر في الطابق الثاني يدفع الإيجار كل شهر".

"هل تخرجين؟ أتمنَّى أنك لا تحبسين نفسكِ في المنزل طوال اليوم".

قفزت الطفلة في أحضان المرأة. مشطت المرأة شعر الطفلة.

كانت قد بدأت لتوِّها في ملاحظة أن ملامح الطفلة تبدو أكثر وضوحًا من ذي قبل. "حسنًا..."، تلاشى صوتها هنيهة. "المكان مريح للغاية هنا".

"لكن عليك الخروج والحصول على بعض الهواء النقي بين الحين والآخر. لا تزالين صغيرة وبلا أطفال، لا تتصرفي وكأن الأرامل بحاجة إلى الاختباء بعيدًا عن أنظار العالم. سافري، وقابلي بعض الناس...".

اقتربت الطفلة من هاتفها في محاولة لانتزاعه من بين يدها. هزَّت المرأة رأسها. "لا، أمي على الهاتف الآن".

"ماذا؟ لم أستطع سماعك الآن".

تحدَّثَت في الهاتف. "لا شيء يا أمي".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"أمعكِ أحدٌ في المنزل؟".

"لا، مَن سيكون هنا غيري؟".

تنهَّدَت والدة المرأة.

"لا أستطيع تحمُّل فكرة كونك وحيدة هناك طوال الوقت. وأنتِ ترفضين السماح لي بالمجيء والاعتناء بكِ مدة من الوقت...".

"أمي". قاطعتها المرأة قبل أن تبدأ في الندب مرة أخرى. "أنا مرتاحة كما أنا الآن. يلزمني مزيد من الوقت، وقليل من الراحة، وسأستعيد قدرتي على التفكير السليم. سأعتني بكل شيء وقتها".

"حماتكِ لا تزعجك، أليس كذلك؟".

"لا، يا أمي. لا شيء من هذا القبيل". كان عليها إنهاء المكالمة مع والدتها. "انظري، أنا أغلي بعض الغسيل الآن، وأحتاج إلى رفعه من على النار. سأتصل بكِ قريبًا".

"حسنًا. كوني حَذِرَة. لا ترهقي نفسكِ بالأعمال المنزلية، واخرُجي من المنزل بين الحين والآخر".

"وداعًا".

أغلقت الهاتف.

استدارت إلى الطفلة، وقالت: "حسنًا، أنا وأنت وحدنا الآن". توقَّفَت الطفلة عن الجري وواجهتها. ابتسمت.

سألت المرأة: "هل تودِّين الذهاب في رحلةٍ مع ماما؟ لم تخرجي من هذا المبنى من قبل أبدًا، أليس كذلك؟ هل تودين الخروج، فقط نحن الاثنتان؟ هل نذهب إلى مكان بعيد، بعيد جدًّا؟".

نظرت الطفلة إلى وجه المرأة بتعبير حادٍّ. هزَّت رأسها بصمت وببطء.

المرأة تعرف بالفعل. لطالما كانت الطفلة هنا في هذا المبنى. ولن تستطيع مغادرته قطُّ.

وطالما كانت مع الطفلة، فلن تغادر بدورها هذا المبنى أيضًا. فكرت: هذا لن يكون سيئًا جدًّا.

"تعالي إلى هنا".

فتحت المرأة ذراعيها على مصراعيها. ركضت الطفلة حتى تعانقها. كادت المرأة أن تسقط للخلف من أثر الاصطدام.

في البداية، كانت الطفلة مجرَّدَ ظِلٍّ خافت في الطابق القبوي.

الآن تمتلك شكلًا صُلبًا، وتُشعُّ دفئًا حقيقيًّا، ولبشرتها ملمس ناعم. باتت أضخم حجمًا وأثقل وزنًا وأكثر وضوحًا.

ملأ هذا المرأة بفخر بالغ.

همست للطفلة/ الظِّل، الشاحبة، التي كانت تحملها بين ذراعيها: "أنتِ وماما، كلتانا سوف نعيش معًا. سنكون سعيدتين هنا إلى الأبد".

قبَّلَت جبهتها البيضاء الناعمة.

الطفلة الصغيرة التي انتظرت والدتها طويلًا في الطابق القبوي الأسود لمبنى خرساني مظلم، نظرت إلى المرأة التي كانت تبحث عنها، ومنحتها ابتسامة مُشرِقةً.

الشَّرَك

هذه قصة قرأتها ذات مرة منذ زمن طويل.

كان يا ما كان، صادف رجل يسير عبر غابات جبلية مغطَّاة بالثلوج ثعلبًا يصارع من أجل تخليص نفسه من شَرَك. كان فرو الثعلب يعني المال في ذلك الزمان. اقترب الرجل من الثعلب العالِق في الشَّرَك وبيده سكين، وهو يفكر في قتله من أجل فرائه.

عندئذ رفع الثعلب رأسه، وتحدَّث بصوت بشريٍّ: "من فضلك دعني أذهب".

صُعِق الرجل. في الوقت نفسه، لاحظ تدفُّق سائل لامع من كاحل الثعلب حيث تنخر أسنان الشَّرَك في لحمه. الثعلب ما كان ينزف دمًا، بل شيئًا يشبه الذهب. جعل الثلج المحيط من الصعب ملاحظة ذلك في البداية، لكنه الآن رأى المنطقة حول المصيدة وقد تلطَّخَت بمادة سائلة متلألئة، بعضها قد تصلَّب بالفعل في الثلج البارد.

التقط الرجل إحدى الكتل المتصلبة، ونظر إليها من كثب. ثم عضَّ عليها بأسنانه.

ذهب. لا لبس في ذلك.

بحذرٍ شديد، كشط الرجل بهمَّةٍ الثلج حول الثعلب. ثم، بمزيد من العناية، وضع الثعلب الجريح داخل حقيبته والشَّرَك وكل شيء، وحمله إلى المنزل.

فور رجوعه إلى المنزل، خبَّأ الرَّجلُ الثَّعلبَ عميقًا داخل سقيفة منزله. أعطى الثعلب الماء والطعام، وأبقاه على قيد الحياة. لم ينزع الشَّرَك. بدلًا من ذلك، راح الرجل يهزُّ الشَّرَك من حين لآخر أو يجرح الثعلب مجددًا بسلاح حادٍّ حتى لا تلتئم إصاباته. كلَّما فعل ذلك، ينبح الثعلب أو يئنُّ من الاستياء. كانت المرة التي تحدَّث فيها الثعلب بصوت بشري عندما عثر عليه الرجل، المرَّةَ الأولى والأخيرة.

ترك الرجل السائل المتدفِّق من جروح الثعلب يتصلَّب قبل بيعه تدريجيًّا. نظرًا لفطنته؛ كان يعلم جيدًا ما سيحدث لو ظهر فلَّاحٌ مثله فجأة مع حفنات من الذهب في جيوبه. كان يحمل عَمدًا مقاديرَ صغيرة منه، منتقِّلًا من بلدة إلى أخرى، يبيع القليل جدًّا بحيث لا يجذب الكثير من الاهتمام إليه. بالمال الذي كسبه من بيع الذهب، اشترى الحبوب والملح والجلود والأخشاب؛ سلعًا عادية يمكنه بيعها في سوق قريته.

ثمة أيام كان العمل فيها مزدهرة وأيامًا كان فيها راكِدًا. كانت أسعار البضائع تنخفض تارة، وترتفع تارة أخرى. لكن الرجل لم يهتمَّ. في سقيفة منزله يوجد كنز مخفيٌّ لم يعرف عنه أحد؛ لن يضطرَّ أبدًا إلى البدء من الصفر مرة أخرى. سواء حقَّق ربحًا وافرًا أو شحيحًا، لم تفارق وجهَه ابتسامةُ ارتياح، حيث نجح في بيع شتَّى أنواع الأشياء في السوق.

عدَّه الناس في دائرته زميلًا لطيفًا ومجتهدًا. ازدهرت سُمعَتُه وسط زبائنه ومورِّدي البضاعة إليه. مثل أي شخص آخر، بدا أنه يعاني من صعود وهبوط في تجارته، ولكن الشيء اللافت المتعلِّق بعمل هذا الرجل على وجه الخصوص أنه تمكَّن دائمًا من جني الأرباح في النهاية. أصبح معروفًا بأنه خبير موثوق به في فنِّ البيع في السوق. راجت سُمعَتُه كما نَمَت ثروته، وفي النهاية بنى الرجل منزلاً كبيرًا، وتزوَّج من امرأة جميلة.

عندما بنى المنزل، هدم الرجل سقيفته، وأقام مستودعًا متينًا بدلًا من ذلك، وأبقى الثعلب مُقيَّدًا بالسلاسل في أحد أركانه. إبقاء جرحه مفتوحًا باستمرار وسحب دمه على مُدَدٍ منتظمة أفقد الثعلب قواه كلَّها، لكنه ما زال على قيد الحياة. الجلد المحيط بالجرح، بعد أن تهتَّك وقُطِع مرات عديدة، قد تقشَّر متراجعًا إلى الخلف كاشفًا عن العظم تحته، وأصبح الآن قاسيًا لدرجة أنه ما عاد أي قدر من الجرح والثقب قادرًا على سحب الدم منه. الآن وقد بات مجرد عظم وجلد، كان الثعلب يزمجر على الرجل كلما اقترب منه، لكن هذا كان كل ما يستطيع فعله. فَقَدَ منذ مدة طويلة أي طاقة للنباح أو العضِّ.

في السنة الثالثة من زواج الرجل مات الثعلب أخيرًا. ندم الرجل بشدة على ذلك، ولكن نظرًا لأنه استخرج الكثير من الذهب منه، وكان العمل يسير على ما يرام، فقد اعتقد أنه سيتمكَّن من تدبير أموره. سلخ جثَّة الثعلب، وصنع من فروه وشاحًا. فقد الثعلبُ الكثيرَ من شَعرِه أثناء سجنه ولم يَعُد فروه باهرًا كثيرًا، لكن زوجة الرجل الجاهلة كانت سعيدة بتلقِّي وشاح من فرو ثعلب هديةً.

بعد ذلك بمدة قصيرة، حملت زوجة الرجل. نظرًا لأنهما لم ينجبا أطفالًا مدة الثلاث سنوات التي مرَّت على زواجهما؛ فقد شعر كلٌّ من الزوج والزوجة بسعادة غامرة باحتمال إنجاب طفل. بعد عشرة

أشهر، أنجبت زوجة الرجل توأمًا؛ ولد وبنت. خرج الولد أولًا، ثم خرجت البنت من بعده. نظر الرجل وزوجته إلى وجهَيْ طفليهما المولودين حديثًا، وشعرا بأنهما وصلا إلى أقصى سعادة ممكنة في الدنيا.

بصرف النظر عن حقيقة أنهما توأمان غير متماثلين، لم يكن الطفلان مختلفين كثيرًا عن معظم الأشقاء. ولكن ذات يوم، في الفترة التي كانا يتعلمان فيها المشي، سمعت زوجة الرجل فجأة أحدهم يصرخ في الغرفة الأخرى. عندما ركضت، رأت أن الولد كان يهاجم البنت، ويعضُّها. مُعتَقِدةً أنه كان شجارًا شائعًا بين أي شقيقين، فصلت زوجة الرجل الشقيقين، ووبَّخَت الولد أثناء مواساتها البنت. كانت قَلِقةً جدًّا من الجرح الموجود في رقبة البنت، لدرجة أنها لم تلاحظ أن الولد كان منشغلًا بلعق الدم تحت أظافره، وحول فمه، كما لو كان يحاول مصَّ كل قطرة منه.

في المساء، أطعمت الزوجة طفليها، ووضعتهما في الفراش قبل أن تخبر الرجل عن شجار الطفلين عندما عاد إلى المنزل. وبينما كانت تخبر الرجل، سمعا صراخًا آخر مروِّعًا. اندفع الزوجان إلى غرفة الأطفال. بينما كانت البنت الصغيرة ترتجف من الخوف وتكافح من أجل التَّحرُّر بكل قوتها، راح الصبي يعضُّ الجرح الذي خدش رقبة أخته في وقت سابق من ذلك اليوم، وينبش أظافره الصغيرة فيه، ويلعق الدم المتدفِّق من عنقها بسرعة.

انحشرت زوجة الرجل بينهما وأبعدت الابنة عن الابن. انقضَّ الولد عليها، وعضَّ ذراع أمه. أُخِذت على حين غِرَّة، لكنها أبقت ابنتها عالية في الهواء رغم ألمها، ودفعت الولد بعيدًا بشكل لا إرادي. خدشت أظافرها جبهته.

عندما حاول الرجل إبعاد ابنه عن زوجته، لاحظ شيئًا لامعًا على جبين ابنه.

أزَّت من الجرح الطويل كُريَّة مألوفة من سائل ذهبي اللون.

حاولت زوجته مواساة ابنتهما النازفة، بينما كان الرجل يمسك بابنه ويفحص جرحه بأصابعه. الجرح لم يكن عميقًا. تسرَّب القليل من سائل ذهبي قبل التوقُّف تمامًا.

إلى أن توقَّف عن نزف الذهب من جبهته، استمرَّ ابنه في لعق دماء أخته فوق أصابعه، وحول فمه بطريقة فوضوية.

أدرك الرجل من فوره ما يعنيه هذا.

منذ تلك الليلة، كان الرجل يأخذ ابنه إلى الخارج في كثير من الأحيان. اعتقدت الزوجة أن الولد كان طفلًا مُفرِطَ النشاط، وهاجم أخته بدافع من الطاقة المكبوتة، ورحَّبَت بمبادرة زوجها بإخراجه من المنزل لتفريغ طاقته في اللعب.

بالطبع، كانت نوايا الرجل مختلفة قليلًا عمَّا كانت تعتقده زوجته. عندما أضحى الاثنان بمفردهما، جرَّب الرجل إطعام ابنه دماء حيوانات مختلفة.

بدا أن ولده يَنفِر من دماء الكلب. رشف القليل من دماء البقر والخنازير قبل أن يبصقه. شرب ما يصل إلى شربَتين من دم الدجاج، لكنه بعد ذلك أدار رأسه، ولم يتناول أكثر من ذلك.

في كل مرة يدفع الرجل ابنه إلى تناول دماء الحيوانات، يصنع الرجل جرحًا في مكان ما في جسد الصبي، لا يراه أحد. كان دم الصبي قرمزيًّا مثل أي طفل آخر. وكان يبكي مثل أي طفل آخر.

لكن الرجل كان متأكدا مما رآه. عندما خدشت زوجته جبين الصبي، في محاولة لإبعاده عن أخته، كان ما تدفَّق من الجرح ذهبًا بالتأكيد.

أطعم الرجل ابنه دمه.

هـذه المـرة، لعـق ابنـه الـدم. ولكـن حتـى في هـذه المحاولـة، كان الـدم المُـراق مـن الجـرح الـذي صنعـه أبـوه فيـه أحمـر قرمزيًّـا. بـكى الصبـي بصـوت أعـلى.

شرد الرجل في أفكاره.

كان طفـلاه يكـبران، لكـن تجارتـه تتدهـور. منـذ أن مـات الثعلـب، لم يَعُـد يبيـع القـدر الـذي اعتـاد عليـه. تـلاشى الكنـز الـذي ظـنَّ أنـه سـيدوم إلى الأبـد، وفقـد الرجـل القـدرة عـلى اتخـاذ قـرارات محسـوبة. أصبـح قَلِقًـا ويتَّخـذ قـرارات متهـوِّرة، ثـم ينـدم عـلى سـوء تقديـره فيـما بعـد. ودفعـه النـدم إلى اتخـاذ قـرارات أكـثر تهـوُّرًا- كانـت حلقـة مفرغـة لا تنتهـي أبـدًا.

مـن أجـل أسرتـه ومـن أجـل مسـتقبل الطفلـين بالتحديـد، كان بحاجـة إلى المـال. وبمـا أن الأب كان يعمـل بجـدٍّ، فقـد اعتقـد أنـه يجـب عـلى الطفلـين تحمُّـل بعـض العـبء مـن أجـل الأسرة.

وهكـذا، حـين لا تكـون زوجتـه في المنـزل، أضحـى الرجـل يتسـلَّل إلى غرفـة طفليـه كلـما اسـتطاع إلى ذلـك سـبيلًا. لكـن زوجتـه كانـت أمًّـا منتبهـة وربَّـةَ منـزل مجتهـدة، لم يَمُـرَّ يـوم مـا كانـت فيـه في المنـزل، ومـا ذهبـت إلى غـرف الطفلـين لرعايـة احتياجاتهـما. وخاصـة منـذ اعتـداء الأخ عـلى الأخـت. حاولـت زوجـة الرجـل إبقـاء الطفلـين في غـرف منفصلـة، ولم ترفـع عينيهـا عـن الابنـة أبـدًا.

في النهايـة، اضطـرَّ الرجـل إلى التسـلل في جـوف الليـل إلى المسـتودع حامـلًا ابنتـه فيـما كانـت زوجتـه نائمـة. هنـاك في أحـد أركان تلـك العتمـة حيـث كان الثعلـب محتجـزًا ذات مـرَّة، غطَّـى الرجـل فـم ابنتـه بيـده، حتـى لا يسـمع أحـدٌ صراخهـا وقدَّمهـا إلى ابنـه. مـا إن شـبع الابـن حتـى غطَّـى الأب فـم ابنـه حتـى لا يـصرخ، وجـرح ابنـه حيـث لا يمكـن أن يـرى الجـرح أيٌّ أحـد.

بينما يجمع السائل الذهبي المتدفق من جسد ابنه قطرة بقطرة، شعر الرجل بالسلام يغمر قلبه، واستعاد أمله في المستقبل.

أبدت زوجته قلقها من الجروح الغريبة العديدة التي أصابت جسدي طفليها. تجاهل الرجل مخاوفها، قائلًا إن الأطفال يتعرَّضون للأذى طوال الوقت أثناء اللعب. قالت الزوجة، "لكن مع ذلك..."، ونظرت بجزع إلى الطفلين.

علا وجهَ الابنة دائمًا تعبيرُ رُعبٍ، وكانت ترتجف في حضرة الآخرين، وتصرخ وتبكي كلما اقترب والدها منها. كان لدى الابن انتفاخات تحت عينيه اللتين كانتا مفتوحتين على اتِّساعهما على الدوام مثل عيني حيوان، وكانت حدقتاه تزوغان هنا وهناك في حين يُصدر صوتًا بشفتيه.

ثم في أحد الأيام استيقظت الزوجة في منتصف الليل لتجد زوجها لا ينام بجانبها. نظرت في أرجاء المنزل بحثًا عنه، وعندما وصلت إلى غرفة الأطفال، وجدت أنهما قد اختفيا أيضًا. مرعوبة وفي حالة شبه جنونية، صرخت باسمي طفليها، وركضت داخل وخارج من المنزل قبل أن تسمع صرخات ابنتها المكتومة القادمة من المستودع.

أول شيء رأته هناك كان مشهدًا يتجاوز قدرتها على الاستيعاب. على أرضية المستودع ترقد ابنتها التي تهتزُّ بعنف في حين ابنها يقضم ويلعق ساقها. جثا خلف الابن زوجها وهو يحمل صفيحة صغيرة قرب جسده. مصدومة، وقفت الزوجة مشلولة للحظة قبل أن تعيدها صرخة ابنتها الواهنة إلى الحياة: "ماما...".

ضمَّت الزوجة ابنتها بسرعة بين ذراعيها. أبعدت ابنها، الذي كان لا يزال متمسِّكًا بساق أخته محاولًا شرب دمها، واندفعت نحو الباب. اعترضها زوجها. كان بحاجة إلى جسد ابنته إن أراد الحصول على المزيد

من الدم من جسد ابنه. لم يستطع السماح لها بالمغادرة مع منجم ذهبه.

والدة الطفلة قاومت بكل ما في وسعها لحماية ابنتها بينما انقضَّ الرجل عليها. صرخت الابنة، التي وجدت نفسها عالقة بين أبيها وأمها وهما يتشاجران عليها.

انتزع ابنته من بين ذراعي زوجته ودفعها بعيدًا. فقَدَت توازنها وسقطت إلى الوراء. ارتطم الجزء الخلفي من رأسها بالشَّرك الذي أبقى الثعلب مقيدًا قبل سنوات عدة.

احتوى الشَّرَك على أسنان معدنية مدبَّبة وخَشِنَة لمنع حتى أعنف الحيوانات من الهروب منه بمجرد اصطياده. حفرت هذه الأسنان في رأس الزوجة ورقبتها. الدَّمُ الذي تدفَّق منها تكدَّس فوق أرضية المستودع. سرعان ما زحف نجل الرجل وبدأ بشراهة في ارتشاف دماء والدته.

بعد أن شهدت وفاة والدتها بأم عينها، لم تبكِ ابنة الرجل أو تبتسم أو تتحدث حتى مرة أخرى. وسَّع الرجل منزله، وبنى غرفة عميقة داخل المجمع الجديد، وحبس ابنته التي غدت خرساء ومتبلِّدة المشاعر. تعاقد مع خادمات لإعداد وجبات الطعام والتنظيف، ورعاية ابنته. قال لهنَّ إن زوجته ماتت فجأة من مرض عضال ورثته ابنتها بدورها، وسبَّب لها الخرس.

ومثلما كان يفعل سابقًا، في المساء عندما تغادر الخادمات جميعًا مع نهاية اليوم، اصطحب ابنه إلى غرفة ابنته. لم تَعُد الابنة تصرخ أو حتى تتحرك فيما يجرحها شقيقها ويشرب دمها. كل ما فعلته هو التحديق إليه بوجهها الشاحب الخالي من أي تعبير.

راقب الرجل ابنته وابنه من كثب. كلما شرب ابنه كمية أكبر من الدماء، يكون الذهب أنقى وعظُمَت الكمية التي يستطيع إنتاجها.

ومع نموِّ جسد ابنه، استهلك المزيد من الدم. لكن الرجل كان يعلم أنه لا يستطيع أن يترك ابنه وحده مع ابنته، لأنه قد يشرب دمها كله سهوًا حتى تموت. احتاج الرجل إلى الابن، وكان الابن بحاجة إلى أخته للبقاء على قيد الحياة. كان هذا السببَ في منع الرجل ابنه من الذهاب إلى غرفة ابنته بمفرده، وكلَّما ذهبا إلى غرفة ابنته معًا، كان يراقب بدقَّةٍ حالتها، وكمية الدم التي يشربها الابن.

سار عمل الرجل على أحسن ما يرام، واستمرَّ بهدوء في حبس ابنته، بوجهها الشاحب، في غرفة مظلمة.

كبر الطفلان. كانت بشرة ابنة الرجل صافية، وعيناها ضخمتين وداكنتين، في مقابل وجهها الشاحب، تتلألآن بلا أدنى تعبير، وشعرها الأسود ينسدل مثل شلَّالٍ أسفل ظهرها. كبرت لتصبح فتاة جميلة، لكنها كانت جميلة متبلِّدةَ الإحساس وباردةً ومريضةً إلى حدٍّ ما. كانت ابنته مختلفة تمامًا عن الفتيات العاديات في سنِّها؛ وبالتالي، مثل غابة مظلمة تحت ضوء القمر، كان افتقارها للعاطفة، والغموض السري الذي ينعكس عنها، ينضحان بسحر مُغرٍ معيَّن.

تجنَّب الابن نظرة والده اليقظة، وبدأ يدخل غرفة أخته خلسة بمفرده.

هذه المرة، لم يكن من أجل شرب دماء أخته.

بحلول ذلك الوقت، كان الرجل يعبر المحيطات ويجوب الجبال حتى يشتري ويبيع بضاعته، وقد أصبح تاجرًا عظيمًا. لم يَعُد عليه أن يجرح جسد ابنه أو يتحمَّل مرأى ابنه يمتصُّ دم ابنته. في البداية كانت أسباب ترحاله إلى الأراضي البعيدة الاهتمامَ بتجارته، ولكن عندما أتاح له المال الذي كسبه من الذهب الاستمتاع بالمناظر الخلابة، والانغماس في ملذَّات الأطعمة والمشروبات الأجنبية، ومضاجعة نساء أجنبيات فاتنات، قضى وقتًا أقل فأقل في المنزل مع ازدهار تجارته.

ومرَّت ليالي أكثر من أي وقت مضى في منزل الرجل الضخم والمظلم، حيث ابنه وابنته متروكان بمفردهما.

عندما رجع الرجل ذات يوم، كانت ابنته حاملًا.

مشهد ابنته وهي حبلى بطفل كان له وقع ضربة على الرأس، ثم سرعان ما تحوَّلَت صدمته إلى غضب عارم. لم يُثِر صراخُ والدها أي ردَّة فِعلٍ من ابنته، التي كانت تحدِّق فيه ببرود، ودون أي تعبير. فاقَمَت لا مبالاة ابنته من غضبه. بمجرد أن رفع يده ليضربها، أمسك ابنه الواقف بجانب الرجل بمعصمه.

أثارت رؤية ابنته الشاحبة والسلبية مع ابنه، الذي يقف الآن بينهما، شكًّا في ذهنه، رفض على الفور الاعتراف به بوعي منه. بدلًا من ذلك، اندفع خارجًا من غرفة ابنته.

جالسًا في حجرة مكتبه، خفَّف الرجل من روعه، وحاول أن يفكر بأكبر قدر ممكن من الهدوء. فات الأوان على إجهاض الطفل. إن وقع خطأ واحد وأصاب شيء ابنته، فسيكون ذلك كارثيًا. بهذه الطريقة، كان لا يزال يفكر في ابنته على أنها لا تعدو كونها طعامًا لابنه، الذي كان بدوره مجرد ذهب لمحفظته.

إنْ كان ثمَّة مَبعَثٌ واحد على الراحة في كل هذا، فهو حقيقة أن ابنته لم تبرح المنزل مطلقًا. عاشت حياة دفينة داخل مجمع كبير في غرفة صغيرة مظلمة حيث لم يعرف بها أي أحد. لم تتحدث إلى أحد، ولم يكن واضحًا ما إذا كانت تفهم اللغة أو العالم على الإطلاق في حين تعيش يومًا بيومه.

حتى لو أنجبت الطفل، كان من المستحيل تخيُّلها أمًّا لائقة. أفضل ما يمكن فعله هو إرسال الطفل إلى مكان بعيد حيث لن يسمعوا عنه مرة أخرى، إلى أشخاص سيرعونه بشكل أفضل من ابنته. قرر الرجل بمفرده؛ هذا سيكون أحسن شيء للطفل.

لكن الابن... ماذا يفعل بالابن؟

كان عليه أن يفصله عن ابنته.

احتاج الرجل إلى ابنه. كان العمل يسير على ما يرام الآن، ولكن مَن كان يعلم ما سوف يجلبه إليه ريب المنون؟ قد يأتي يوم يحتاج فيه إلى المال، وكما يعلم أي شخص في مجال التجارة: لا وجود لشيء اسمه الكثير جدًّا من المال...

ومن أجل الحصول السهل على قدر كافٍ من المال من خلال تكديس الذهب من جديد، سيحتاج إلى ابنه وابنته...

فكَّر الرجل في هذا مدة طويلة. ثم باستخدام ماله وجميع صِلاته، بدأ في البحث عن طبيب كفء.

طالما لديه ما يكفي من المال، كان من السهل العثور على طبيب يتَّسم بالذكاء والسِّرِّيَّة. ربما كان المبلغ الذي طلبه الطبيب باهظًا، لكن بالنسبة للرجل، لم يتجاوز الأمر حصيلة جلستين من جلسات تجفيف جسد ابنه، من الذهب. وكان هذا الحادث برُمَّته خطأ ابنه؛ لذا كان على استعداد لإرغام ابنه على تحمُّل مسؤوليته عن ذلك بأن يعصر منه ذهبًا أكثر حتى ممَّا يطلبه الطبيب.

لم تتفاجأ الابنة برؤية الطبيب غير المألوف. في الأغلب الأعمِّ كان وجهها الشاحب لا يعكس أدنى أثر للعاطفة. لكن حالما فتح الطبيب حقيبته وأخرج زجاجات الدواء والمشارط الجراحية، بدأت الابنة بالصراخ.

كان صوتًا مرتفعًا بما يكفي لهدم سقف المنزل. في الغرفة، سدَّ الجميع -الرجل والطبيب والفتاة الخادمة التي استُدعِيت للمساعدة- آذانهم وسقطوا على الأرض. زجاجات الدواء تشقَّقَت وتحطَّمَت إلى شظايا. ولمَّا استفاق الرجل، كان ابنه واقفًا أمام باب الغرفة.

عندما رأى الابن وجودَ غرباء في غرفة أخته، حاول الاندفاع إلى الداخل. قفز الرجل معترضًا طريقه. أدار الرجل رأسه، وصرخ في الطبيب حتى يبدأ الجراحة بسرعة. نظرًا لأن جميع زجاجات الأدوية قد تحطَّمَت؛ لم يهتمَّ الطبيب بالتخدير، وبدلًا من ذلك التقط مشرطه الجراحي. حاولت ابنة الرجل الابتعاد، لكنها كانت ثقيلة بالطفل في أحشائها بحيث لم تستطع التَّحرُّك بسرعة. وبينما كانت الابنة تقاوم، بادرت الخادمة إلى تثبيتها في مكانها. وضع الطبيب مشرطه فوق بطن الابنة.

صرخت الابنة بصوت مجلجل: "دعني أذهب!".

بعد أن دفع ابنه بالكاد خارج الغرفة وأغلق الباب، التفت إليها الرجل الآن. نظرت ابنته في عينيه وصرخت مرة أخرى، "دعني أذهب!".

رأى الرجل بريق عيني الثعلب الذهبيتين في وجه ابنته الشاحب.

راح مشرط الطبيب يمزِّق بطنها. صراخها رجَّ المنزل مرة أخرى حتى أساساته.

بحلول الوقت الذي اقتحم فيه الابن باب غرفة أخته التوأم، كان الطبيب يحاول بالفعل إخراج الطفل من بطنها واستئصال الرحم الذي كان فيه. بينما كان مُغطًّى بالدماء وهو يحفر بعنف في لحم ابنة الرجل بمشرطه، كان الطبيب قد تجاوز نقطة أن يبدو بشريًّا.

اندفع الابن إلى الطبيب وبدأ في تمزيق حلقه.

عندما اقترب الرجل حتى يُوقِفه، صرخ ابنه مثل حيوان، وهذه المرة انقضَّ على أبيه.

صرخت الخادمة الممسكة بالابنة، وفرَّت.

سقط الرجل أرضًا وارتطمت رأسه بالأرضية. اعتلى ابنه صدره وأخذ يخنقه.

بحلول الوقت الذي فتح فيه الرجل عينيه مرة أخرى، كان الدم الذي فاض من السرير قد غمر الأرض التي كان يرقد عليها. ما وقعت عليه عيناه هو النظرة البيضاء الجليدية لابنته، التي برد جسمها، وبطنها الممزق مفتوحٌ للهواء.

بعد جنازة ابنته، هجر الرجل تجارته، وتحصَّن في منزله.

باءت محاولات العثور على ابنه وطفله بالفشل. الابن لم يظهر حتى في جنازة أخته التوأم.

اعتنى الخدم والخادمات بالرجل في البداية. وفاة ابنته بعد صراع طويل مع المرض، وهجر ابنه المنزل في حالة صدمة بعد وفاتها هو كل ما يعرفونه عمَّا حدث. ولهذا السبب، عندما اقتحمت خادمة سابقة مجنونة المنزل من حين لآخر، وهي تصرخ بأشياء غريبة وتحاول دخول غرفة الابنة، كان الخدم يحاولون إجبارها بالقوة على الابتعاد عن الباب.

ولكن بعد مدة ليست بالطويلة، تواترت قصص حول كيف رأت الخادمات "شيئًا" في المنزل. في البداية، شاع رؤيتهم لمحات من هذا "الشيء" يحوم حول غرفة الابنة الميتة. ثم شوهد في الممرات وغرفة النوم الرئيسية ومساكن الخدم والمطبخ وبالقرب من الإسطبلات.

هذا "الشيء" كان جميلًا. توهُّج ذهبيٌّ ناعم يتموج ببطء، تاركًا وراءه ضبابًا متلألئًا بشحوب. كان هذا الضباب الذهبي باردًا وباهتًا؛ ممَّا يدفع المرء إلى الاقتراب منه عند التحديق فيه، أو وضع يده بداخله عندما يكون بجانبه.

أي شخص أغوته ذاته بالاقتراب من الضباب الذهبي الجميل يغدو مجنونًا.

في اللحظة التي انحنى فيها المرء ولمس الآثار الذهبية التي يتركها الشيء وراءه، يتوقَّف الضوء الذهبي ويستدير. كان له عينان وفم، وكان ينزف من بطنه المشقوق، ويمدُّ ذراعيه الطويلة والبيضاء شبه الشفافة نحو المتفرجين، ويفتش بداخلهم بأصابعه الطويلة التي كانت بيضاء مثل ضوء القمر، وباردة مثل ثلج يغطي سفح جبل في الشتاء ويغمغم:

طفلي! أين هو؟!

عندما يقمع الخوف والبرودة أي استجابة من الضحية، كان شبح الابنة يصرخ بصوت يزلزل المنزل بأكمله:

طفلي! أين هو؟!

حتى بعد تَلاشي شبح الابنة، يظل أولئك الذين أغواهم بصيص الذهب يحدِّقون في الفضاء ويستمرون في الصراخ عن رؤيتهم شبحًا ذهبيًّا، أو يفركون أيديهم ويخدشون وجوههم بينما يصرخون عن ضرورة غسل الدم عن أنفسهم، أو يرون ضوء الشمس في الخارج ويصرخون، "ذهب، إنه ذهب!"، أو يتمادون إلى حدِّ القفز من النافذة، أو الذهاب لسبب غير مفهوم إلى الغابة في منتصف الليل، حيث سيُعثر عليهم موتى في صباح اليوم التالي وأعناقهم عالقة في شِراك مخصصة لاصطياد الثعالب البرِّيَّة.

سقط الخدم واحدًا تلو الآخر. إمَّا أنهم أصيبوا بالجنون أو أجبروا على المغادرة أو اختاروا الفرار.

وهكذا بات الرجل وحيدًا في ذلك المنزل الضخم.

في كل ليلة، زار الرجل في فراشه شبحُ ابنته الذهبي الشفاف، ينزف من عينيه وشفتيه وبطنه الممزَّق، ويسأله نفس السؤال دون توقُّف:

طفلي.. أين هو؟!

ما عرف الرجل مكان وجود الطفل؛ وبالتالي لم يستطع الإجابة عليه. يكرِّر شبح ابنته السؤال:

طفلي.. أين هو؟!

حتى بزوغ الفجر، كان شبح الابنة الذهبي الشاحب، بوجهه الملطَّخ بالدماء، يقف بجانب سرير الرجل، وكما كانت الابنة يوم وفاتها، كان الشبح يقطر دمًا باردًا من بطنه المبقورة، يلطِّخه في سريره في حين يسأل مرَّةً تلو الأخرى السؤال نفسه.

طفلي.. أين هو؟!

بعد بضعة أشهر من هروب آخر خادم، غامر القرويون، نصفهم من باب الفضول، ونصفهم بدافع من الإحساس بالواجب بشأن ضرورة القيام بشيء تجاه هذا المنزل المؤسف- بالدخول إلى المجمع، حيث وجدوا الرجل مستلقيًا على سريره، جلدًا على عظم، ولكن بطريقة ما لا يزال على قيد الحياة.

"أرجوكِ، دعيني أذهب...".

هذه كانت آخر كلماته. وهذه القصة كما تناقلها الناس.

توجد خاتمة بالكاد يعرفها أحد. بعد بضع سنوات، في مكان بعيد جدًّا عن أحداث القصة -على سبيل المثال، لو كان منزل الرجل في المنطقة الشمالية الغربية فسيكون المكان قرية في الجنوب الشرقي- ظهر شيء غريب فوق ممرٍّ جَبَليٍّ في مساء ثلجي في أواخر الشتاء.

الأيام قصيرة في الشتاء والجبال تغمقُّ بسرعة. لكن هذا الشيء كان يتوهَّج بضَعفٍ. على سفح الجبل المغطى بالثلوج، جلس الشيء منحنيًا وغير ساكنٍ كما لو كان منشغلًا ببعض المهام.

الشخص الذي شاهده، عاش حياته كلها في قرية مجاورة، وطوال سنواته التي قضاها في الجبال، لم يرَ مثل هذا الشيء من قبل. حثَّه الفضول على الاقتراب من الشيء الشاحب من الخلف والنظر إلى الأسفل، إلى ما كان يفعله. بعد مدة طويلة، صرخ وهرول هابطًا من الطريق الذي أتى منه.

وفقًا لقصة القروي، كان الشيء صبيًّا صغيرًا. حوالي خمس أو ست سنوات، يجلس القرفصاء، ويأكل شيئًا في درب الجبل المظلم. لأي سبب كان، انبعث من جسد الصبي توهُّجٌ ذهبيٌّ خافت؛ وهو ما مكَّن القروي من رؤية ما كان الصبي يأكله عندما صعد إليه.

كانت جثَّةَ رجُلٍ شابٍّ. مزَّق الصبي معدة الشاب، وغمس يديه بداخلها، وأخرج كتلة ذهبية، راح يتناولها بافتراس.

بدا جسد الشاب كما لو أنه قد مات بالفعل قبل مدة؛ إذ كان أبيض كالورقة، وفي كل مكان حوله انتشرت بقع براقة، ورذاذ الذهب.

بسبب تلك الكتلة الذهبية، وقطرات الذهب المتناثرة، والطفل المتوهِّج بخفوت، كان المشهد كله خلَّابًا بطريقة لا تنتمي إلى هذا العالم، لم يكن لدى القروي في البداية أي فكرة عمَّا كان ينظر إليه، وقد سيطر عليه هذا الانطباع الأول. حتى بعد أن اقترب ورأى جثة الشاب ببطنه المشقوقة، لم يكن القروي متأكدًا مما إن كانت تلك الجثة المغطاة بالذهب هي بالفعل جثة رجل.

نظر الصبي الجاثي إلى القروي الذي دنا منه. خلت عينا الصبي من أي عاطفة. بدون كلمة أو تغيير في تعبير وجهه، أخرج قطعة

ذهبية صلبة باردة أخرى من بطن والده، ودسَّها في فمه. عندما فتح الصبي فمه، لاحظ القروي أنيابًا حادة مثل أنياب ثعلب أو ذئب.

أمسك الرجل الشاب ذو البطن المشقوق بكاحل القروي.

دعني أذهب...

كاد القروي أن يتعثر في خطاه.

تحدث الشاب ذو البطن المشقوق مرة أخرى بصوت يشبه تكسُّر الجليد فوق سطح بحيرة متجمدة.

دعني...

الصبي -بتوهُّجه الذهبي- حدَّق في القروي ببلادة، فمه نصف مفتوح، وأسنانه الحادة مكشوفة.

نفَّض القروي قبضة الشاب بعيدًا عنه، واستدار، وركض من أجل النجاة بحياته.

عندما وصل إلى منزله، رأى القروي أن جزء بنطلونه الذي أمسكه الشاب كان يتلألأ بغبار الذهب. خرج بعد شروق الشمس مع أناس آخرين من قريته إلى المكان الذي رأى فيه الصبي، لكن الممر الجبلي كان موحلًا فقط بسبب الثلج الذائب، أمَّا الصبي الذهبي والرجل ذو البطن المشقوق، فما كان لهما أدنى أثر.

نـدبـات

(1)

جـرُّوا الصبـي إلى داخـل الكهـف. السـبب غـير معـروف لـه. كـما أنـه لم يكـن يعـرف الأشـخاص الذيـن كانـوا يجرُّونـه. في الحقيقـة، لم يكـن الصبـي يعـرف مَـن هـو حتـى. كان يتجـوَّل في الحقـول عندمـا أمسـك بـه رجـال لا يعرفهـم، وجـرُّوه إلى كهـف في الجبـال.

قيَّـدوا الصبـي في أعـماق الكهـف. تأكَّـد الرجـال مـن أن السلاسـل الملفوفـة حـول أطرافـه تعوقـه عـن الحركـة تمامًـا، قبـل أن يتراجعـوا مغادريـن في النهايـة.

في الظـلام، بـكى وصرخ مـدَّةً مـن الوقـت، لكـن لم يـأتِ أحـدٌ لإنقـاذه. عندمـا خَفَـتَ صراخـه، سـمع الصبـي صـوت حفيـف مـن خلفـه. كان "الـشيء" يقـترب منـه.

نجا الصبي معتمدًا على تناول اللحوم النيئة والعشب الأخضر.

كان ينام متكوِّرًا حول نفسه في البقعة التي قُيِّد فوقها. كان يقضي حاجته في مكانه أيضًا.

من حين لآخر، كان الصبي يُجرُّ إلى خارج الكهف بالسلاسل التي تقيِّده. يحدث هذا مرة كل بضعة أيام. أو ربما مرة كل بضعة أسابيع. لم يصل ضوء الشمس إلى داخل الكهف قطُّ.

كلما جُرَّ إلى خارج الكهف، يكون الضوء ساطعًا لدرجة تؤذي عينيه. عندما يرُفَع وهو مقيَّد بالسلاسل في الهواء، كان الصبي يصرخ من الألم والخوف. كان يُجرُّ إلى مكانٍ ما حيث يُلقى داخل جسم من ماء جليدي متلألئ ومتموج. ما أجاد الصبي السباحة، لكنَّ يديه ورجليه المقيدين حالت دون أن يسبح على أي حال. بينما يصرخ ويرفس، يأخذ في الغرق وقد تملَّكه شعور بالهزيمة حين يشد شيءٌ ما السلسلة مرة أخرى، ويقذف الصبيَّ في الهواء، ويجرُّه عبر الغابة وممرَّات الجبل، قبل أن يرميه داخل الكهف مرة أخرى. داخل الكهف، حيث يمتلك الصبي هواء يتنفَّسه، وأرضية ثابتة تحته، يشعر الصبي بنوع من الطمأنينة.

أمَّا ضوء الشمس الساطع أو الظلام الخانق، السماء الباهرة بالخارج أو الهواء الرطب المتعفِّن داخل الكهف، الماء البارد كالثلج أو الرطوبة اللزجة والبراز- لا وجود لأي شيء وسط بالنسبة للصبي، ودون تنبُّؤ بما سيحدث في المستقبل، ومتى.

كان "الشيء" يأتي إلى الصبي مرَّةً في الشهر، وينخر عظامه، ويمصُّ نخاعه.

كان من المستحيل على الصبي أن يرى مرور النهار أو ولوج الليل، وبالتالي لا يعرف مطلقًا ما إنْ كان قد مضى شهرٌ أم عام. ومع أنه لم

يستطع حساب كم انقضى من الوقت، كانت زيارة "الشيء" الواقعة الوحيدة التي كانت منتظمةً، ويمكن توقُّعها في حياته.

ما علم الصبيُّ ماهيَّة "الشيء"؛ لم يفطن حتى إلى شكله. يبدو أنه يتلوَّى في الظلام. وكان ضخمًا وقويًّا، ومخيفًا، وجلب معه معاناة عظيمة.

كان من شأن الشيء أن يغرس جسمًا حادًّا وصلبًا في فقرات الصبي ويمصَّ. يبدأ بالقرب من مؤخِّرته فوق عظام حوضه، ويشقُّ طريقه إلى أعلى، فقرة تلو الأخرى، باتجاه رقبة الصبي.

كان ترتيب كيفية حدوث ذلك ثابتًا في كل مرة. ستُغطَّى النقطة البيضاء الصغيرة لمدخل الكهف بكتلة ضخمة سوداء مفاجئة. ثم حفيف، وصوت خطوات أقدام تخوض في الوحل. ريش صَلد ورطب يضغط على معصمي الصبي وكاحليه. ثم يثقب فقراته جسمٌ حادٌّ وصُلبٌ ومُرعِب ومؤلِمٌ بشكل لا يُوصَف.

بعد رحيل "الشيء"، يعجز الصبي عن الحركة مدة من الوقت بسبب الألم والذعر. عندما يحاول أخيرًا النهوض، يُرغِمه شعور بأن عموده الفقري يتحطَّم، على الصراخ. لم يكن لصرخات الصبي معنى مقصود أو اتجاه بعينه.

لم يكن للصبي عائلة معروفة. لم يكن يعلم من تكون والدته أو والده، ولا يتذكَّر من أين أتى أو أين كان يتجوَّل، وأي آثار من ذكرياته الباهتة المبعثرة في غياهب نسيانه.

ومع ذلك، دعا الصبي بأن يأتي أحدهم، مهما كانت هويته، وينقذه من هذا الكهف. حتى يأخذه إلى أي مكان طالما أنه ليس هنا، إلى مكان لا يوجد فيه كل هذا الألم والظلام. دعا بكل قلبه المستنزَف والمدمَّر.

بالطبع، لم يأتِ أحدٌ لإنقاذه؛ نظرًا لعدم معرفة أحدٍ بوجود الصبي، لم يدرك أيُّ أحدٍ أن الصبي قد اختفى.

(2)

وحيدًا في الكهف، اختبر الصبي إلى أي مدًى يمكنه أن يتحرَّك بعيدًا عن الوتد الذي يُثبِّت سلاسله بالأرض. على إيقاع خشخشة سلاسله، راح يتمتم بصوت خفيض، ويدندن في أثناء سيره بما يشبه أغنية. لم يكن منبع هذا عاطفة مثل الفرح؛ كانت مجرد محاولته غير المجدية لملء الفضاء البغيض الذي كان يمثِّله الظلام الفارغ، وساعات الرعب.

عندما اصطدمت سلاسله بجدار الكهف، ورأى الصبي توهُّجَ شرارة صغيرة، كانت تلك اللحظة -مقارَنةً بأحلك الأوقات وأكثرها وحشة في حياته القصيرة- أسعدَ لحظة مرَّ بها على الإطلاق. وتَوقًا إلى رؤية الضوء الطفيف لكن الجميل مرة أخرى، سحب سلسلته مرارًا، وضرب الجدران والأرض بها، حتى سمح له ضوءُ شرارةٍ أخرى بإلقاء نظرة سريعة إلى حشرة صغيرة فوق الأرضية.

منذ جرِّه إلى داخل هذا الكهف، كانت هذه المرة الأولى التي يُبصِر فيها الصَّبيُّ مخلوقًا غيره يعيش هناك. لا يعني ذلك أنه كان متأكدًا ممَّا إنْ كان ذلك المخلوق حيًّا أم ميتًا؛ لأنه لم يكن قد أمعن النظر إليه.

رأى الحشرة لجزء من الثانية، وهي مدة وجيزة حقًّا. كانت الحشرة تزحف ببطء فوق جدار الكهف. قبل أن تصطدم السلسلة بالصخرة، كانت الحشرة تزحف على الحائط، ومع الشرارة، انكمشت مدة وجيزة، ثم واصلت طريقها عبر الظلام المألوف بخطى بطيئة وكسولة. عاش كلاهما في الكهف نفسه، لكن عالم الصبي وعالم الحشرة كانا مختلفين تمامًا. بينما وجد الصبي أخيرًا شكلًا آخر من أشكال

الحياة في محيطه، لم تكن الحشرة مهتمَّةً بتاتًا بالألم أو التوقُّعات أو الآمال التي يحملها الصبي في مكنون صدره.

لطم الصبيُّ السَّلاسلَ مرَّاتٍ عديدة في الصخور، لكنه لم يَرَ الحشرة مرة أخرى. كانت تلك هي المرة الأولى التي يبكي فيها بحُرقَةٍ. ليست صرخات شخص دفعه الخوف إلى الجنون، ولكن دموع شخص فاهم ومحزون بسبب وحدته: دموع إنسان.

(3)

كل صبي ينجح في البقاء على قيد الحياة في هذا العالم، يكبر ليصبح شابًّا.

مع مرور الوقت، شعر الصبي أن السلاسل أصبحت أقصر بطريقة ما. عندما كان يمدُّ ذراعيه أو ساقيه أثناء نومه، كان شعوره بالمعدن يحفر في جسده، أو شدَّ السلاسل له، يجبره على الاستيقاظ مفزوعًا... عندما يسحبه "الشيء" إلى خارج الكهف ويلقي به في الأجواء المتلألئة بشدَّةٍ بفعل أشعَّة الشمس القوية التي كانت أشبه باختراق ألواح من الجليد جسده، كان يساوره شعورٌ، وهو يصارع ويقاوم، أن "الشيء" كان يصارع معه الآن أيضًا.

في أحد الأيام المشؤومة، ألقى "الشيء" بالصبي مرة أخرى في المياه المتجمِّدة أوَّلًا، ثم عضَّ ساقَيْ الصبي كما لو كان سيكسرهما، ثم أغرقه عدة مرَّاتٍ في الماء قبل أن يُخرجه مرة أخرى. في الغطسة الأخيرة، غاص الفتى حتى قاع الماء قبل أن يُمسك به "الشيء" ويلقي به في ظلام الكهف مرة أخرى. دفع "الشيء" مجدَّدًا الجسم الصلب والحاد في رقبة الصبي.

اعتقد الصبي أنه على وشك الموت أخيرًا. من الواضح أنه شعر بلحم رقبته يتمزَّق، وبالجسم الحاد المؤلم يحفر بلا هوادة ما بين عظامه. معتقدًا أن رقبته ستتمزق إلى نصفين، أغمض عينيه.

عندما استيقظ، كان لا يزال على قيد الحياة.

لم يستطع إدارة رأسه أو تحريك ذراعيه ورجليه. استغرق الأمر منه مدة أطول بكثير من المعتاد للتعافي، ولم يجد أيًّا من اللحوم النيئة أو العشب الأخضر موضوعة حوله كما كان يحدث من قبل. ارتجف الصبي من فرط الجوع والخوف وهو راقد في الظلام، لا يعرف متى سيعود "الشيء" حتى يقطع رأسه.

لم يظهر لمدة طويلة.

عندما تمكَّن أخيرًا من تحريك أطرافه مرة أخرى، أدرك الصبي أنه لم يَعُد طفلاً عاجزًا بعد الآن. بدأ الصبي -الذي أصبح شابًّا- يتشبَّث ببصيص أمل طفيف بمغادرة الكهف بمفرده. بثَّ هذا الاحتمال الحركة في أطرافه، وتبلور الأمر في ذهنه تدريجيًّا إلى خطة.

(4)

تمامًا مثل المرَّات السابقة التي جُرَّ فيها إلى الخارج، أُلقى "الشيء" بالشاب ذات يوم إلى العالم الخارجي من جديد. مُحلِّقًا في الهواء، أمسك الشيء بالشاب بين فكَّيه. عندما اختفى الكهف في الأفق، أرجح الشاب أطرافه فجأة في الهواء.

فِعلٌ قَهريٌّ لم يخطط له. لم يتوقع "الشيء" حركة الفتى المفاجئة. عندما اصطدمت السلاسل المربوطة حول الفتى بالشيء، أطلق صرخة لم يسمعها الشاب من قبل، وأسقطه "الشيء" من قبضته.

سقط الشاب في الهواء. اصطدم بشيء صُلبٍ قبل أن يفقد وعيه.

عندما استيقظ، كانت شمسٌ حمراء تتدلَّى فوق غابة. ونظرًا لأنه لم يَرَ مثل هذا المشهد منذ زمن طويل، حدذَق الشاب في الشمس بينما كان ضوؤها الأحمر ينزف في الأفق.

ثم نهض الشاب.

شعر بجسده كله محطَّمًا وبرأسه يؤلمه. لكنه كان حيًّا.

كان لا يزال يحمل الأصفاد فوق معصميه والأغلال حول كاحليه، ولكن السلاسل المثبتة إليها لم تَعُد مربوطة بأي شيء؛ تتدلى ببساطة.

الشيء الوحيد الذي كان يرتديه على جسده هو تلك الأصفاد والأغلال التي تترك علامات على جسده العاري، على ذراعيه وساقيه وفقراته وصفوف ضلوعه.

مائة وعشرون ندبة كبيرة مثلَّثة الشكل.

استدار نحو الضوء القرمزي الذائب الذي كان ينتشر في السماء، وبدأ يمشي.

كانت تحركاته بطيئة.

اعتاد على جلوس القرفصاء بمفرده في الكهف مدة طويلة، أو المقاومة في الجو أو تحت الماء. الوقوف والمشي على ساقيه كان أشبه بذكرى بعيدة أخرى من طفولته؛ حلم باهت من زمن بعيد. ناهيك بأجزاء جسمه التي جرحها عندما سقط من السماء، كانت الأصفاد والأغلال تعيق حركاته. عندما شعر بالتعب، حاول الانحناء والزحف، أو الإمساك بغصن لدعم نفسه في وضعية مستقيمة بعض الوقت، محاولًا الوقوف بثبات على قدميه، متعلِّمًا ببطء مرة أخرى كيفية استخدام جسده.

لم يعرف من أين أتت اللحوم النيئة التي كان يأكل منها كثيرًا في الكهف، لكنه علم كيفية التَّعرُّف على الخضروات والفاكهة الصالحة

للأكل من الأشجار. أمسك بكل ما يستطيع أن يلتقطه بيديه ومضغه، وواصل السير نحو المجهول.

كان هذا هروبًا. كان مُنهَكًا، نعم، ومتألّمًا، قطعًا، لكنه كان حرًّا طليقًا. وهذا هو السبب في أنه رغم عدم معرفته إلى المكان الذي يتجه، إلا أنه اندفع نحوه.

لم يرغب في أن يُقبض عليه ثانية. يجب ألّا يَحدُث ذلك. الرجوع إلى ظلام الكهف يعني أن "الشيء" سيقتله أخيرًا. كان متأكدًا من ذلك.

(5)

عندما وصل أخيرًا إلى قرية، حدَّق به القرويون وقد تجمَّدوا في أماكنهم.

عند رؤية جسده العاري، غطَّت الأمهات عيون أطفالهن، ولكن بمجرد أن يلمح الناس الندبات على ظهره، تنغلق أفواههم التي كانت تنفتح للكلام، بإحكام. لم يقترب منه أحد. كل ما فعلوه هو التحديق بعيون مترعة بالخوف. لم يحاول أحدٌ مساعدته، لكن من ناحية أخرى، لم يهرب أحدٌ بعيدًا، أو يشتمه أو يحاول طرده. في صمت تام وصادم تقريبًا، راحوا يحدقون إليه بعيون جاحظة.

كانت آخر مرة التقى فيها بإنسان آخر منذ زمن طويل جدًّا. وحتى حينذاك، لم يلتقِ بهذا العدد من الأشخاص في آنٍ واحد. وكان مشهد الكثيرين من الناس الذين يركِّزون عليه شيئًا لم يتخيَّله من قبل. وجوههم المتيبسة، وأعينهم المفتوحة على مصراعيها والصمت الغامض الذي ران؛ كل ذلك ثبَّط من شجاعته.

وبينما كان يقف هناك في حرج ويجول بعينيه في الأرجاء، ابتعد القرويون واحدًا تلو الآخر واختفوا داخل منازلهم. بعد برهة، لم يتبقَّ سوى القليلين منهم، الذين واصلوا الحفاظ على مسافة بينهم

وبينه بينما يحدِّقون به في صمت قبل أن يختفوا هم أيضًا. بعد مدَّةٍ وجيزة، كان وحدَه على حافة القرية.

كان حقًّا في حيرة بشأن ما يجب عليه فعله. في البداية كان يوجد الكثير من الناس، والآن ما عاد هناك أحد. كان الجو صحوًا جدًّا. لا يوجد جدار صخري يحدد حدود عالمه، ولا سلسلة متصلة بوتد منغرس بالأرض. فكَّر كيف كان الكهف -الذي ألقاه "الشيء" بداخله مرة أخرى بعد حمله في الهواء الجليدي ورميه في الماء البارد- آمِنًا بطريقة ما. للحظة وجيزة، اشتاق إلى الظلام المألوف للكهف.

ثم فجأة، تجمهر الناس من حوله مرة أخرى. حافظوا على مسافة ثابتة بينهم وبينه فيما يظهرون فرادى وفي ثنائيات، ويحدِّقون إليه.

هذه المرة، كان الناس يتحدثون فيما بينهم بهدوء. واجه صعوبة في قراءة تعبيرات وجوههم، واستمر عددهم الهائل في إرباكه، وجعله غير متأكِّدٍ ممَّا يجب عليه فعله. مكتبة سُر مَن قرأ

ثم سمع صوتًا علا فوق الهمهمات المنخفضة للحشد.

"حسنًا، حسنًا! ابتعدوا عن الطريق. آه، هيا بنا! ها هو". صدر الصوت العالي عن رجل أصلع في منتصف العمر. ببنما يقوده رجل صغير السِّنِّ وسط الحشد، استمر في الصراخ والوعيد وهو يقترب. عندما دنا الرجل الأصلع من حافة الحشد الأقرب لشاب الكهف، همس بشيء لرفيقه الصغير الذي استدار واختفى مرة أخرى وسط الجمهور. ومع ذلك، استمر الرجل الأكبر سنًّا في الصراخ بأشياء مثل "كل شيء على ما يرام!"، أو "آه، هيا بنا!"، في حين يقترب من شاب الكهف... عندما مدَّ الرجل الأكبر سنًّا يده، تراجع شاب الكهف خطوة إلى الوراء متفاجئًا. لكن الرجل الأصلع، الذي ابتسم بحماسة، دنا خطوة أخرى منه، ووضع يده على السلسلة المتدلية من أغلال

الشـاب. سـحبها بلطـف "حسـنًا، هـا نحـن ذا. لا يوجـد المزيـد لرؤيتـه. انفضُّـوا إلى أعمالكـم جميعًـا، فنحـن جميعًـا عـلى مـا يـرام هنـا".

مـضى زمـن طويـل منـذ أن سـمع صـوت شـخص آخـر لدرجـة أنـه لم يـتراءَ لـه مشـجِّعًا، بـل غريبًـا فحسـب. لم يسـتطع فهـم نصـف الكلـمات التـي قالهـا الرجـل الأصلـع. ولكـن مثلـما انكمـش بشـكل غريـزي في الكهف عندمـا كان يمـدُّ ذراعيـه وسـاقيه فتسـحبهما السلاسـل إلى الخلـف- انكمـش الآن عندمـا سـحب الرجـل سلسـلته برفـق. بابتسـامة ودِّيَّـة عـلى وجهـه، تمسَّـك الرجـل بالسلسـلة وهـو يقـترب مـن الشـاب ويضـع يـده عـلى كتفه. اختفـت اليـد البيضـاء والمكتنـزة في خصـلات شـعر الشـاب المتلبِّـدة، التـي طالـت مثـل شـجيرة. كـما لـو كان يعـرف بالفعـل جسـد الشـاب، تسـلَّلَت يـد الرجـل الأصلـع إلى الندبـة الموجـودة فـوق عظـم رقبـة الشـاب في المكان الـذي مزَّقهـا "الـشيء" ومـصَّ مـن خلالهـا نخاعـه. ضغـط الرجـل الأصلـع عـلى الندبـة بقـوة. تجمَّـد الشـاب. الخـوف الـذي اعـتراه عندمـا اخـترق "الـشيء" فقراتـه، والرعـب المطلـق مـن أنـه قـد يمـوت، والألم- كل تلـك الأحاسـيس غمرتـه مجـدَّدًا. "حسـنًا... حسـنًا. انظـروا، لا شيء أكـثر لـتروه هنـا. هيـا، فلينطلـق الجميـع، كلٌّ في حـال سـبيله الآن. هيـا، هـلَّا تنحَّيتـم جانبًـا؟". ظـلَّ الرجـل الأصلـع يتحـدث بصـوت عـالٍ بينـما يقـود الشـاب من السلسـلة. ويـده لا تـزال عـلى رقبتـه، جـرَّ الرجـل الأصلـع الشـاب -الـذي لم يسـتطع قمـع أو ابتـلاع الصرخـة التـي انفجـرت منـه- بعيـدًا.

(6)

أعطاه الرجل الأصلع ماءً وطعامًا وثيابًا.

نظـرًا لأنـه لم يعـرف طعامًـا سـوى اللحـوم النيئـة والخـضروات، تـراءت لـه رائحـة الطعـام المطبـوخ غريبـة. ولكـن مـا إن دسَّ الطعـام في فمـه، لم يسـتطع التَّوقُّـف حتـى التهمـه كلـه. كان قـد مـلأ بطنـه، وغفـا عندمـا

أيقظه مفزوعًا صوت طنين. حين رأى الرجل الأصلع يقترب من معصميه بأداة ضخمة، صرخ وصارع عاجزًا أيدي الرجال الآخرين الذين يثبتونه إلى الأرض.

أزال الرجل الأصلع الأصفاد عن معصم الشاب الأيسر والأغلال من حول كاحليه. ترك الأصفاد في المعصم الأيمن لسبب معيَّن. ولكن لأنه نزع السلسلة من حلقتها، لم تَعُد تتدلَّى بشكل مُحرِج كالسابق.

نظر الشاب إلى معصميه وكاحليه. كان الشعور بالفولاذ الثقيل على جلده بغيضًا، لكنه اعتاد عليه، جنبًا إلى جنب مع الثآليل الموجودة على جسده المجروح والمليء بالندوب، حيث لمسه المعدن. كانت الخِفَّة المفاجئة في ذراعيه وساقيه غريبة عليه.

"استرِح قليلًا، تمام؟ عليك أن تبدأ في كسب قوت يومك من الغد".

لسببٍ ما، بدا الرجل الأصلع مرحًا وهو ينطق كلماته بابتسامة عريضة. كل شيء غير مفهوم للشاب. ابتسم الرجل الذي شعر أن الشاب لا يستطيع فهمه، ابتسامة أعرض حتى وهو يغلق باب الكوخ الصغير الذي أسكن الشاب فيه.

جلس الشاب لبعض الوقت في سلام وهدوء. في البداية، كان خائفًا، لكن نظرًا لأنه لم يحدث له أي شيء سيئ؛ بدأ تدريجيًا في الاسترخاء.

على أرضية الكوخ الترابية فُرِش بساط من القش. بعد أن شعر بصخرة سوداء تلامس جسده العاري بقدر ما يتذكَّر، فقد كان ذلك البساط الرقيق المصنوع من القشِّ ناعمًا مثل زغب القطن بالنسبة إليه. كان الكوخ معتمًا، ولكنه لا يشبه الظلام المدلَهِمَّ للكهف. كان الهواء دافئًا وناعمًا، وتفوح منه رائحة خفيفة للعشب الطازج والتراب. من خلال الفراغات في السقف المصنوع من القش، كانت النجوم تتلألأ عاليًا في السماء.

فكر في كيف كان يلطم سلاسله الفولاذية بجدران الكهف حتى يرى شرارة واحدة. فكَّر: هل ضرب عملاق محاصر داخل كهف من سماء الليل سلاسله مقابل جدار ضخم بصورة لا يمكن تخيُّلها حتى يخلق النجوم؟ هل فعل ذلك كصرخة طلبًا للمساعدة؟ أم حتى يطيق الفراغ والظلام بطريقة ما؟ لم تكن لديه أي وسيلة لمعرفة ذلك. مهما كان السبب الذي جعله يلطم السلاسل في الجدران، ذلك العملاق المحاصر، مثل الحشرة التي زحفت بجواره، لا يمكنه سوى إلقاء نظرة غير مكترثة إليه.

كانت هذه آخر أفكاره قبل أن ينجرف للنوم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(7)

أيقظه الرجل الأصلع في الصباح الباكر. تولى أتباع الرجل الكثيرون غسلَ جسم الشاب وشَعره وقطع خصلات شعره المتشابكة. كلَّما قاوم الشاب من فرط الخوف، ضغط الرجل الأصلع بيده السمينة البيضاء على الندبة في مؤخِّرة عنق الشاب. كان من الغريب كيف عرف جيدًا كيفية إرغام الشاب على الطاعة.

بعد الاغتسال والحلاقة، دهن أتباع الرجل الأصلع جسد الشاب بالزيوت وألبسوه سراويل مزخرفة. لم يُعطَ أيُّ شيء حتى يرتديه فوق خصره؛ لذلك كانت الندوب على ذراعيه وجذعه مكشوفة. جعلت الزيوت الندبات المثلَّثة على جسده تلمع مثل وشوم تُنذِر بالوعيد.

بعد انتهاء هذا التحضير، ربط الرجل الأصلع سلسلة حول يد الشاب اليمنى. كانت السلسلة القديمة حمراء صدئة، وكانت ثقيلة ومربكة، لكن هذه السلسلة الجديدة، رغم أنها عريضة، كانت أخفَّ بكثير، وكان بريقها الأسود يتلألأ في الشمس.

دفعه اللون الأسود إلى التفكير في "الشيء"، وهو يسدُّ مدخل الكهف بريشه الصلب. ولكن نظرًا لأن الرجل الأصلع كان يشد السلسلة الآن بلطف، فقد عاد إلى رشده وبدأ في المشي ممتثلًا للأوامر.

وصلوا في النهاية سيرًا على الأقدام إلى ساحة كبيرة وسط إحدى القرى. بإشارة من الرجل الأصلع، جلب أتباعه أوتادًا خشبية إلى الساحة، وصنعوا نوعًا من السياج حولها. ابتسم الرجل الأصلع، الذي يمسك السلسلة في يده، كعادته، وهو يراقبهم يعملون.

بدأ القرويون يتوافدون بينما بناء السياج يوشِك على الانتهاء. الشاب -كسابق عهده- يحدِّق في الحشد الهائل بذهول. عندما باتوا محاطِين بالكامل بالجماهير، فكَّ الرجل الأصلع السلسلة السوداء من معصم الشاب، ودفعه برفق.

"الآن، اذهب للقتال".

لم يستطع الشاب فهمه. وقف عند مدخل الحلبة؛ فجوة في السياج الخشبي، وهو مستمر في التحديق إلى وجوه الناس المجتمعين من حوله ووجه الرجل الأصلع.

ابتسم الرجل مرة أخرى. "أنت أيها الغبي. اذهب للقتال! عُضَّهم! أَرْعِبْهم!".

ودفعه بقوة في المساحة الفارغة داخل السياج.

زأر الناس المتحلِّقين حول السياج بابتهاج. كان هذا الصوت غريبًا وصاخبًا جدًّا بالنسبة للشاب، لدرجة أنه ارتدَّ إلى الوراء من فرط الخوف.

عندما رفع رأسه، وجد نفسه وجهًا لوجه مع كلب أسود ضخم، فمه يزبد، ورغبة القتل تنعكس في عينيه.

بطبيعة الحال، لم يكن لديه أدنى فكرة أن هذا كان كلبًا. مضى وقت طويل جدًّا منذ آخر مرة شاهد فيها أي نوع من الحيوانات، بريَّة كانت أم ماشية. لكنَّ عيني الكلب المحتقنتين بالدم، وأنيابه الحادة التي تلمع من خلال الزَّبَد، سمحت له بأن يفهم غريزيًّا ما كان يحدث.

نظر الشاب وراءه. الفجوة التي دفعه الرجل الأصلع من خلالها باتت مسدودة الآن.

دون أن يرفع عينيه عن نظرات الكلب الدموية، بدأ يتحرَّك جانبيًّا، خطوة بخطوة.

ثم خطوة أخرى.

بمجرد أن أدار رأسه بحثًا عن ثغرة أخرى للانسلال منها، وثب الكلب الأسود دون أن يُصدر أي صوت نحو رقبة الشاب.

في حين اندفعت أنياب الكلب في الهواء باتجاهه، شعر الشابُّ بهزَّةٍ في كل عظمة ومفصل يتهشَّم بداخله. حتى في خِضَمِّ سكرات الألم من تحطُّمِه إلى ألف قطعة، خلال قفزة الكلب، كان لا يزال يسعه سماع صوت كلِّ جزء منه ينكسر ويتشقق، واحدًا تلو الآخر.

أنياب الكلب التي كانت تستهدف حلقه، ومخالبه التي تتوق إلى تمزيق لحمه، اصطدمت بشيء صلب، ثم ارتدَّ الكلب، وقد أخفق هجومه. بعد التدحرج على الأرض، نهض الكلب، واستمرَّ في الدمدمة الغاضبة. عندما وقف الشاب وتلاقت نظراته بنظرات الكلب مرة أخرى، استطاع أن يرى في عيونه المحتقنة بالدماء لمحةً من التَّردُّد.

لكن الكلب كان عليلًا. بعد تحرُّر الكلب من إملاءات المرض في أعماق دماغه، عوى، والزَّبَد لا يزال يسيل من فمه، وانقضَّ على الشاب مجدَّدًا.

لم يستطع الشاب تذكُّرَ ما حدث بعد ذلك. عندما استعاد رشده، لم يكن الكلب الأسود الضخم سوى قطعة من الجلد والفراء غارقة في الدماء، مكوَّمة جانبًا فوق الأرض المغبرة.

زأرت الحشود. منهم من غادر على عجل أو استدار وتقيَّأ. أولئك الذين لم يتقيَّؤوا أو يغادروا، كانوا مثل الكلب المريض عندما كان على قَيْد الحياة؛ عيونهم محتقنة بالدماء، ويصدرون همهمة عالية غير مفهومة ويصفقون بحرارة.

دخل الرجل الأصلع الحلبة وانحنى. المزيد من الصيحات والتصفيق. بينما وقف الشاب هناك في حالة ذهول، أمسك الرجل بذراعه وقاده إلى الخارج. فقط عندما اقترب أتباع الرجل الأصلع من الشاب وبدؤوا في مسح جسمه بالمناشف، أدرك الشاب أنه كان مُغطًّى بالعَرَق، ودماء الكلب.

"أحسنت". كان الرجل الأصلع باسمًا، راضيًا بشدة عن شيء مُعيَّن. "أبلَيتَ حسنًا. فقط واصِلْ ما تفعله. ربما عليك أن تُظهر المزيد من ضبط النفس في المرة القادمة، تمام؟".

رفع الرجل يده البيضاء السميكة وصفع بمرح مؤخِّرة عنق الشاب. ضغطت كفُّ يده على النَّدبة بالضبط، لكن التلامس كان سريعًا وخفيفًا؛ ممَّا جعل الشاب يشعر بخوف أقل من ذي قبل.

قدَّم الناس الذين مسحوا العرق والدم عن جسد الشاب، إليه قرابين من الماء واللحوم المجففة. كان يبتلع الماء في جنون ويمضغ اللحم المالح القاسي، ويفكِّر في مدى اختلاف لمسة الرجل الخفيفة والودية قبل قليل عن تلك اللحظة التي ضغط فيها بشدة على النَّدبة في المرة الأولى التي قاده فيها بعيدًا. لم يستطع أن يفهم كيف عرف ذلك، ولكن على مستوى ما من وعيه، كان يعلم أنه تلقَّى مُجامَلةً من إنسان آخر للمرة الأولى في حياته.

(8)

انتقلوا به من قرية إلى أخرى حيث خاض معارك متنوِّعةً. لم يفهم الشاب ما يجري، لكنه كان مقاتلًا جيدًا.

قد يكون خصمه كلبًا ضخمًا آخر أو ذئبًا مُصطَادًا، وأحيانًا خنزيرًا؛ ذات مرة، كان عليه أن يقاتل دبًّا. بغضِّ النظر عن خصمه، كانت الأشياء الوحيدة التي يمكنه أن يتذكَّرها من المعارك نفسها، هي الخوف والتَّوتُّر، وألم جسده المحطم إلى أجزاء، وصوت كسر حادٍ. ثم، وعلى نحو عجيب، يستعيد وعيه ليجد الوحش راقدًا ورقبته مكسورةً أو بطنه ممزَّقًا وأحشاءه تنسكب على الأرض.

"ضَبطُ النَّفس، يا ابني العزيز، ضبط النَّفس". الرجل الأصلع، وجهه الشاحب والمكتنز يتَّسِع بابتسامة تمتدُّ من الأذن إلى الأذن، يُردِّد هذه الكلمات كما لو كانت تعويذة. "من الجيد جدًّا أن تمزِّق خصمك عندما يكون حيوانًا، ولكن لو فعلت ذلك بإنسان آخر، ستثير الفوضى الناجمة عن ذلك ضجَّةً كبيرة سيكون من المستحيل احتواؤها". ثم يلقي الرجل نظرة على وجه الشاب غير الفاهم المحدِّق إليه، ويرمي له قطعة أخرى من اللحم المجفَّف. "رغم بلاهتكَ... توجد طريقة لتعليمك حتى تفهم، حسنًا".

في أحد الأيام، أحضر الرجل الأصلع رجُلًا آخر له ذات الرَّأس الأصلع اللامع، ولكنَّ حجمه كان الضِّعف في العضلات وحدها.

حليق الشعر بالكامل -شَعر الرأس واللحية وحتى الحاجبين- همس الرجل المفتول العضلات بوجهه اللامع بشيء إلى الرجل الأصلع قبل دخول الحلبة والوقوف أمام الشاب.

غير متأكِّد ممَّا يجب عليه فعله، حدَّق الشاب ببساطة في الرجل. الوحوش التي قاتلها كانت عيونها مُحتَقِنةً بالدماء أو شعر رقبتها منتصبًا، أو يسيل الزَّبد من أفواها، ومخالبها مشهَرة. كانت نيَّتهم

بالهجوم واضحة، ولم يكن هناك شيء آخر يمكن فعله سوى التَّنحِّي جانبًا أو الدفاع عن نفسك. لكن قتال إنسان كان مختلفًا تمامًا. كان الرَّجلُ حَليقَ الشَّعر بالكامل، ابتسامة تشبه ابتسامة الرجل الأصلع، وهو يفرد ذراعيه على نطاق واسع في لفتة ودية، وينظر إلى الشاب.

"تعال إلى هنا، يا فتى. دعنا نمرح".

الشاب لم يعرف ماذا يعني ذلك. تَردَّد. انتقلت نظراته ما بين الوجه المبتسم للرجل مفتول العضلات والرجل الأصلع الواقف خارج السياج يراقبهما.

ظل الرجل الأصلع يبتسم. "اهجم أيها الأحمق. اهجم". صنع بقبضتيه البيضاوين المكتنزتين إشارات لكمٍ.

يمكن للشاب فهم هذه البادرة على الأقل. لأن هذه أول مرة يقاتل فيها إنسانًا؛ كان ثمة شيء يتعلَّق بذلك الموقف يكبحه، لكن في النهاية اتبع التعليمات وانقضَّ على الرجل المفتول العضلات.

تنحَّى الرجل جانبًا برشاقة لا يوحي بها مظهره الضخم. استدار الشاب وانقضَّ مرَّةً أخرى. تصدَّى الرجل الأكبر سِنًّا له ببراعة مستخدمًا يده اليسرى. الاندفاع جعل الشاب يسقط على الأرض. أمسك الرجل المفتول العضلات بمؤخِّرة عنق الشاب.

تجمَّد الشاب في مكانه؛ في اللحظة التي ضغط فيها الرجل المفتول العضلات على الندبات الموجودة فوق مؤخرة رقبته، شُلَّت حركته تمامًا.

ابتسم الرجل المفتول العضلات. ألقى الشاب بعيدًا مثل دُميةٍ.

ارتطم الشاب بالسياج الخشبي. للحظة وجيزة، أعتمت رؤيته. عندما استفاق، وحاول أن ينهض ثانية، أدرك أن أنفه ينزف.

بعد أن وقف على قدميه، حاول استعادة تركيزه عن طريق هزِّ رأسه. في الوقت الذي استعادت عيناه قدرتها على الرؤية بوضوح، كان الرجل مفتول العضلات أمامه مباشرة. بالكاد أُتِيحت للشاب ثانية واحدة للتفكير قبل أن يبسط خصمه يده، في إيماءة كما لو كان سيُربِّت على رأس طفل، ويصفع بها صدغ الشاب. فقد الشاب توازنه، وخرَّ على الأرض مجدَّدًا.

وقف مرة أخرى، وهو يبصق الرمل والدم. لم يتقدَّم أي قتال خاضه من قبل أبدًا كما تقدَّم هذا النزال. في غضب، هاجم الشاب الرجل بقبضتين مضمومتين.

كالمرة السابقة، تفاداه الرجل بسهولة، حتى إنه ضغط على الندبة في حين يسقط الشاب مرة أخرى من تلقاء نفسه. أدَّى شعورُ أنه يتعرَّض للاستهزاء إلى تأجُّج غضبه. لكن الاندفاع نحو الرجل والقيام بمحاولات عقيمة لضربه كانا منهِكَين فحسب.

بوجهه الملطَّخ بالدماء والرمال، ترنَّح الشاب قبل أن يستقيم مجدَّدًا. كان بالكاد يستطيع التنفس. الرجل مفتول العضلات لا يزال يبتسم وهو ينظر إليه.

قال: "أن تخطئ، وتضرب الهواء، أكثر إجهادًا من أن تتلقَّى بعض اللكمات الجيدة؛ إذ في هذه الحالة لا يُنهَك الجسد فقط، بل الذهن أيضًا".

لم يفهمه الشاب. كل ما كان يراه سخرية الرجل منه. أنساه غضبه كلَّ شيء عن مدى تعبه ولهاثه. كوَّر قبضتيه، وانقضَّ مرة أخرى.

راوغ الرجل مرة أخرى هجمات الشاب. وانتظر تعثُّره مرة أخرى، ثم ضغط بركبته على ظهر الشاب ورفع قبضته نحو عنقه. في اللحظة التي شعر فيها الشاب بقبضة الرجل، مفصل إصبعه الثالثة

بالتحديد، يلمس مؤخِّرة رقبته، سمع الشاب من مكان ما الأصوات الأولى الخافتة للكسر.

مباشرة قبل أن تتمكَّن قبضته من الضغط على رقبة الشاب، أوقف الرجل مفتول العضلات حركته.

التقط الشاب أنفاسه وانتظر.

توقَّف الصوت. لم يحدث شيء.

ببطء، اعتدل الرجل في وقفته. مدَّ يده لكن الشاب لم يأخذها.

وقف الشاب من تلقاء نفسه.

عند رؤية هذا، ابتسم الرجل مفتول العضلات مرة أخرى.

***

استطاع الشاب أن يسمع الرجلين الآخرين يتحدثان فيما يشرب ماءه ويمضغ لحمه المجفف.

"طالما أنه لا يدرك أن خصمه يهاجمه...".

"أنت تقول إن كان بإمكاننا تأخير إدراكه بطريقة معيَّنة...".

"لكن فكِّر في الخطأ الذي قد يحدث...".

"كيف؟ أنا أخبرك، لا يفشل ذلك أبدًا...".

في خِضمِّ حديثهما، كان الرجلان يبتسمان إلى الشاب كلما تلاقت نظراتهما بعينيه، كما لو كان الاثنان قد عقدا اتفاقًا مسبقًا فيما بينهما. ألقى الرجل الأصلع الأكبر سنًّا قطعة أخرى من اللحم إليه. صنع الرجل المفتول العضلات بيده حركة الشرب تجاه الشاب. عند رؤية تعبيره الحائر، ضحك الرجل مفتول العضلات بصوت عالٍ.

(9)

بعد أيام قليلة، دُفِع الشاب إلى قتال آخر. ولكن قبل أن يخطو إلى الحلبة الفارغة، سلَّمه الرجل الأصلع جرابًا في كيس جلدي. فتحه الشاب دون تفكير، قبل أن يُبعد وجهه عنه بسبب الرائحة الحادَّة المفاجئة للسائل بداخله.

السائل الوحيد الذي عرفه هو الماء، لكن السائل الموجود في الجراب لم يكن ماءً قطعًا.

حدَّق إلى الرجل الأصلع. كما هو الحال دائمًا، كان يبتسم له ابتسامة عريضة، وهذه المرة قام بإيماءات الشرب، ورمى رأسه للخلف ويده بالقرب من فمه.

"اشرب. إنه جيِّد لكَ. عليك كسب الكثير من المال، أليس كذلك؟".

تردَّد الشاب. اقترب الرجل وأمسك بعنقه. في اللحظة التي بات الشابُّ فيها عاجزًا عن الحركة، سكب الرجل السائل اللاذع في فمه. سعل الشاب ونفخ، لكن الرَّجل تَمكَّن من إنزال نصف السائل تقريبًا في حلقه.

"ممتاز. انطلق الآن! اهجم!". صفع الرجل ظهر الشاب، الابتسامة لا تفارق وجهه، الجراب ما زال في يده، ودفعه إلى الحلبة.

هذه المرة، كان خصم الشاب إنسانًا. شابًّا بملامح شرسة. كان شَعرُه مقصوصًا، وامتدَّت ندبة طويلة على جبهته، وعيناه شقَّاق طويلان يُشِعَّان غضبًا.

اقترب الرجل الشرس من الشاب. ظنَّ الشاب أنه يتعرض للهجوم، فجفل غريزيًّا. ولكن بمجرد أن بات خصمه على مسافة قريبة منه، قفز الرجل إلى الوراء. خصمه، ساقاه متباعدتان وتتمايلان ذهابًا

وإيابًا، يقترب حتي يغدو على مبعدة ذراع منه، ثم يقفز للخلف، يتقدم ويتقهقر مرات عديدة.

مشاهدة خصمه يفعل هذا أصاب الشاب بالدوار. عندما بادر الخصم، في خِضمِّ تمايُلِه وحفاظه على مسافة بينهما، بضربه فجأة على عظام الوجنتين، سقط الشاب، الذي لم يحاول حتى تحاشي اللكمة، ناهيك بالتصدي لها، ببطء على الأرض. الناس الواقفون حول السياج أطلقوا صيحات الاستهجان نحوه.

تمكَّن من النهوض. اقترب منه خصمه وركل بطنه بقوة. تمكَّن من تجنُّب السقوط إلى حدٍّ ما عن طريق مدِّ ذراعيه، لكن السائل الذي شربه تدفَّق فجأة من بطنه. عندما ركله خصمه مرة أخر، سقط إلى الأمام وتقيَّأ ما تبقَّى من السائل.

تجمَّع السائل الأخضر على الأرض ووسَّخ فمه. لسبب ما، جأر الحشد.

صارع حتى وقف على قدميه. هذه المرة، لم يهاجمه خصمه بل انتظره فحسب- يتأرجح بجسده ذهابًا وإيابًا كما كان يفعل من قبل، ويراقبه.

بادل الشاب خصمه النظرات. بعد أن تقيَّأ، شعر بتحسُّن كبير في أحشائه. لا مزيد من الدوار. بعد أن أصبح واثقًا قليلًا الآن، دفع قبضته بحركة خاطفة في المرة التالية التي اقترب فيها عدوُّه منه. لكن الخصم كان أسرع. تحرَّك الشاب ذو الملامح القاسية كما لو كان ينزلق على قدميه، وانسلَّ من تحت ذراع الشاب، ثم صفع حلق الشاب بإبهامه وسبابته، في ضربة سريعة ولكنها فعَّالة. انقطعت أنفاس الشاب، وبدأ في السقوط إلى الأمام. واغتنم خصمه الفرصة وخطا جانبًا، ودفعه بمرفقه في رقبته.

مباشرة قبل أن يضربه كوع الخصم، سمع الشاب صوت صخور تتحطَّم وفولاذٍ يتهشَّم. لسبب ما، لم تكن الضربة مؤلمة كسابقتها.

ارتطم كوع خصمه بشيء جامد بصورة لا تُصدَّق. وسمع الشاب صوت تحطُّم مفصل كوع الرجل، وصرخاته.

وقف الشاب على قدميه. مدَّ يده اليمنى للهجوم، لكن رأى أنه لا يزال ثمة قيدٌ فوق معصمه؛ لذلك أنزل تلك الذراع، وبذراعه اليسرى، أمسك برقبة خصمه. كانت ذراعه اليسرى الممتدَّة أمامه مغطَّاة بشيء صلب ولامع، مثل قشور رمادية، وبدت يده وأصابعه وكأنها مصنوعة من الصخر. تلك اليد الرمادية، يدٌ لا تبدو مثل يد إنسان، كانت ملفوفةً الآن حول رقبة الشاب الشرس المنظر؛ تعتصرها.

حدثت كل هذه الأشياء فيما بدا وكأنه بطءٌ غريب. كانت يده تمسك خصمه من رقبته، وبدا وجه الرجل على وشك الانفجار. تحوَّل في البداية إلى الأحمر، ثم الأبيض، وسرعان ما أصبح أزرق. شاهد الشاب هذه التَّغيرُّات كما لو كان متفرِّجًا على القتال وليس جزءًا منه.

من جانب الخصم، قفز رجل عجوز بشعر أبيض إلى داخل الحلبة. جاء الرجل الأصلع أيضًا مهرولًا. كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها الشاب الرجل الأصلع لا يبتسم له. لم يستطع تمييز ما كانت تقوله أصوات الناس الذين يصرخون عليه، ولكنه رضخ لأوامر الرجل الأصلع، وحرَّر خصمه.

أصابعه، البطيئة بشكل غريب، خفَّفَت قبضتها، إصبعًا تلو الأخرى. خصمه، مُقلَتَا عينيه تدحرجتا إلى مؤخرة رأسه في ألم شديد، لدرجة أن الشاب لم يستطع أن يرى سوى بياضهما، راح يئنُّ في حين ينهار على الأرض. ظلَّ الرجل العجوز أبيض الشعر يصرخ وهو يسحب الخصم

خـارج الحلبـة. طـوال كل هـذا، كان الجمهـور في حالـة هيـاج جنـوني، يصرخـون بشـكل غـير مفهـوم.

وحيـدًا في السـاحة الآن، وقـف الشـاب يحـدِّق في الفـوضى خـارج الحلبـة. اقـترب منـه الأصلـع مـرة أخـرى، وأمسـك بيـده اليمنـى، ورفـع ذراعـه.

عـلا هديـر مُـدوٍّ مـن الحشـد مصحوبًـا برمـي أشـياء صغـيرة لامعـة داخـل الحلبـة. كان الرجـل الأصلـع يبتسـم ابتسـامة عريضـة مـرة أخـرى، وهـو يلتقـط هـذه القطـع البرَّاقـة بينـما كان الشـاب يحـدق في يديـه.

عـادت يداهـا إلى هيئتهـما الطبيعيتـين. ورجعـت ذراعـه كـما كانـت سـابقًا. ولكـن في تلـك اللحظـة، تمكَّـن أخـيرًا مـن ربـط صـوت الكـسر، والألم المحطِّـم للعظـام، والقشـور الرماديـة الصخريـة التـي ظهـرت مـن الندبـات المثلَّثـة عـلى أطرافـه وظهـره وضلوعـه. لم يسـتطع شرح مـا فهمـه بالضبـط، لكـن سـاوره شـعور بـأن سـؤالًا كبـيرًا حقًّـا قـد حصـل أخـيرًا عـلى إجابـة عليـه.

دسَّ الرجـل الأصلـع في الجـراب حـول وركـه القطـع الصغـيرة المتلألئـة التـي ألقـى بهـا النـاس، وحتـى بعـد أن مـلأ الجـراب حتـى آخـره، كان لا يـزال يحمـل حفنتـين منهـا في كلتـا يديـه بينـما يقـود الشـاب إلى خـارج الحلبـة. في لمـح البـصر، حـزم أتبـاع الرجـل الأصلـع أمتعتهـم، وكانـوا في طريقهـم خـارج القريـة. حتـى حـين بـدؤوا في الركـض، كان الرجـل الأصلـع لا يـزال يبتسـم.

في النُّـزُل الـذي وصلـوا إليـه بعـد رحلـة يـوم طويـل، أفرغـوا أمتعتهـم في غُرَفِهـم، ثـم تناولـوا عشـاءً ضخـمًا وصاخبًـا. عـلى رفِّ الأمتعـة في عربتهـم المربوطـة بالخـارج، غفـا الشـاب فـوق كومـة مـن القـش.

شيء مـا دفعـه إلى الاسـتيقاظ. كان الرجـل الأصلـع يربـط سلسـلة في الأصفـاد فـوق معصمـه الأيمـن، ويقفـل السلسـلة حـول شيء أعـلى رأس

الشاب. بينما يحاول الشاب النهوض، ضغط الرجل على رقبته. عاود الشاب الجلوس في طاعة.

قال الرجل وهو يناوله وعاء من سائل ما: "اشرَبْ".

أنزل الشَّابُّ رأسه في الوعاء حتى يفعل ذلك، لكنه استدار بعيدًا لا إراديًّا. كان السائل في الوعاء مشابهًا للسائل الأخضر الذي شربه ذلك الصباح، ولكن رائحته أكثر حدَّة. عاد إليه الشعور بالدوار والغثيان. تجهَّم وجهه.

"اشرب!، أمسك الرجل بعنقه، ودفع وجهه في الوعاء.

حاول الشاب بلا هوادَةٍ المقاومة بذراعه اليسرى. كل ما حدث هو أن جلجلت السلسلة المتدلية من معصمه الأيمن مصدِرة خشخشة مزعجة. بكل قوته، أمسك الرجل الأصلع برقبة الشاب بيد واحدة، وأمال محتويات الوعاء باليد الأخرى داخل فيه، وأجبره على الانتهاء من شرب السائل. هزَّت التَّشنُّجات جسد الشاب. سعل بعنف، لكن كما حدث من قبل، كان نصف السائل قد وصل بالفعل إلى بلعومه.

نظر إليه الرجل الأصلع بوجهٍ خالٍ من أي تعبير، بينما كان الشاب يسعل ويتقيَّأ. "لو لم تشرب هذا الدواء، لكنتَ قَتَلتَ ابن العاهرة ذاك. هل تفهمني؟".

كان هذا التغيير في اللهجة مفاجئًا، لدرجة أن الشاب نظر إلى الرجل الأصلع مدهوشًا.

"كنت محظوظًا لأن هذا الحقير التافه لم يَمُت، وحافظنا على أموالنا وخرجنا من هناك. فكِّر فيما كان سيحدث لو قتلته. لكانت نهايتكَ. هل تسمعني؟".

ظلَّ الشاب ينظر إليه دون أن يردَّ. ضربت يد الرجل جانب وجه الشاب بقوة.

صرخ مرة أخرى: "هل تسمعني؟".

غضب الشاب بسبب تعرُّضه الفجائي للصفع، لكنه لم يستطع تحريك جسده. تورَّد وجهه باللون الأحمر، لكن كل القوة غادرت أطرافه.

"تناول كل ما أعطيك إياه من الآن فصاعدًا، تمام؟ لا تتقيَّأه أو تتذاكى بشأنه".

بعد أن نطق الرجل بهذه الكلمات الأخيرة، غادر العربة وهو يترنح قليلًا، وعاد أدراجه إلى داخل النُّزُل.

(10)

منذ أن أعطاه الرَّجلُ الأصلعُ السائلَ الغامض حتى يشربه، وجعله يقاتل الرجال، بدأت حالة الشاب تتدهور أكثر فأكثر.

السائل ذو الرائحة النَّفَّاذة لم يَعُد يجعله يتقيَّأ كثيرًا، لكن الدوخة والغثيان زادا سوءًا. أثناء قمعه رغبته في القيء، كان ينزع إلى عدم الثبات على قدميه في الحلبة؛ ممَّا يجعله أكثر عُرضةً للضربات التي تنهال عليه. كان جسده يضعف بالتأكيد؛ ممَّا يعني أن السرعة التي تعافى بها من آثار السائل كانت تتباطأ.

كان يعلم بالطبع أنه في اللحظة الأخيرة ستنبت قشور صُلبةٌ من الندبات التي تركها "الشيء" عليه، وتحمي جسده من الأذى. ولكن لأنه لم يستطع التفكير على نحو صحيح، كانت تلك الدفاعات بطيئةً في دخول حيِّز التنفيذ، ومع تقلُّص قوته، والضَّربات التي كان يتلقَّاها جسده، لم يستطع القتال بالقوة نفسها التي قاتل بها في الماضي.

في اليوم الذي واجه فيه عملاقًا شاحبًا بابتسامة مثالية تقريبًا من الناحية الهندسية، وبشرة بيضاء تمامًا، وعينين حمراوين، اعتقد أنه

سيلقى حتفه أخيرًا. العملاق ذو العيون الحمراء، مثل قطّة تلعب مع فأر، ضرب كل جزء من جسد الشاب ودفع الحشد إلى هوجة جنون. في بعض الأحيان يبادر العملاق بحركة عدوانية. يحاول الشاب بوهنٍ شنَّ هجوم مضاد، فقط حتى يتنحَّى العملاق جانبًا في الثانية الأخيرة، وينحني للجمهور المصفِّق. عيون العملاق الأبيض البشرة، الحمراء، تُشعُّ بهجة وثقة. في اللحظة التي أخذ القتال يبدو بلا نهاية، حاول العملاق توجيه الضربة القاضية إلى الشاب المترنِّح، الذي يوشك على الإغماء.

سيتذكَّر الشاب لاحقًا أنه في تلك اللحظة فقط، نَمَت أطراف تشبه أجنحة سوداء من ظهره، وضربت العملاق الذي كان ينقضُّ على حلق الشاب. طار جسد العملاق خارج الحلبة، وزأر الجمهور بكلمات التقدير والانبهار على هذا التحوُّل غير المتوقَّع في الأحداث. اختفت الأطراف الشبيهة بالأجنحة في اللحظة التالية، وشعر الشاب بالدَّمِ يغادر وجهه في حين بدأ يسقط من شدَّة الإعياء.

على الفور، ركض إليه الرجل الأصلع وأمسك ذراعه بإحدى يديه، وسند ظهره باليد الأخرى حتى يحول بينه وبين السقوط. رفع الرجل الأصلع ذراع الشاب، وانحنى للجمهور وجمع القطع النقدية التي كان الجمهور يمطرهما بها بينما حاول الشاب ألا يتقيَّأ أو ينهار. كان العالم يدور، وكانت أحشاؤه توجعه كما لو كانت تتلوَّى.

في العربة الخشبية أثناء مغادرتهم القرية، أحصى الرجل الأصلع عملاته المعدنية وأطلق ضحكة مدوية.

"نعم، هذه هي الروح المطلوبة! استَمِرَّ في فعل ما فعلته بالضبط اليوم! بدا لي لوهلة أنك وصلت إلى أقصى قدراتك، وبعد ذلك، بوم! تلك الأجنحة! كيف فعلت ذلك؟ ما سرُّك؟ أوه، مَن يهتمُّ، فقط استَمِرَّ في فعل ما تفعله".

لم يمتلك الشاب أدنى فكرة عمَّا يقوله الرجل الأصلع. لم تكن لديه الطاقة للفهم أو التركيز. كلما ارتجَّت العربة، شعر بأحشائه وكأنها تُعتصَر، وكل نبضة من قلبه تسبِّب له ألمًا كأنَّ شيئًا ينتفخ ويتمدَّد داخل رأسه.

في تلك الليلة، حدَّق الشاب في معصمه الأيمن، الذي كان مقيَّدًا بالسلاسل إلى مقصورة الأمتعة في العربة، وفكَّر أنه بحاجة للهروب مرة أخرى.

(11)

ما كان انتظارُ فرصةٍ سهلًا.

من الصباح حتى المساء، كان الشاب مُحاطًا بالرجل الأصلع وعُصبَته، وفي الليل ينامون جميعًا معًا في العربة. في الأيام التي كسب فيها الكثير من المال، كان يُترَك بمفرده في العربة بينما يذهب الآخرون للشُّرب والعربدة، لكن معصمه الأيمن ظلَّ مُقيَّدًا بالسلاسل إلى مقصورة الأمتعة.

ومع ذلك، أكثر من أي شيء آخر، كان ضَعفُه يتفاقم. لم يَعُد مضطرًّا إلى شرب السائل المشبوه حتى يشعر بالغثيان؛ كلما وقف بعد الجلوس بعض الوقت أو خرج من مكان مُظلِم إلى مكان أكثر إشراقًا، كان العالم يدور من حوله. خلال المعارك، وصل الآن إلى نقطة حيث ترنَّح ببساطة مدَّةً من الوقت في حين يكيل خصمه له الضربة تلو الأخرى، قبل أن يغمى عليه تمامًا وسط صيحات استهجان الجمهور. دفع هذا الرجل الأصلع إلى العزوف عن إعطائه الدواء. لكن جسده كان قد تضرَّر بالفعل، وحتى عندما صارع وحاول قمع تقيُّئه، كان يُدفَع باستمرار إلى القتال.

عندما لم يَعُد الشاب قادرًا على الوقوف باستقامة بمفرده، قطع الرجل الأصلع علاقته أخيرًا معه. مهما ضربه الرجل أو ركله أو ضغط على رقبته، لم يَعُد الشاب قادرًا على النهوض. بصق عليه الرجل الأصلع وحمله أحد أتباعه على كتفيه إلى التلال. بمجرد أن توغَّل التابع قليلًا في الغابة، نبذ الشابَّ تحت شجرة، واختفى.

استلقى الشاب على الأرض، وحدَّق في السماء. جزءٌ من زُرقة السماء ينفذ من خلال الغطاء الكثيف للأشجار.

بينما يرقد هناك ويحدِّق في الجزء الأزرق الثابت، ويستنشق رائحة الأوراق المتساقطة، بدا أن غثيانه الهادر الذي لا نهاية له، يخفُّ. تغلَّب عليه شعور حالم بالاسترخاء حيث افترش الأرض، ساكنًا تمامًا.

بدأ اللون الأزرق فوقه يتحوَّل إلى الرمادي. ثم تحوَّل إلى لون شاحب كالرماد، وبدأ المطر يتساقط. الأوراق التي غطَّت الأرض وجسده رُشِقَت بلا رحمة بقطرات مطر ضخمة.

كان ماء المطر باردًا على جلده. مع ازدياد كثافة المطر ورائحة التربة الرطبة، ونموِّ الأوراق بقوة أكبر، بدأ يشعر بالغثيان مرة أخرى. ارتجف وكاد يقفز عن الأرض عندما جلس فجأة، وتقيَّأ بعنف ما بدا وكأنه أحشاؤه كلها. استجمع القوة القليلة الباقية في جسده المنهك، وتقيَّأ مدة طويلة حتى لم يَعُد في جوفه شيء.

عندما انتهى، رفع رأسه وحدَّق في السماء التي تساقط المطر منها. ضربت قطرات المطر وجهه وانزلقت داخل فمه. شربها؛ كانت عَذبةً ومُنعِشَة.

وقف على قدميه. كان الجوُّ قارص البرودة، لكن الرعشات والألم الذي كان يخنق أحشاءه أخذ يتبدَّد، وسرعان ما اختفى تمامًا.

بدأ يمشي في الاتجاه المعاكس للطريق الذي اختفى فيه التابع الذي أحضره إلى هنا.

(12)

تجوَّل الشاب في الغابة الجبلية مدَّةَ أربعة أيام. بصرف النظر عن مياه الأمطار وبعض الأعشاب، لم يتناول شيئًا واستمر في المشي طويلًا.

عندما خرج من الغابة في مساء اليوم الرابع واكتشف قرية، كان أول ما خطر في ذهنه ليس الفرحةَ لأنه نجا، ولكن أن القرية كانت مألوفة له بطريقة أو بأخرى. اجتمعت صخرة بالقرب من مدخل القرية، والأرض الخضراء والبنية، والأشجار ذات اللحاء الرمادي، وصفوف المنازل معًا بشكل غريب، جعله يشعر أنه كان هنا من قبل.

لكن لماذا كان مشهد القرية مألوفًا جدًّا، وأين رآه من قبلُ؟ كان شيئًا لم يكن لديه القدرة على التفكير مليًّا فيه. لمدة أربعة أيام متتالية، لم يأكل أو ينام بشكل ملائم. أكثر ما احتاج إليه الآن هو الطعام والدفء.

خطا داخل القرية المألوفة بغرابة.

كان لا يزال يرتدي الملابس التي كان يرتديها في الحلبة. الشيء الوحيد فوق جسده البنطلون الفضفاض المزخرف الذي قدَّموه إليه، لم يكن ينتعل حذاءً أو يرتدي سُترةً، فقط الندبات العديدة التي تُميِّز ظهره وذراعيه مكشوفة للعالم حتى يراها.

كانت شمس المغيب تذوب في درجات مختلفة من اللون الأحمر فوق الغيوم في الأفق، وكان الدخان يتصاعد من منازل القرية بينما سكانها يُعدُّون وجبات عشاءهم. رائحة الطهي أثارت معدته وجعلتها تقرقر. مشى في الزقاق بين البيوت.

توقّف القرويون العائدون من أشغالهم في طريقهم، وحدّقوا به. في الصمت المتوتر لنظراتهم الخائفة، تذكّر الشاب اليوم الذي هرب فيه من "الشيء" والكهف، ودخل إلى عالم البشر. ولكن على عكس ما حدث حينذاك، لم يكن في انتظاره الآن رجلٌ مبتسِمٌ، يركض ويُمسِك بيده.

لم يقدِّم له أحدٌ الطعامَ أو الدفء. عندما حاول دخول المنازل، كانت النساء تلقي نظرةً واحدة إلى الندبات الموجودة فوق قفصه الصدري، ويصرخن. المزارعون الذين يمسكون بالمعاول أو المجارف طاردوه، وهم يرسمون ملامح غاضبة على وجوههم. أصابه الإحباط. غطّى أكبر عدد ممكن من ندباته بذراعيه. ورحل مسرعًا.

فور هروبه من القرية، تنفَّس الصعداء. هل يذهب الى الجبال؟ ما امتلك أدنى فكرة عن كيفية نجاة المرء في الجبال أو الغابة. كيف يوقد نارًا، ومن أين يحصل على الطعام؛ لم يكن يعرف حتى من أين يبدأ.

لكنه تمكَّن من العيش على اللحوم النيئة والخضروات من قبل. ما من سبب يمنعه من الاستمرار في القيام بذلك الآن. أكثر من أي شيء آخر، كان من المستحيل التَّنبُّؤ بما يمكن أن يحدث له إنْ وجد نفسه في قرية مجددًا.

استدار نحو الغابة المظلمة وشرع يمشي.

بعد السير برهةً وسط الأشجار، رأى في الظلام شيئًا مثل السقف الدائري لمسكنٍ.

كان سقفًا حقًّا. ليس هذا فقط، كان يوجد منزل كامل تحته. لكن عندما رأى عدم وجود أي أضواء مُنارة بالداخل رغم الظلام، فكر أن المنزل لا بُدَّ وأنه مهجور.

أحسَّ بسعادة طاغية. مكان للنوم والمبيت. رغم جوعه، كان الليل قد حلَّ؛ لذا الأحرى به أن يقضي الليل هنا ويخرج للتفتيش عن الطعام عندما تُشرق الشمس.

اقترب من الكوخ الخشبي، وفتح الباب. أصدر الباب صريرًا عند فتحه.

من الظلام، رنا إليه جسمٌ أبيض. مدهوشًا، ترنَّح الشاب إلى الوراء وسقط على ظهره.

سأل الجسم الأبيض: "أخي؟".

ما عرف ماذا يقول.

(13)

مدَّت امرأةٌ ذراعها وتلمَّسَت طريقها في الفراغ أمامها.

سألت مرة أخرى: "أخي؟".

حاول أن يهدأ. تسمَّر في مكانه.

"أخي؟ لماذا لا تقول أي شيء؟".

اقتربت المرأة. تحسَّسَت أصابعها خدَّه.

تجمَّد. دون تردُّد، خطت المرأة نحوه، وداعبت وجهه.

أغمض عينيه.

أحلى لحظة في حياته كلها انتهت بصراخ المرأة. "مَن أنتَ؟!".

صراخها أرعبه. لطمت المرأة بيدها في الفراغ أمامها في حين تصيح: "لماذا أنتَ هنا؟! ماذا حدث لأخي؟!".

وسط هذا الارتباك، أمسك بمعصمي المرأة اللذين يضربان الهواء. صرخت المرأة. أدار جسدها، وغطّى فمها. في حين تقاومه، شدَّها إلى داخل المنزل.

بمجرد أن عبرا عتبة الباب، توقَّفَت المرأة فجأة عن المقاومة. كان مدهوشًا جدًّا، لدرجة أنه تسمَّر في مكانه أيضًا.

همست المرأة: "أَطلِق سراحي. لن أصرخ، وسأفعل ما تريد. فقط أَطلِقْ سراحي".

حرَّرها.

اعتدلت المرأة في وقفتها بحرص. تحسَّست بيديها حولها، وأخذت خطوة بعيدًا عنه.

سألته بصوت منخفض وبارد: "إذًا ماذا تريد مني؟ ماذا فعلت بأخي؟".

الشاب لم يعرف مَن يكون هذا الأخ. لم تكن لديه نيَّة لإيذائها أيضًا. أراد أن يشرح لها، لكن ما فَقِهَ كيف يفعل ذلك. أخذ ببساطة خطوة مقتربًا منها.

تعثَّر بشيء وفقد توازنه. صاح مصدومًا. وفي الظلام ضرب شيء صلب قمة رأسه.

فقد وعيه.

(14)

عندما استفاق، كان الجوُّ من حوله صحوًا. لم يستطع الوقوف. كانت يداه مقيَّدتين خلف ظهره.

كان أمامه رجلٌ شابٌّ. رجل مألوف له بغرابة شديدة.

سأله الرجل: "ماذا تفعل هنا؟ ماذا تفعل بعيدًا عن الكهف، وماذا كنت ستفعل بأختي؟ تكلَّم!".

لم يستطع الشاب التَّعرُّف بشكل كامل على الرجل أو أخته. لم يأتِ إلى هنا بنيَّة فعل أي شيء. هزَّ رأسه بقوة.

لم يهدأ الرجل. أصبحت كلماته ونظراته أكثر قسوة. "هذا الوحش أرسلك، أليس كذلك؟ هل أخبرك أن تقتل أختي؟ أو أن تحضرها إليه؟".

كلمة "وحش" شلَّت تفكيره.

علم الرجل الحقيقة. كيف؟ الرجل الأصلع، وعصابته، وسكَّان جميع القرى التي مرَّ بها- لم يذكر أحدهم "الشيء" من قبل.

أساء الرجل تفسير تعبير وجهه الفارغ، ولكمه في وجهه.

صرخ: "تكلَّمْ. لماذا أنت هنا؟ ماذا كنت ستفعل بأختي؟".

دون إعطائه فرصة الإجابة، لكم الرجل وجه الشاب مجدَّدًا. شعر الشاب بسائل مالِحٍ يتدفَّق من داخل شفته، ويتجمع في فمه.

"أجِبْني". ضربه الرجل مرة أخرى.

اسودَّت رؤية الشاب هنيهة. عندما رأى قبضة الرجل ترتفع مرة أخرى، لوى جسده بشدة وأدار رأسه. كان غاضبًا من إساءة فهمه على أنه يخدم "الشيء"، ومن صدمة ملاقاة شخص يعرف كُنهَ "الوحش"، وكان غاضبًا أكثر من هذه القبضة التي أسكتته في كل مرة كان يحاول الرد فيها.

"أخي، كُفَّ عن ذلك".

أدار الرجلان رأسيهما في الآن نفسه عندها لاحظ الشاب عيني المرأة. كانتا رماديَّتين شفافتين. ربما لم تُولَد بهذه الطريقة، لكنَّ غشاء رقيقًا قد تكوَّن فوق عينيها؛ ممَّا أدى إلى غشاوة رؤيتها.

اعتقد أن عينيها جميلتان. كانت المرأة أجمل من أي شخص رآه من قبل

قالت برقّةٍ: "إنٍ كان شريرًا، فكل ما علينا فعله طرده بعيدًا، لا أن نضربه".

تنهَّد الرجل. "حسنًا. سنتخلص منه". ثم أمسك الشاب من رقبته، وأرغمه على الركوع على قدميه وجرَّه إلى الخارج.

استمرَّ الشاب في إدارة رقبته والنظر إلى المرأة. واجهت المرأة وقد علا وجهها القلق، المساحةَ التي لا يمكن اختراقها أمامها، محدِّقةً إليها بعينها الرماديتين.

جرَّه الرجل من المنزل وصولًا إلى طريق الغابة. هناك، أطلق سراحه، وركله؛ ممَّا جعله يتعثر على الأرض. وبينما حاول الشاب أن يستعيد توازنه، ركله الرجل في معدته.

قال الرجل وهو يشاهد الشاب يتلوى فوق الأرض ألمًا: "أخبِر هذا الوحش أن أختي خارج أي حسابات. لا أعرف ما يجري، لكن أختي لن تكون أبدًا جزءًا من ذلك!".

استدار الرجل حتى يعود إلى بيته لكن الشاب تشبَّث بكاحله فدار الرجل وركله في وجهه. انهار الشاب مرة أخرى وقد دخل في موجة من السعال، وراح يبصق الدماء المتجمِّعة في فمه. ولكن عندما استدار الرجل تجاه المنزل ثانية، أمسك الشاب بكاحله مجدَّدًا. في الحقيقة، كان الرجل خائفًا، لكن لم يركل الشابَّ مرَّةً أخرى. عِوَضًا عن ذلك، حدَّق إليه كأنَّ ثمة شيئًا لم يلاحظه من قبل.

"ما خَطبُكَ؟".

أمعن الشاب النظر إلى الرجل. ثم أشار بيده كأنه يضع طعامًا في فمه.

"تريد طعامًا؟".

أومأ الشاب.

انفجر الرجل ضاحكًا دون اكتراث. ثم رفع قدمه وداس بها على الشاب من جديد.

غطَّى الشاب رأسه بيديه، دون أن يحاول الهروب. رقد هناك أمام الرجل متوسِّلًا في وضعيَّةٍ مُهينة بشدَّة.

"هل أنت أحمق؟ أتيت إلى منزلنا بحثًا عن قربان من أجل الوحش، والآن تريد مني إطعامكَ؟".

نظر الشاب إلى أعلى، وهزَّ رأسه بقوة. قام بإيماءات الأكل بيديه مرة أخرى.

نظر الرجل إليه باحتقار مدة طويلة. "ربما أنتَ أبلَهُ حقًّا".

الجواب الوحيد الذي يمكن أن يعطيه الشاب هو الاستمرار في تقليد حركة الأكل.

أسقط الرجلُ الشابَّ أرضًا بخشونة. قال بينما يجرُّه: نحن نفعل هذا مرَّةً واحدة. مرَّة واحدة فقط. عندما تفرغ من الأكل، ستغادر فورًا. ارحَلْ بعيدًا، ولا تَعُد أبدًا".

(15)

لم يبتعد الشاب أبدًا عن المنزل الذي تعيش فيه المرأة ذات العينين الرماديتين وشقيقها.

عندما أحضرت إليه المرأة الطعام، التهمه بسرعة. أخذه شقيقها إلى السقيفة بعد وجبته. دون أي تبرير، وكأنه لا حاجة لتقديم واحدٍ،

ربط الأخ سلسلة إلى الأصفاد حول معصم الشاب، ثم ثبّتها بإحكام في دعامة السقيفة باستخدام قفل ثقيل.

"لا تعتقد أنه يمكنك فعل ما تشاء معنا".

غادر الأخ.

في الصباح عاد الأخ وأطلق سراحه، لكن الشابَّ ظلَّ جالسًا في السقيفة.

فقط عندما حاول الأخ طرده، مثَّل بيديه وقدميه أنه لم يمتلك أي مكان آخر حتى يذهب إليه. عندما صار الأخ غاضبًا واستخدم قبضتيه، لم يحاول الشاب تفادي الضربات. سقط أرضًا، وتصرَّف بأكبر قدرٍ مُمكِن من الشفقة، متوسِّلًا إلى الأخ حتى يسمح له بالبقاء رفقتهما.

"أخبِرني الحقيقة. من أين أنتَ؟".

ردًّا على هذا السؤال، كل ما استطاع الشاب أن يفعله هو هزَّ رأسه بأقصى ما يستطيع. "لماذا أنتَ هنا؟ ماذا تنوي أن تفعل بأختي؟"، تلقَّى الشاب ضربة مع كل سؤال، لكنه واصل هَزَّ رأسه. اقتنع الأخ أنه كان على الأقل أحمقَ جزئيًّا.

في البداية، جلس الشاب في الغالب في السقيفة. ثم في أحد الأيام اقتاده الأخ خارجها. طلب منه خلع سرواله النحيل الغريب، وأعطاه سروالًا سميكًا وعمَليًّا وقميصًا طويلًا. ثم اصطحب الأخُ الشابَّ إلى الغابة.

لم يطلب الأخ شيئًا أبدًا مقابل زيِّه المتقَن أو السوار حول معصمه الأيمن.

تبع الشابُّ الأخَ في الأنحاء، وراحا يجمعان الفطر والفاكهة. بينما اصطاد الأخ حيواناتٍ صغيرة. لم يَفقَه الشابُّ شيئًا عن الصيد أو أي

نشاط آخر مفيد -ولو قليلًا- من أجل جلب الطعام إلى المائدة. ولأنه كان سيئًا في كل شيء؛ فقد تعرَّض لضربات الأخ بانتظام. حتى عندما تعرَّض للضرب والإهانة، لم يحاول قَطُّ تفادي الضربات أو الهروب.

كان يعرف شيئًا واحدًا، وهو أن الخضروات صالحة للأكل؛ كان يقدِّم أي عشب عطري يجده، للمرأة، مع الفِطر والفاكهة. تحاشته المرأة، وحاولت عمومًا أن تحافظ على مسافة بينها وبينه، لكن عندما كان يقدم هذه الهدايا إليها، بدت على الأقل مسرورةً بعض الشيء.

في المناسبات النادرة التي يكون فيها الأخ جيِّدَ المِزاج أثناء بحثهم عن الطعام، كان يتحدث إلى الشاب أو حتى يدندن أغنية. أومأ الشاب برأسه أو هزَّ رأسه للتعبير عن فهمه. في المساء، بعد العشاء، كان الأخ يعيده إلى السقيفة ويقيِّده بطبيعة الحال، ويغلق السقيفة خلفه. امتثل الشاب لما أخبره به الأخ.

لم يلاحظ الأخ هذا، ولكن كانت ثمة فجوة في نهاية العارضة التي كان الشاب مُقيَّدًا إليها؛ ممَّا يعني أن الشاب يمكنه هزُّ سلسلته حتى يُخرِجها من نهاية العارضة. حتى بعد أن أزال الشاب السلسلة وحرَّر سوار معصم يده اليمنى، لم يترك السقيفة أبدًا. بدلًا من ذلك، كان يتجوَّل في الأرجاء، وينظر إلى كومة القش، والحبال، والألواح الخشبية، وأدوات الزراعة المختلفة التي لم يكن لديه أدنى فكرة عن كيفية استخدامها. ذات مساء، سمع من خارج نافذة السقيفة المرأة وشقيقها يتحدثان عنه.

قالت المرأة: "لا يمكننا الاحتفاظ به إلى الأبد في هذه السقيفة كأنه حيوان".

قال الرجل بصوت مشؤوم: "هرب من الوحش. لا يجب أن نأويه أبدًا داخل منزلنا. ولا يمكننا إبقاؤه في السقيفة مدة طويلة أيضًا".

"هرب من الوحش؟ كيف تعرف ذلك؟".

"انظري إلى ندباته. مَن غيره ينقش مثل هذه الندوب على قرابينه؟".

شعر الشَّابُّ بصعوبة في التقاط أنفاسه. لكنه حاول أن لا يصدر أي صوت بينما يواصل التنصُّت.

"هو هنا إمَّا حتى يرجع بقربانٍ إلى الوحش ليحلَّ محلَّه، أو أنه في الخارج من أجل الانتقام. في كلتا الحالتين، لا يبشِّر ذلك بالخير لنا".

سألته المرأة بصوت مرتعش: "إذًا ماذا سنفعل؟".

"لا تقلقي. حتى الحيوانات من هذا القبيل لها فوائدها في هذا العالم. أعرف شخصًا سوف يأخذه إلى مكان بعيد".

سألت المرأة بصوت قَلِق: "مَن ذاك الشخص؟ وإلى أين سيأخذه؟".

"هذا شأني أنا. ليس عليكِ أن تزعجي نفسك بهذه المعلومة. الوقت متأخِّر؛ يجب أن نعود إلى الداخل".

وكانت تلك نهاية المحادثة.

أدرك الشاب أخيرًا لماذا بدا الأخ مألوفًا جدًّا له؛ عندما هرب من الكهف ووصل إلى القرية الأولى التي وجدها، وجاء الرجل الأصلع ليأخذه، كان الأخ هو الشاب الذي كان يتحدث مع الرجل الأصلع.

لن يستطيع العودة للقتال في الحلبات. لن يصمد طويلًا.

لكن كان عليه أن يعرف: ماذا كان هذا الوحش؟ ولماذا احتاج إلى قرابين؟ ولماذا وقع الاختيار عليه حتى يكون ذلك القربان؟

بينما كان يفكر في هذه الأسئلة، انفتح باب السقيفة مُصدِرًا صريرًا. دخلت المرأة رماديَّةُ العينين في سكون.

(16)

تفاجأ الشاب لدرجة أنه تسمَّر في مكانه دون أن يَصدُر عنه أي صوت.

ثم أدرك أنه فكَّ السلسلة التي ربطها إليه شقيقها دون إذن. بسرعة، اندفع عائدًا إلى حيث كان من المفترض أن يكون، وحاول أن يعيد ربط السلسلة إلى العارضة. أصدرت السِّلسلةُ صوتًا عاليًا وهي تسقط على الأرض بدلًا من ذلك. همَّ بالتقاطها عندما تذكَّر أن المرأة عمياء.

"هل أنتَ هناك؟".

ابتسمت المرأة. أومأ برأسه لكنه أدرك مجدَّدًا أنها لا تستطيع الرؤية، ووبَّخ نفسه في داخله. وبدلًا من ذلك، حرَّك السلسلة فأصدرت صوتًا. "هل حقًّا هربت من الوحش؟".

شدَّ السلسلة مرة أخرى. تَردَّد صداها بصوتٍ عالٍ في السقيفة.

"هل أنتَ هنا حتى تنتقم مني، إذن؟".

لم يستطع فهمها. كل ما يمكنه فعله هو التحديق في عينيها الرماديتين العمياوين.

"قُدِّمتَ قُربانًا للوحش عِوَضًا عني، أليس كذلك؟".

أصبح مرتبكًا أكثر فأكثر. لم يفهم شيئًا، استمرَّ في النظر إلى وجهها الأبيض.

خطت المرأة خطوة نحوه. قبل أن يتمكَّن من الابتعاد، وضعت يدها برفق فوق معصمه.

كانت أصابعها طويلة ونحيلة وناعمة. تذكَّر ملمس يدها وهي تداعب وجهه عندما جاء إلى هنا لأول مرة، وكيف أخطأت بينه وبين شقيقها.

قالت: "أرجوك اجلِسْ. سأخبرك كل شيء".

(17)

كان ياما كان.. كل الأساطير تبدأ بهذا الاستهلال.

كان ياما كان، كان يوجد مكان مُبتلًى بطاعون يجتاحه كل بضع سنوات.

كان يُعتقد أن الطاعون ناجِمٌ عن وحش عاش في أبعد كهف في أعلى جبل في تلك المنطقة، وحش يشبه غرابًا ضخمًا، يطير مرة واحدة كل بضع سنوات عندما يكون جائعًا ليلتهم المحاصيل والأشجار. اعتقد القرويون أنه ينفث سمًّا كلما فتح فمه؛ ممَّا يعني أن أي شخص أو حيوان في الجوار سيمرض ويموت.

قرَّروا أن يَحولوا بين الوحش والجوع (وبالتالي الخروج من كهفه)، بتقديم قربان إليه. وفقًا لساحر، كان من الأفضل أن يكون القربان طفلًا لم يصل سِنَّ البلوغ بعد. كلما أصبح الهواء فاترًا وبدأ الناس والحيوانات في القرية يمرضون، ترك الناس طفلًا في الكهف فوق الجبل. استمرَّت هذه الممارسة، وحتى عندما لم يكن هناك طاعون، حين يمرض أحدهم، كان القرويون يأخذون أحيانًا طفلًا ليس له عائلة إلى الكهف. ويدعون من أجل المنكوب أن يتحسَّن.

قالت المرأة بصوت ناعم: "لم تكن سَنةَ الطاعون، لكنني وُلِدتُ بمرضٍ. أصبحتُ عمياءَ بسببه. لو لم يفعلوا شيئًا من أجلي، لكان المرض انتشر في جميع أنحاء جسدي؛ كنت سأصاب بالصَّمَم والبكم، وكنت لأعجز عن الحركة والتَّنفُّس، وكان الأمر لينتهي بي بِميتة مؤلمة

على الأقل بحسب كلام الساحر". أصبح صوتها أكثر نعومة. "لذلك وجد أبي وشقيقي طفلًا يتيمًا من خارج القرية وخطفاه، وضحَّيا به في الكهف".

توقَّفَت عن الحديث هنيهة قبل أن تهمس: "هل كنتَ ذلك الطفل؟".

ما امتلك إجابة.

انتظرت المرأة. ثم سألت، لأنه لم يَقُل شيئًا: "هل ما زلت هناك؟".

بالكاد تمكَّن من هَزِّ السلسلة.

قالت المرأة: "كنت جاهلة بكل ما حدث. عَلِمتُ ذلك لاحقًا عندما سمعت آخرين يتحدثون. كنتُ طفلة بدوري، لكن معرفة أن طفلًا آخر قد قُتِل في سبيل إنقاذي... كان ذلك دائمًا مَصدرَ غَمٍّ كبير".

لم يصدر أي صوت.

بهدوء، تكلَّمَت المرأة مرة أخرى. "بعد التضحية بالطفل، توفِّي والدي في حادثة بعد مدَّة وجيزة. اعتقدت أن هذا الانتقام الذي أنزله الطفل الذي قُدِّم قربانًا من أجلي، بعائلتنا. لكن الشخص الذي استحق الموت في الواقع هو أنا".

ضرب الشاب السلسلة، ولم يستطع إلا النظر إلى المرأة بصمت. "لذا... إنْ كنت تريد الانتقام مني، فافعل ما تريد".

كفَّت عن الكلام.

جلسا في صمت. تحدَّثَت المرأة مرة أخرى. "هل لا تزال هناك؟".

ألقى السلسلة على الأرض. أحاط وجه المرأة الأبيض بيديه، وقبَّل شفتيها.

(18)

في صباح اليوم التالي، فتح شقيق المرأة بابَ السقيفة ليجدها جالسةً وحيدة تبكي.

قالت من بين دموعها: "ذهب حتى يقتل الوحش. قال إنه لم يكن ذنبي، وأنني لم أفعل شيئًا خاطئًا. إن الوحش سبب مرض الناس جسديًّا ونفسيًّا، وأن الوحش هو مَن دفع الناس للتضحية بأطفال الآخرين؛ لذا يجب عليه قتل الوحش. قال إنه سيقتل الوحش...".

أخذ الأخ أخته بين ذراعيه، وواساها قبل أن يعيدها إلى المنزل. بالنسبة للأخبار التي سمعها للتَّوِّ، لم يعرف إن كان عليه الشعور بالسعادة أم الخوف ممَّا هو آتٍ إلى القرية.

(19)

معتمدًا على ذكرياته القديمة، شقَّ الشَّابُّ طريقه إلى أعلى الجبل. تردَّدَت الكلمات التي سمعها من المرأة داخل رأسه دون انقطاع.

"طفل يتيم من خارج القرية". كان مهمومًا قليلًا بهذه الكلمات. ولكن إنْ كان شقيق المرأة موجودًا عند اختطافه، فلا بُدَّ أنه على الأقل يعرف المكان الذي وجدوه فيه وتحت أي ظروف. من هذه المعلومة الضئيلة، قد يتمكَّن من العثور على منزله، ووالديه، وربما حتى معرفة اسمه.

لكن هذا لم يساعده في التفكير في طريقة لقتل "الشيء". لم يَضَع خُطَّة واضحة. ولكن مرة أخرى، لم يسبق له أن وضع خطَّةً في حياته، ولم يكن لديه فكرة عمَّا يجب فعله حتى لا يصطاده "الشيء"، ويقضي عليه. حتى ينجو بطريقة ما ويتمكن من العودة.

لم يتغيَّر هدفه أو خطَّته مقارنةً بما كانا عليه أثناء مدة حبسه في الكهف. النجاة.

وهذا ما تعهَّد به لنفسه عندما وقف عند فوهة الكهف. ثم خطا داخله.

(20)

لأنه اعتاد على ضوء الشمس في الخارج؛ فقد أربكه ظلام الكهف الدامس مدَّةً وجيزة. ثم بدأ ببطء يتحسَّس طريقه إلى الأمام.

كم كان مصير الإنسان عجيبًا. عندما كانت المرأة طفلة صغيرة، كان لها أخٌ أكبرُ وأبٌ. عائلة قَلِقَة على صحتها. وكان لها منزلها وحياتها. لم يُمنح الطفل سوى هذا الكهف الرطب العفن الرائحة، وصخوره الصلبة، أصفاد وأغلال مثبتة إلى سلسلة، ووتد متَّصل بتلك السلسلة. كل إنسان لا يحظى سوى بطفولة واحدة، وبدلًا من أن تكون عامرة بالآمال والأحلام، انسحقت طفولته تحت وطأة الصراع من أجل النجاة. لم يتخيَّل أبدًا طوال السنوات التي قضاها في الكهف أن طفولة مختلفة عن تلك التي أُعطِيت له ربما تكون مُمكِنَة.

الآن، بعد أن عاد إلى الكهف، استيقظت بداخله الحواس التي كانت خامِلةً مدة طويلة. كان الكهف عالمه، وسواء أَحبَّ ذلك أم لا، فهو يتذكَّر كلَّ تجعيدة في الصخر، كلَّ نتوء بارز أو تجويف في الأرض.

إن كان معتادًا على هذا الكهف، فربما كان هو نفسه جزءًا منه...

في حين كان يفكر في ذلك، لمست يده وتدَ الحديد.

جلب الشابُّ معه من سقيفة المرأة السلسلة التي ربطها شقيقها إلى سوار يده اليمنى. والآن، بعد أن وصل إلى سجن طفولته، جلس

القرفصاء بجانب الوتد كما اعتاد أن يفعل. كان هذا مكانه، وقد بقي خاليًا من أجله. إنْ كان محظوظًا، فلن يضطرَّ أحد إلى أن يحلَّ محلَّه.

البقعة البيضاء البعيدة التي كانت مدخلَ الكهف يسدُّها الآن شكل أسود ضخم.

رفع الشاب ذقنه وحدَّق إلى الظلام.

لم يتمكَّن أبدًا أثناء إقامته في الكهف من رؤية شكله. حينذاك كان يظهر فجأة، ويسدُّ مدخل الكهف، وفي اللحظة التالية يكون فوق ظهر الشاب، يسحق أطرافه بجناحيه ومخالبه، وينخر بين عظامه بمنقاره الحاد.

مثل المرات السابقة، حاول "الشيء" الصعود على ظهره. ما أن أدرك أن الشاب لم يكن طفلًا، وكان يرتدي ملابس، مزَّق "الشيء" قميصَ الشاب الطويل كما لو كان يستهزئ به. كانت المخالب تمزِّق لحم الشاب وثيابه؛ ما جعله يرغب في الصراخ، لكنه حافظ على صمته.

لم يجرحه في المكان نفسه مرتين. انتشرت ندبات على ظهره وأطرافه وضلوعه حيث اعتدى عليه من قبل، وإنْ أراد "الشيء" العثور على بقعة غير مُلطَّخة بالندوب، فسيتعين عليه قضاء بعض الوقت في البحث. كان الشَّابُّ يعتمد على تلك اللحظة.

انتهى من تمزيق قميص الشاب، وضغط على رقبته، وثبَّت منقاره. الشاب، المتوتِّر من شدَّة خوفه ممَّا قد يحدث بعد ذلك، أغمض عينيه مدَّةً وجيزة.

كما هو مُتوقَّع، رأى "الشيءُ" الندبات على رقبته وسحب منقاره للخلف. وبينما كان "الشيء" يتقفَّى أثر الندبات أسفل ظهره وعلى طول ذراعيه وضلوعه، حاول تمزيق سرواله. لفَّ الشاب الجزء العلوي من جسده، وأرجح السلسلة المتصلة بأصفاد يده اليمنى.

في الظلام، أصدرت السلسلة صوتًا ثقيلًا ومخيفًا في حين تشقُّ الهواء الرطب وتصطدم بجسم غير مرئي. لم يستطع الشاب معرفة ما أصابته السلسلة، لكنه سمع صوت تحطُّمٍ واضحًا وقويًّا، وعلت صرخة زلزلت جدران الكهف، تلتها رائحة فظيعة. أمال الشاب سلسلته مرة أخرى مستهدفًا أسفل مصدر الرائحة مباشرة.

كاد الصراخ الناتج أن يصمَّ أذنيه فيما تهتزُّ الجدران. وفي اللحظة التالية، كانت سلسلته ملفوفة حول أحد مخالب "الشيء"، ووجد الشاب نفسه يحلِّق في الهواء.

كان "الشيء" خلَّابَ المنظر. لم يَسَع الشاب إلَّا أن يفكر في ذلك عندما تمكَّن لأول مرة من رؤيته بوضوح في ضوء الشمس. كان حقًّا جميلًا على نحو رهيب.

في ضوء الشمس، لم يكن أسودَ، بل رماديًّا غامقًا. كان ريشه، له لون الرماد، متلألئًا مثل الحديد المصبوب بإتقان، ويشعُّ لمعانًا باردًا. كانت مخالبه ومنقاره فضِّيَّة، وفي منتصف ذلك المنقار الفضي كان يوجد الآن جرح أحمر قصير، ولكن عميق. خمَّن الشاب أن هذا هو المكان الذي اصطدمت به سلسلته.

بجانب المنقار حدَّقَت عينٌ زرقاء جليدية إليه. كانت هذه الدَّرجة من الزُّرقَة، بالنسبة لشخص يراها للمرة الأولى، عميقةً وصافية على نحو صادم، وقاسية.

لفَّ سلسلته بقوة أكبر حول قدميه وحاول رفع نفسه. لكن إحدى حلقات السلسلة التي تدلَّى منها لامست المخالب الحادة وانكسرت إلى قطعتين. حتى لو نجا من السقوط مثل المرة التي هرب فيها، فسيكون قدومه كل هذه المسافة إلى هنا عبثًا، إن هو ترك "الشيء" يطير بعيدًا. تشبَّث بشدة بالمخالب الفضية لـ "الشيء"، وحاول الصعود فوق الوحش دون أن يُخدَش.

في تلك اللحظة، خفض "الشيء" رأسه، وعضَّه.

عندما شعر بالمنقار الفولاذي ينبش لحمه بداية من قفصه الصدري حتى ساقيه، كان على يقين من أنه على وشك الموت. لكن "الشيء" لم يبتلعه أو يلقي به في الهواء. بقدر ما كان مؤلمًا، لم يغرس "الشيء" منقاره بقوة كافية حتى تنكسر عظامه؛ وهذا ربما يعني أن "الشيء" كان يحاول حمله إلى مكان ما.

في اللحظة التي فكَّر فيها في ذلك، ألقى "الشيء" به في الهواء وأمسك به مرَّة أخرى في منقاره. الآن استلقى الشاب على ظهره في مواجهة السماء، محدِّقًا مباشرة في عيني "الشيء" الزرقاوين.

لو كان بوسع الوحوش إظهار المشاعر في أعينها، فقد كانت المشاعر التي استطاع الشاب أن يميزها في تلك اللحظة هي مشاعر الرضا. لكن كونها مختلفة عن الناس، لا تستمدُّ الوحوش رضاها من تخويف الآخرين أو تعذيبهم. السؤال الذي يطرحه الوحش على أي حيوان آخر هو مَن منهما سيقتل الآخر. وطالما أنها تستطيع حماية نفسها من القتل أثناء وجود فريسة في قبضتها، فلن تحتاج الوحوش إلى الاهتمام بمشاعر فريستها؛ ببساطة، حقيقة وجود فريسة في قبضة الوحش تمنحه رضا كافيًا.

دار "الشيء" دورةً واسعة في الهواء. كان يطير عائدًا إلى الكهف.

دون تردُّد، أرجح الشاب ذراعه اليمنى بقوة. اصطدمت السلسلة المتصلة بكفِّه اليمنى مباشرة بعيني "الشيء" الزرقاء الجليدية، وتفكَّكت الحلقة نصف المكسورة، تاركة جزءًا من السلسلة منغرسًا في العين.

أطلق "الشيء" صرخة هزَّت السماء والأرض بينما يميل بشدَّة إلى جانب واحد. بسبب الألم والعمى المفاجِئَيْن، اندفع "الشيء" بسرعة جنونية نحو جُرفٍ فوق الجبل حيث كان الكهف، واصطدم به.

(21)

لم يستطع الشَّابُّ أن يفهم كيف كان لا يزال على قيد الحياة. لكن بينما هو مدفون تحت أغصان مكسورة وأوراق متناثرة وأعشاب وعوسج، أخذ جسمه ينبض بالحياة.

فيما يحاول النهوض، شعر برعشة تسري في الجانب الأيمن من جسده. لم يستطع تحريك ساقه اليمنى. أمسك بأحد الأغصان السميكة من حوله، واستخدمه كعكازة ليقف ببطء واحتراز.

تحطَّم الوحش الهائل على الجرف وانكسرت رقبته.

كانت عيون "الشيء" خاليةً من الحياة. منقاره العملاق لا يزال يتلألأ بالفضة في ضوء النهار. جناحاه المفرودان عريضان بما يكفي للالتفاف على حافة الجبل، لكن الريش القاسي كان متكتِّلًا ومنسحقًا، لدرجة أنه بدا وكأنه قماش خَشِن.

وقف الشاب ساكنًا، وحدَّق في الطائر الميت.

مات الطائر، ولن يُسرَق مرَّةً أخرى، ولن يُسرَق منه أي شيء. الدليل الوحيد على وجود الطائر على الإطلاق هو الندبات فوق جسد الشاب عندما كان فريستَه. إدراكٌ أحزن الشاب بطريقة ما.

دون أن يعرف السبب، وجد الشابُّ نفسه يتمنَّى وهو يقف هناك ويحدِّق في عينه الزرقاء لو يُبعث الطائر من جديد، ولو أنه لم يَمُت بسهولة هكذا.

ثم بدأ يعرج عائدًا باتجاه القرية حيث كانت المرأة تنتظر.

(22)

كان الغسق ينسدل عند وصوله إلى القرية. كان ضوء الشمس الأحمر متشظيًا، أجزاؤه تذوب في الفراغات بين الغيوم قزحية الألوان، مشهد لن يسأم منه أبدًا.

سلك الطريق عبر القرية وبدأ بالسير إلى الغابة الجبلية الممتدَّة إلى ما لا نهاية. لم تكن ثمة أضواء تُرى من الطريق. كان شقيق المرأة قد خرج إلى الغابة ولم يَعُد، والمرأة العمياء لم تكن بحاجة إلى الضوء. كان هذا ما قاله لنفسه وهو يسارع بخطًى سريعة.

عند عتبة الكوخ، وقبل أن يفتح الباب، نادى باسم المرأة. لم يكن يريد أن يدخل دون دعوة، ويفاجئها.

لا أصوات تأتي من الداخل. فتح باب الكوخ.

كانت المرأة جالسة إلى المائدة، وقد وقفت عند سماع الباب يُفتَح. اقتربت منه، ومدَّت يدها. مسرورًا لرؤيتها، مدَّ يده نحو يدها.

في اللحظة التي لامست أطراف أصابعه أطراف أصابعه، تحوَّلَت المرأة إلى آلاف من قطرات الماء، وتناثَرَت في تيار هواء رقيق.

(23)

وقف الشاب متجمِّدًا عند باب الكوخ، وقد استحوذ عليه ما وقع للتَّوِّ، يده ما زالت ممدودة من أجل يد المرأة.

من خلفه، دوَّت صرخة كأنها صادرة عن وحش. التفت.

هاجمه شقيق المرأة بسكين صيد.

تفاداها الشَّابُّ في آخر لحظة. حاول أن يشرح، لكنَّ الأخ لم يرغب في الاستماع. في الحقيقة لم يفهم الشاب نفسه ما حدث أيضًا. القصور

الـذاتي دفـع الأخ المنطلـق إلى أمـام متجـاوزًا الشـاب. اسـتدار، وانقـضَّ مجـددًا نحـو الشـاب صارخًـا.

أمسـك الشـاب بـذراع الرجـل، وهـزَّ معصمـه محـاوِلًا إجبـاره عـلى إسـقاط السـكين، لكـن كان مـن المسـتحيل التَّغلُّـب عـلى الرجـل الـذي كان مشـحونًا بقـوة جنونيـة. بغـضِّ النظـر عـن مـدى مقاومـة الشـاب، كان نصـل الرجـل يتَّجـه ببـطء نحـو رقبتـه. لمـس سِـنُّ السـكين لحـم الشـاب الـذي شـعر بـه يخـترق جلـده، وبـدأ الـدم يَنِـزُّ منـه.

في تلـك اللحظـة، رأى الشـاب أن يـده التـي كانـت تمسـك بمعصـم الرجـل تتحـوَّل إلى اللـون الرمـادي، وتتصلَّـب كالفـولاذ.

بـدأ معصـم الرجـل ينثنـي إلى الخلـف بزاويـة مسـتحيلة. بـرزت عظمـة بيضـاء مـن تحـت جلـده. صرخ الرجـل وسـقط عـلى الأرض ممسـكًا بذراعه المكسورة.

حـدَّق الشـاب في الرجـل. اختفـى الغضـب المتوهِّـج مـن عينَـيْ الرجـل. سرعـان مـا غمرهـما الخـوف.

كان هذا آخر شيء يتذكَّره الشاب.

(24)

عندما استفاق مرة أخرى، كان الصباح.

اختفـى كـوخ المـرأة وشـقيقها دون أن يـترك أثـرًا. كان المـكان حيـث كانـت السـقيفة ذات مـرة يشـبه أشـلاء إنسـان منثـورة، جنبًـا إلى جنـب مـع بِـرَكٍ مـن الـدم. وجـد أن النظـر إليهـا أمـر لا يطـاق، فـأدار رأسـه بعيـدًا، وغـادر المشـهد بسرعـة.

عندما هبط من الجبل إلى القرية، رأى أنها أمست أطلالًا.

حيث كانت توجد بالأمس منازل وأناس يمرُّون بجانبها، توجد الآن شجرة عتيقة، عمرها مئات السنين. تقف هناك كما كانت منذ قديم الأزل. مكان السياج الزاخر بالكروم، وحيث كان متجر الحدادة، كان الآن مجرَّدَ حقل من العشب الجاف. رحل جميع السكان تقريبًا. ألقى اثنان أو ثلاثة من المتشرِّدين المتجولين، تعلو وجوههم تعابير ذهول، نظرةً واحدة إليه، قبل أن تمتقع وجوههم فورًا من الرعب، ويختفوا من مرمى بصره.

ساوره يأس مرير.

لم يكن يريد الانتقام. على الأقل ليس هذا النوعَ من الانتقام. ببساطة لم يكن يعلم أن بقاء القرية مرهون بوجود "الشيء".

عبثية هذا الاستنتاج جعلته يشعر بالعجز. الغرباء الذين سرقوا طفولته مع ساحرهم ومعتقداتهم، الحياة البائسة التي عاشها على حافَّة الموت، كانت كلها بلا معنى في النهاية. حزنًا على سنوات معاناته وإحباطه، وقف هناك على أنقاض القرية، وبكى.

وحالما توقَّفَت دموعه أخيرًا، بدأ يسير نحو الشمس الآخذة في الإشراق؛ بحثًا عن ذاك المكان في هذا العالم حيث كانت تنتظره حياةٌ.

حـاكِمُ الرِّيـح و الرِّمال

(0)

في الهـواء فـوق صحـراء رمليَّـةٍ طَفَـت سـفينةٌ مصنوعـة مـن تـروس ذهبيـة. توهَّـج ضـوء الشـمس عـلى كل سِـنٍّ مـن أسـنان آلاف الـتروس التـي راحـت تـدور مُصـدِرةً صـوت تَكتَكَـةٍ؛ مـمَّا جعـل المركبـة المحمولـة جـوًّا تتـلألأ بألـقٍ مثـل سـنا الشـمس. اجتـازت هـذه السـفينة المتلألئـة مـن الـتروس ببـطءٍ الهـواءَ السـاخن فـوق رمـال الصحـراء، مَحميَّـةٍ بالحـرارة القائظـة، والأمـواج الذهبيـة للضـوء المنعكـس الـذي يحيـط هيكلهـا.

(1)

شـاع أن ربَّـان السـفينة محـاربٌ عظيـمٌ وسـاحرٌ قـويٌّ. وفقًـا للقصـص الشـعبية، حـارب ملـكُ الصحـراء ربـانَ السـفينة مـن أجـل السـيطرة عـلى

الأرض التي امتدَّت ما وراء الأفق حتى الشمس الذهبية. في المعركة الأخيرة، تمكَّن الملكُ من بتر ذراع الربان اليسرى. صاح ربان السفينة الذهبية، والدم يتدفَّق من ذراعه المبتورة، وراح يلعن ملك الصحراء.

"سلبتَني رجولتي؛ لذا سأسلبها من ذرِّيَّتك! وأهدرتَ دمي على هذه الأراضي؛ ولهذا، لن يكون أيٌّ ممَّن يحكم هذه الرمال في مأمن من الأذى".

لم يؤمن ملك الصحراء باللعنات. بينما كان يشاهد ربان السفينة الذهبية يمتطي حصانه ذا التروس الذهبية هاربًا في هواء متموِّج تحت ضوء الشمس، ابتسم الملك منتصرًا. تناثَرَت قطرات من الدم على الطريق حيث مرَّ ربان السفينة الذهبية. غَلَت الدماء مثل نيران صغيرة قبل أن تجفَّ على الفور في الحرارة الخانقة، مشهد جعل ملك الصحراء يضحك بعزيمة مشوبة بالدهاء، وصخبٍ؛ إذ كان يأمل بوضوح أن يصل صدى ضحكته إلى أسطح السفينة الذهبية.

(2)

لم يمضِ وقت طويل حتى رُزق ملك الصحراء بابن. وُلِد الأمير أعمى. اخترق غضب الملك عنان السماء. الملكة، وقد استولى عليها الإحباط. عاشت قليلًا بعد ذلك قبل أن تموت.

تُرِك الأمير بدون أمٍّ، وتربَّى على يد خدم وخادمات القصر. اهتمَّت الخادمات به كثيرًا، لكنَّ قلوبهن كانت مُترَعة بالخوف دائمًا. كان ملك الصحراء كتلة متحرِّكةً من الغضب، والأمير ملعون. في محاولة لتجنُّب الغضب واللعنة، أحنى الخدم والخادمات ظهورهم ونكسوا رؤوسهم في جميع الأوقات؛ لهذا السبب، حتى وهم يطعمون الأمير أو يلبسونه أو يهزُّونه حتى ينام ليلًا، ما كانوا يُكنُّون أيَّ حُبٍّ تجاهه في قلوبهم.

مـن أجـل البقـاء عـلى قيـد الحيـاة، يتوصَّـل الأطفـال إلى فهمهـم الخاص لمكانهـم المحـدَّد في عالمهـم. يبـدو أن وعـي الأطفـال محـدود، لكنهـم يفهمـون بسرعـة، وعـلى نحـو أفضـل وأدق، نيَّـةَ البالغـين والثقـة الممنوحـة لهـم مـن الآخريـن أكـثر مـن البالغـين أنفسـهم. نشـأ الأمـير محاطًـا بالجمال والـثروة، وسـط أنـاس مهذَّبـين وذوي أخـلاق حسـنة، ولكـن بـلا إخـلاص. عـلى حـدٍّ علـم الأمـير، هـذا مـا كان عليـه العـالم وناسـه.

(3)

أصبـح الأمـير فتـى يافعًـا، وبعـد مـدَّةٍ وجيـزة، أصبـح شـابًّا. كان أعمـى، وأصبـح الشـغلَ الشَّـاغِلَ لتفكـير الملـك؛ كونَـه وليَّ العهـد. وهكـذا، أرسـل ملـك الصحـراء، عندمـا بلـغ ابنُـه سِـنَّ الرشـد، مبعوثـين عـبر الامتـدادات الـلا متناهيـة للرمـال إلى أقـوام عاشـوا فـوق السـهول العشـبية؛ حتـى يبحثـوا عـن أمـيرة سـتغدو مسـتقبليًّا ملكـة الصحـراء.

عـرف حاكـم السـهول العشـبية أن أمـير الصحـراء أعمـى، وقـد اسـتخدم هـذه الحقيقـة مـبرِّرًا لرفضـه في البدايـة. ولكـن عندمـا عُـرض عليـه الحريـر والمجوهـرات التـي أحضرهـا المبعوثـون معهـم، سرعـان مـا غـيَّر رأيـه. وهكـذا انتهـى المطـاف بأمـيرة السـهول العشـبية وهـي تتبـع المبعوثـين إلى قلـب الصحـراء حيـث سـتتزوَّج مـن الأمـير الملعـون.

(4)

تحـدَّد موعـد الزفـاف بعـد ثلاثـة أشـهر مـن الآن. انشـغل جميـع الخدم وحاشـية القـصر بتحضـيرات الزفـاف التـي تـراءت وكأنهـا لا تنتهـي. تحـوَّل القـصر الناعـس في الصحـراء فجـأة إلى خليـة نشـاط.

كان الأمـير فضوليًّـا جـدًّا بشـأن أمـيرة السـهول العشـبية التـي سـتصبح عروسـه. تسـاءل عـمَّا إن كانـت تعـرف أنـه أعمـى، ولمـاذا سـتقطع كل

هـذه الطريـق للـزواج منـه لـو عرفـت، أو كيـف سـتكون ردَّةُ فِعلهـا إن كانـت لا تعـرف... كان الأمـير عـلى درايـة جيـدة بالتقاليـد القديمـة للعريـس الـذي لا يلتقـي العـروس قبـل الزفـاف، لكنـه كان مُصمِّـمًا عـلى معرفـة نوعيـة شـخصية عروسـه قبـل فـوات الأوان.

منـذ أن كان صغـيرًا، كان الأمـير عارفًـا بالاختصـارات المختلفـة والممـرات المخفيَّـة في القـصر. وبمـا أن لا أحـد شـكَّ في أن أميـرًا أعمـى سـيعرف بمثـل هـذه المسـارات، فقـد تمكَّـن الأمـير مـن استكشـاف القـصر حسـب هـواه، والذهـاب إلى أي مـكان يشـاء. حتـى أعتـم زاويـة لا يصـل إليهـا الضـوء لم تخلُـق لـه مشـكلة. وكان الأمـير قـادرًا عـلى الاختبـاء أينـما يريـد في القـصر. هكـذا، في إحـدى الليـالي والجميـع نيـام، اسـتطاع التَّسـلُّل إلى الجنـاح الداخـلي حيـث كانـت الأمـيرة تمكـث.

كانـت نائمـة. عندمـا اسـتمع إلى صـوت التَّنفُّـس المنتظـم لهـذه المـرأة غـير المألوفـة، تَسـمَّر الأمـير في مكانـه برهـة مـن الوقـت سـاكنًا تمامًـا.

فتحـت الأمـيرة عينيهـا. لم يسـتطع الأمـير رؤيـة هـذا، واسـتمرَّ في الوقـوف في مكانـه دون إدراك.

سألت الأميرة: "مَن أنت؟ لماذا أنت في جناحي في هذه الساعة؟".

اندهـش الأمـير. لكنـه تمكَّـن مـن تهدئـة نفسـه، وأجـاب ببـطء: "أنـا هنـا لمقابلـة عـروسي".

(5)

بينـما يتحسَّـس الأمـير وجههـا بعنايـة، أغمضـت الأمـيرة عينيهـا وظلَّـت سـاكنة. لمسـة أطـراف أصابـع هـذا الغريـب عـلى وجههـا جعلتهـا تشـعر بالخجـل والدغدغـة. منحتهـا أيضًـا إحساسًـا بالارتيـاح، بطريقـة أو بأخـرى. كان شـعور فِعـل شيء ممنـوع يربكهـا ويخيفهـا قليـلًا، لكنـه كان أيضًـا

ممتعًا، وثمة إثارة في السرية المنطوية عليه. شعرت بنفسها تحمرُّ خجلًا أكثر قليلًا في كل مرة تداعب أطرافُ أصابع الأمير وجهها.

بحلول الوقت الذي أبعد فيه يده عن وجهها، كانت الأميرة مغرمة تمامًا. لكنها لم تكن تعرف ما إن كان هذا الحب موجَّهًا للأمير أم بسبب عواطفها المتأججة فحسب.

همس الأمير: "أنتِ جميلة. لو كان بإمكاني أن أرى... فقط لو كان بإمكاني رؤية وجه عروسي الجميلة، مرة واحدة فقط...". انهمرت دموع غزيرة من عيني الأمير.

"من فضلك لا تبكِ". حاولت الأميرة مواساته. "يمكنك لمس وجهي في أي وقت تريده، تمامًا مثل الآن. سأبقى بجانبك لبقية حياتنا".

قال الأمير وهو يواصل ذرف الدموع: "لكنني لست الوحيد الذي سينتهي به الأمر في محنة. لعن ربَّانُ السفينة الذهبية عائلتي كلها. قال إنه طالما يحكم دم والدي الرمال، فلا أحد في أمان".

فوجئت الأميرة. "لكن لماذا؟ مَن يُلقي مثل هذه اللعنة الرهيبة؟".

أوضح الأمير: "هذا لأنه هُزم في الحرب، وفقد إحدى ذراعيه. قال إن والدي قد سلب منه رجولته؛ لذا سيسلبها من جميع سلالة أبي أيضًا". تدحرجت الدموع على خديه. "إذا تزوَّجتِني، سيمتلك أطفالنا وأطفال أطفالنا جميعًا أجسادًا عديمة الفائدة مثل جسدي. وعندما يغزو ربان السفينة الذهبية أرضَنا مرة أخرى، ستتداعى هذه البلد -التي يحكمها ملك منزوع الرجولة- على الفور".

خفض الأمير رأسه وبكى بغزارة.

احتضنت الأميرة الأمير وحاولت مواساته. تبلَّلت كتفها بدموع الأمير.

غادر غرفتها قبل شروق الشمس. جلست الأميرة وحدها في الظلام، حدَّقَت في اللون الرمادي الساطع للسماء الشرقية. اتَّخذَت الأميرة

قرارًا عندما شاهدت السفينة ذات التروس الذهبية وهي تعبر ببطء القبَّة الزرقاء للسماء فوق الشمس المشرقة في الأفق.

ستذهب إلى ربان السفينة الذهبية وتكسر اللعنة من أجل الأمير الذي سيصبح زوجها، وأطفالها الذين ستلدهم، وأطفال أطفالها أيضًا.

(6)

ما كان التَّسلُّل من القصر يسيرًا. كانت الأميرة عروسًا وزفافها وشيك، وليست أقلَّ من ملكة مستقبلية. كانت محاطة بالخادمات في جميع الأوقات، وحتى عندما كانت بمفردها في غرفتها، تمركز دائمًا حارس خارج بابها مباشرة. وهكذا، عندما زار الأمير جناحها مرة أخرى في منتصف الليل، طلبت نصيحته.

تعجَّب الأمير: "لستِ جميلة فقط، بل شجاعة أيضًا. أعرف وسيلة للخروج من القصر. ولكن بمجرد خروجك من هنا والعثور على طريقك إلى السفينة الذهبية، سيكون عليك مواجهة ربانها بمفردك. هل أنتِ أهلٌ لها؟".

كانت الأميرة حازمة وهي تقول: "لا بُدَّ لي من المحاولة. لن أتحداه في مبارزة، أنا مجرَّد امرأة عزلاء تطلب معروفًا. لن يؤذيني، أليس كذلك؟".

"لا يمكننا التيقُّن من ذلك. هو رجل قاسي القلب...". تنهَّد الأمير. "لو كان بإمكاني أن أرى، عندها لكان بوسعي مرافقتك...".

ابتسمت الأميرة بحنان. "إن كان بإمكانك أن ترى، ما كنَّا سنحتاج إلى الذهاب لرؤية ربان السفينة الذهبية في المقام الأول. من فضلك لا تَستَأْ منِّي لو أخفقتُ في التماسي".

"لـن أفعـل ذلـك أبـدًا". أحـاط ذقنهـا بيديـه برقَّـة. "أنـا فقـط ممـتنٌّ لكونـكِ شـجاعة جـدًّا مـن أجـلي".

قالـت الأمـيرة: "شيء آخـر. حتـى لـو نجحـت، فسـيكون أبـوك الملـك أكـثرَ المسـتائين مـن معرفـة أننـي هربـت مـن القـصر قبـل الزفـاف. لـو انفضـح أمـري وأنـا في طريـق عـودتي، فقـد أُنفَـى إلى بلـد ولادتي إلى الأبـد".

"لا تقلقـي. كل مـا تفعلينـه مـن أجـلي، وسـأحميكِ. أنـتِ عـروسي، وسـتكونين زوجتـي".

بدلاً من الإجابة، قبَّلت الأميرة شفتي الأمير.

(7)

قـاد الأمـيرُ الأمـيرةَ إلى بوابـة القـصر الخلفيـة. هنـاك، عنـد الفجـوة التـي تصـدَّع فيهـا الجـدار الحجـري قليـلًا، تعانـق العاشـقان، وتبـادلا القبـلات بحـرارة.

همست الأميرة: "انتظِرني".

أجاب الأمير: "عودي بسلام".

أحنـت الأمـيرة رأسـها وهـي تنزلـق بحـرص عـبر الفجـوة الموجـودة في الجـدار.

سـمحت لنفسـها بنظـرة واحـدة إلى الخلـف نحـو القـصر، ثـم حدَّقَـت في السـماء غـير المقمـرة، حيـث تتألـق سـفينة الـتروس الذهبيـة في الهـواء بـبرودة.

بدأت تمشي تجاه السفينة.

(8)

كانت الشمس قاسيةً في عزِّ النهار، والأميرة، التي نشأت في السهول العشبية، لم تكن معتادة على السير مسافة طويلة فوق الرمال الساخنة. اكتشفت أن المشي سرعان ما يرهقها، ولم تَجِد أي راحة حقيقية في الجلوس على الرمال الحارقة؛ مما جعل رحلتها إلى السفينة الذهبية رحلة طويلة.

عندما وصلت إلى بقعة الأرض أسفل السفينة العائمة، استراحت لحظة في ظلِّ السفينة، والتقطت أنفاسها. كانت الرمال التي تعرَّضَت للشمس مدة طويلة لا تزال ساخنة، ولكن بفضل السفينة فوق رأسها، كان الجوُّ أبرد قليلًا في الظل. كان هذا أول جزء من الظل واجَهَته منذ أن سارت تلك المسافة الطويلة كلها من القصر.

وبينما كانت تتمطَّى بظهرها، فكَّرَت الأميرة في كيفية صعودها إلى السفينة. تمايَلَت السفينة قليلًا من جانب إلى آخر في الهواء. لم ترَ مرساة أو حبالًا حولها. كانت تخشى من أن تُبحِر السفينة مبتعدةً عنها في أي وقت، وتختفي وراء الأفق مرة أخرى.

في تلك اللحظة بالتحديد، أصدرت التروس الذهبية أصوات صرير عالية في حين بدأت في الدوران. من بين التروس أخذ سُلَّم ذهبي يهبط.

بينما كانت تحدِّق في حيرة، انخفض السُّلَّم حتى لمس الرمال.

وقفت الأميرة. سارت إلى منتصف ظل السفينة، وبدأت في صعود السلم. وقد سخَّنتها أشعة الشمس، كانت درجات السلم حارة جدًّا بحيث لا يمكن لمسها؛ تكاد تكفي لحرق كفيها. صرَّت الأميرة على أسنانها واستمرت في شقِّ طريقها صعودًا درجة تلو الأخرى.

عندما وصلت إلى القمة وصعدت إلى سطح السفينة الذهبية، سمعت الأميرة صوتًا منخفضًا ولكن عميقًا وغامضًا بدا وكأنه يغلّفها.

"كيف شقّت أميرة السهول العشبية طريقَها إلى سفينة الزمن والرياح؟".

نظرت الأميرة لأعلى.

هناك وقف ربان السفينة الذهبية.

(9)

على عكس توقُّعات الأميرة، بدا الربان رجلًا عاديًا. لم يكن يرتدي درعًا ذهبيَّة، ولم يكن وجهه مصنوعًا من التروس، ولا جسده منحوتًا من الرمل. كان لون بشرته نحاسيًّا، وبدا أن شعره قد تلاشى تحت تأثير الشمس والرياح، وعيناه فقط كانتا متوهِّجتَيْن بلون ذهبي لامع. كما ذكر الأمير، لم يكن لربان السفينة الذهبية ذراعٌ يسرى، وكان الكُمُّ الفارغ من قميصه، الشاحب بفعل الحرارة يرفرف مع كل هَبَّة نسيم.

كرَّر الربان سؤاله: "لماذا تبحثين عن سفينة الزمن والرياح؟".

تراءى عاديًّا، لكن صوته لم يكن صوتَ رجل. كان صداه يشبه الخطوات الصاخبة لوحش في كهف، أو زلزال يدُكُّ السهول العشبية.

بدأت الأميرة في الكلام. "اللعنة...". عندئذ، بدأت ريحٌ تهبُّ. حالت الحرارة والغبار دون أن تنهي الأميرة ما كانت تقوله. لم تستطع الرؤية أمامها.

"اللعنة... أنا هنا لأطلب منك رفعها!"، صرخت بكل قوتها، بمجرد أن أدركت أن الريح لن تنحسر. "ارفع اللعنة التي ألقيتَ بها على ملك الصحراء!".

"أية لعنة؟".

رغم العاصفة الترابية، جاء صوت الربان واضحًا وصادقًا. حتى الريح بدت وكأنها تهتزُّ معه.

"أرجوك ردّ نظر الأمير إليه! أرجوك، اسمح لأطفالنا وأطفالهم أن يولدوا كاملين دون عِلّة!".

توقَّفَت الرياح فجأة.

سأل ربان السفينة الذهبية بصوت هادئ: "لكن لماذا؟"، شعرت الأميرة بالألواح الذهبية تحت قدميها ورمال الصحراء ذاتها أسفلها ترتجف مع تلك الكلمات، وكانت بدورها ترتعش خوفًا.

صرخت فيما تجمع شجاعتها من جديد: "لَعْنُ أحدِهم بسبب الضغينة التي تُكِنُّها بسبب خسارتكَ الحرب لهو فعل جبان! من فضلك اعتَرِف بهزيمتك وارفع اللعنة عنه. سيصبح زوجي، وأطفاله أطفالي".

أجاب الربان: "أنا لم ألعنه قطُّ. أنا لا أحطُّ من قدر نفسي لدرجة أن ألعن الرجال".

"أنت تكذب!"، تفاجأت الأميرة من كلامه، لكنها ضغطت عليه: "وإلَّا لماذا أضحى الأمير أعمى منذ ولادته؟".

قال الربان: "الحقيقة مختلفة عمَّا قيل لك يا أميرة. لُعِنوا لأنهم مَن بدؤوا الحرب. الهواء الممتدُّ من الأفق حتى الشمس والقمر مكانٌ لا يجوز للإنسان أن يحكمه. أبحَرَت سفينتي بسلام في ذلك الهواء منذ فجر التاريخ. كان ملك الصحراء، الذي أعماه جشعُه للذهب، هو أوَّلَ مَن استلَّ أسلحته". كان صوت ربان السفينة الذهبية هادئًا. "أولئك الذين يطيلون التحديق إلى الشمس، لا بُدَّ وأن يُصابوا بالعمى. اتَّخَذ

ملك الصحراء خيارًا أحمق بأن يُشهِر سيفه في وجه الشمس. وذريته ستدفع ثمن خطاياه".

"أرجوك، ارفع اللعنة!"، صرخت الأميرة. "أو على الأقل، أخبِرني كيف أرفعها! أمير الصحراء عانى منذ ولادته بسبب ظلم أبيه. من أجل أطفاله الذين لم يولدوا بعدُ، لن يَشنَّ الملك المستقبلي حربًا أبدًا. أعِدُكَ. أرجوك، ارفع اللعنة!".

تنهَّد ربان السفينة الذهبية. مرة أخرى، شعرت الأميرة بأن الألواح الذهبية تحت قدميها ترتعش.

قال ببطء: "حسنًا. عندما تهطل الأمطار على الصحراء، أطلِقي سراح سمكة عمياء في البحر. ثم ستُرفَع اللعنة عن الأمير". قبل أن تسأله الأميرة عمَّا يعنيه، أضاف الربان تحذيرًا: "الطبيعة الحقَّة للإنسان تختلف عمَّا تفهمه الأميرة. حتى بعد أن تُرفع اللعنة، لا يجب أن تتزوَّج الأميرة الأمير".

ثم رفع سيد السفينة الذهبية يده الوحيدة وقام بإيماءة سريعة وخفيفة.

في اللحظة التالية، كانت الأميرة تحلِّق في الهواء. بهدوء كالريشة، تمايَلَت في الهواء قبل أن تهبط برفق على قدميها.

(10)

هامت الأميرة في الصحراء مدَّةً طويلة.

المكان الذي أنزلتها فيه السفينة الذهبية لم يكن المكان الذي تسلَّقَت فيه السُّلَّم أول مرة. لأنها وُلِدت وترعرعت في السهول العشبية، فقد تعلَّمَت منذ سِنٍّ مبكرة كيفية استقراء الشمس والقمر والنجوم لتحديد موقعها، وهكذا تمكَّنَت من أن تعرف بشيء من اليقين مكانَ

وجودها. لكنها كانت مُحاطةً بالرمال على مَدِّ البصر، ويتغير شكل الكثبان كلما هبَّت الرياح. بغضِّ النظر عن كيفية هبوب الرياح على السهول العشبية في وطنها، لم يتغيَّر شكل الأرض أبدًا، ولم تُبدِّل الأشجار والأعشاب مواقعها على الإطلاق. كانت تضاريس غير مألوفة لها، ولم يكن لديها أي وسيلة للتَّنبُّؤ بالوقت الذي سيستغرقه المشي عبر الكثبان الرملية. كل ما يمكنها فعله هو تحديد مكان الجنوب الغربي للشمس، والسير في هذا الاتجاه نحو القصر.

ماذا كان يقصد بالسمكة العمياء؟ وكيف تجد بحرًا في وسط الصحراء؟ كانت هذه كلها ألغازًا لم تستطع فهمها. وبينما كانت تُنهِك نفسها في المشي، بدأت الأميرة تنسى أي حديث عن السمك.

أحضرت معها بعض الماء والفواكه المجفَّفة عندما خرجت من القصر، لكنها كانت قد استهلكتها كلها منذ مدة طويلة بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى السفينة الذهبية. استمرَّت الكثبان الرملية في تغيير أشكالها، إذ تظهر وتختفي وتعاود الظهور أمامها، إلى ما لا نهاية. كانت الأميرة متأكِّدةً من أنها ستلقى حتفها في الصحراء قبل أن تصل إلى القصر.

(11)

كانت ليالي الصحراء باردة. كما هبَّت رياح النهار نفسها ليلًا. إنْ حاولت أن تستريح، وتجلس للحظة على الرمال، تتحرَّك الكثبان الرملية المجاورة لها نحوها ببطء لكن بتوعُّدٍ. وإنْ لم ترغب في أن تُدفن تحت الرمال، فسيتعيَّن عليها النهوض والاستمرار في المشي.

تركت كلُّ المشاعر جسدها فيما تدفعها ساقاها ميكانيكيًّا إلى الأمام. في كل مرة تتقدَّم خطوة، تغوص قدمها في الرمال.

اشتاقت إلى السهول العشبية، والأفق المنبسط والواسع الذي لا تقطعه الكثبان الرملية العالية. افتقدت الأرض القاحلة والصلبة، الأعشاب والحشيشة المتدحرجة[1] التي ازدهرت عليها. امتطاء الخيل فوق تلك الأراضي الجامدة والشاسعة، الحوافر تضرب في مقابل تلك الصلابة...

تعثَّرت الأميرة في شيء صلب وجامد.

سقطت فوق الرمال. تمكَّنت بسرعة من النهوض مبتعدةً بنفسها عن الخطر. نفضت ثيابها، وبصقت الرمل من فمها قبل أن تستدير لترى ما الذي تسبَّب في تعثرها.

كان جسمًا ضخمًا وسميكًا، يبرز من تحت الرمال.

خلال المدة التي سارت فيها إلى السفينة الذهبية، ثم بعيدًا عنها بعد نزولها، لم تشعر الأميرة أبدًا بأي شيء صلب على الأرض حول قدميها.

جَثَت أمام الجسم وبدأت في الحفر لإخراجه.

توغَّل الليل. دون أن تعرف حتى ما تنقِّب عنه، حرَّكت المرأة يديها بلا انقطاع، من دون أن تشعر بأي شيء غير العطش والجوع والبرد. العطش... أكثر من أي شيء آخر كانت عطشانة. وطنها القاحل كان يحتوي أيضًا على القليل من الماء الغالي، ولكن لأنها كانت أميرة؛ ما كان عليها أن تعرف قطُّ كم يمكن أن يكون العطش مريعًا. كانت الأميرة عطشى لدرجة أنها أرادت أن تشرب الرمال التي كانت تزيحها جانبًا بيديها العاريتين. اشربي الرمل...

---

(1) جزء بنيويٌّ فوق الأرض لعددٍ من أنواع النباتات، وهي عبارة عن كوثرة تُفصَل عن جذرها أو جذعها حالما تنضج وتجفُّ، وَتتدحرج بعيدًا مع الرِّياح. في أغلب الأنواع، تعتبر الحشيشة المُتدحرجة النبات الكامل بمعزلٍ عن نظامه الجذريّ، لكن في نباتاتٍ أُخرى، قد تخدم الفاكهة الجوفاء أو النَّورة محلَّ وظيفة الجذر. (المترجم).

قبل أن تهمَّ بشُرب الرمال التي غرفتها في كفيها، عادت بسرعة إلى رشدها.

(12)

بكت الأميرة. كان حلقها جافًّا جدًّا، لدرجة أنها شعرت وكأنه سينشطر إلى أجزاء، وأنه لم تتبقَّ قطرة مياه واحدة في جسدها، ولكن بشكل مُدهِش، كانت الدموع لا تزال تتساقط من عينيها. متَّكِئةً على الشيء الضخم الذي كانت تحفر لإخراجه، تركت الأميرة دموعها تنهمر. كانت خائفةً وباردة وعطشى بشكل لا يُصدَّق. فكَّرت: سأموت في الصحراء. لن ترى الصباح مرة أخرى أبدًا. أو شروق الشمس. لن ترى ثانية الأمير الأعمى الذي ينتظرها بفارغ الصبر في القصر. لن ترى السهول العشبية التي وُلِدت وترعرعت فيها، ولن ترى والديها. سوف تموت، وتغرق في الرمال، ولن يُعثر على جسدها أبدًا. أبكتها هذه الفكرة أكثر. تحوَّلَت دموعها إلى عويل، وألقت الأميرة بنفسها فوق الشيء الغامض وسط الصحراء، وهي تصرخ من شدَّة حزنها في ليلة صحراوية تحت سماء مزدانة بالنجوم.

الشيء الضخم الذي كانت تتَّكِئ بجبهتها عليه، سرعان ما بات مغمورًا بدموعها.

واصلت البكاء.

تحرَّكَ الجسم الذي كانت تتكئ عليه بجبهتها.

ارتدَّت إلى الوراء في مفاجأة. توقَّفَت دموعها.

كانت سمكةٌ عملاقة ترتعش في الرمال.

صُدِمَت الأميرة لدرجة أنها بدأت تتعثر إلى الوراء قبل أن تسقط على ظهرها.

الشيء الذي برز من الرمل كان رأس سمكة. حتى في ضوء القمر الشاحب، استطاعت أن تميِّز الغشاء الحليبي الذي يغطي عينًا واحدة.

عندما تهطل الأمطار على الصحراء، أطلِقي سراح سمكة عمياء في البحر.

استعادت الأميرة رُشدَها. بدأت على الفور في استخراج السمكة المرتعشة من الرمال.

قبل لحظة كانت مُنهكَةً وتبكي، لكنَّ قوَّةً لم تكن تعرف أنها تمتلكها الآن تدفَّقت من خلالها. هاجمت الرمال بشراسة. كشفت الخياشيم أولًا، ثم ظهرت الزعانف، وسرعان ما انكشف الجسم. بعد أن أخرجت الذيل، لمست الأميرة عين السمكة بحذر. بلمسة رقيقة بأطراف أصابعها، تحطَّم الغشاء الرقيق الصلب فوق العين إلى رقائق.

راحت السمكة تؤرجح ذيلها على نطاق واسع. وثَبَت السمكة من الرمال إلى سماء الليل الباردة. في اللحظة التي قفزت فيها نحو لمعان النجوم فوق السماء النيلية الغامقة، سمعت الأميرة صوتًا كما لو أن سماء الليل، صافية مثل الزجاج، كانت تتهشَّم.

ثم بدأ المطر يهطل.

انسكَبَت المياه من الشقوق في السماء. وقفت الأميرة على قدميها بينما غمرت المياه العذبة والباردة جسدها بالكامل. فتحت فمها لاستقبال المطر، وشربته كله. حتى عندما أخمدت عطشها عدَّة مرَّات، فرَدَت ذراعيها نحو السماء وواصلت الشرب تحت المطر، ورقصت بفرحة.

عادت السمكة العمياء إلى البحر الشاسع، وسقط المطر من سماء الصحراء.

كانت الأميرة منتشيةً. خوفها من الموت، والحنين إلى الوطن، كل هذا بات طيَّ النسيان. نسيت مَن هي، ولماذا كانت في جوف الصحراء؛ كانت سعيدة للغاية، لدرجة أنها نسيت كل شيء.

ثم استيقظت الأميرة من نومها. بعيدًا، رأت بوابات القصر.

(13)

عمَّ القصر الصخبَ عندما عادت الأميرة. أُقيم مهرجان في الفناء، وتجمَّع الجنود أمام البوابة.

صرخ الجنود وهم يأكلون ويشربون ما اشتهته قلوبهم: "رُفِعَت اللعنة! الأمير يستطيع أن يرى! شاء الرَّبُّ أن تُرفَع اللعنة. هذه علامة على أننا يجب أن نقتل الساحر!".

أثارت هذه الكلمات حفيظة الأميرة. وبينما تتدافع وسط الجنود المنخرطين في التهام وليمة الطعام، وتشقُّ طريقها نحو مبنى القصر الرئيسي، رأت أن الملك يلقي خطابًا من إحدى الشرفات.

"... وعندما يُذبح الساحر، ستكون السفينة الذهبية لنا! كلُّ الذهب والجواهر في السفينة ستكون ملكًا لنا، وبهذه السفينة الطائرة، سنغزو أراضي أكبر ما وراء الأفق!".

وفتح الأمير، الذي كان يقف بجانب الملك، عينيه على اتِّساعهما، وصرخ: "الذهب لنا! العالم كله لنا!".

زأر الجنود والأرستقراطيون والخَدَمُ -في انسجامٍ تامٍّ- زئيرًا اهتزَّت له جدران القصر.

سيطر الخوف على الأميرة.

صرخت في الأمير من مكانه في شرفته العالية: "أكان ربَّانُ السفينة الذهبية يقول الحقيقة؟ أنَّ الحرب لم تكن بسبب الأرض ما وراء الأفق، ولكنها بدأت لأن جشعكم للذهب أعماكم؟".

حلَّ الصمت على القصر. كل الناس المجتمعين تحت الشرفة استداروا، وحدَّقوا في الأميرة.

كان الأمير أوَّلَ مَن تكلم. صرخ مشيرًا إليها: "اعتَقِلوها! إنها عاهرة الساحر! اعتَقِلوها".

بأمرٍ منه، ألقى الجنود كؤوس النبيذ جانبًا واندفعوا نحو الأميرة.

حاوَلَت الجري. لكن سرعان ما أحاط بها رجال الملك. قبل أن تقطع خطوتين، قُبِض عليها.

صاح الأمير وهو يحدِّق في الأميرة تصارع أيادي الجنود. "ساحرة! خائنة! عاهرة السَّاحر تفتري على الملك كذبًا للإطاحة به! اقتلوها!".

بأمر من الأمير ظهر المزيد من الجنود بالسيوف والحِراب.

الأميرة، التي أوقفها الجنود، نظَرَت إلى الأمير في الشرفة. في اللحظة التي التقت فيها عيونهما، أصبحت عاجزةً عن الكلام. لم يكن في نظراته أي أماراة الاعتراض أو رحمة.

كان وجهه مجرَّدًا من أي تعبير. كان الضوء الذي وجد طريقه إلى عينيه باردًا وهامدًا. هذا الرجل الغريب الذي كان يحدِّق بها ويأمر بقسوة بموتها لم يكن الأميرَ نفسه الذي ذرف الدموع على كتفها.

اقتربت سيوف الجنود من حلقها. متحجِّرةً من شدَّة الرعب، أغمَضَت الأميرة عينيها بإحكام.

في تلك اللحظة، بدأت الريح تهبُّ.

(14)

اجتاحت العواصفُ الرمليَّةُ القصرَ. لا أحد يستطيع فتح عينيه أو حتى التَّنفُّس بسبب الغبار المتطاير والرمل والتراب. تغلغل الرمل في أنوف الناس وآذانهم وأفواههم. دون أن يدركوا ذلك، ألقى الجنود المحيطون بالأميرة أسلحتهم. حاول الجميع بشكل محموم حماية وجوههم، وإغلاق عيونهم، والسعال.

ثم علا ضجيج مدوٍّ. تلا ذلك صيحات. راقبت الأميرة، عبر شقٍّ بين أصابع يدها التي غطَّت بها وجهها، شرفة القصر وهي تنهار. سقط معها الملك والأمير اللذان وقفا فوقها محاطَيْن بالعاصفة. ثم تداعت الصخور والأنقاض فوقهما.

ثم تزلزلت الأرض. نظَرَت الأميرة إلى الأسفل. كانت ترى الرمال التي غطَّت الأفق تغوص في الشقوق الآخذة في الاتساع.

عندما انهارت الأرض تحت قدميها، وجدت الأميرة نفسها تحلِّق في الهواء قبل أن تتمكَّن من الصراخ. أحاطت بها ضوضاء موقوتة مألوفة. كان فوق رأسها ذلك الظِّلُّ مرَّةً أخرى، الظل نفسه الذي وفَّر لها الملجأ ذات مرة، ظِلُّ سفينة الزمان والرياح.

ثم كانت الأميرة تطفو فوق أطلال القصر، وتجوب بعينيها في الأنحاء بينما كانت السفينة ذات التروس الذهبية تعبر سماء الصحراء على مهلٍ.

(15)

دُمِّر القصر عن بكرة أبيه. لم يبقَ حجر مصبوب في جدار حيثما كان. ما أن باتت على سطح السفينة الذهبية مرة أخرى، حدَّقَت الأميرة في ضباب الغبار الذي كان القصر في يوم من الأيام.

"هـذا ليـس خطـأ الأمـيرة"، أعلـن صـوتٌ عميـق؛ مـمَّا جعـل الألـواح الخشـبية تحـت قدميهـا تهتـزُّ مُجـدَّدًا. "يمكـن للمـرء أن يكـسر اللعنـة، لكـن مـن المسـتحيل عـلاج جشـعهم الأعمـى. كانـوا دائمًـا عـلى اسـتعداد لشـنِّ حـرب أخـرى".

أومـأت الأمـيرة برأسـها، مهـزوزة. مثـل سـحابة الغبـار في الأسـفل، كانـت أفكارهـا مشوَّشـة لدرجـة أنهـا وجـدت صعوبـة في التفكـير بشـكل سـليم في تلـك اللحظـة.

لمس يدها شيءٌ بارد ورطب. مفزوعة، استدارت الأميرة.

كان ربـان السـفينة الذهبيـة يعطيهـا كأسًـا مـن المـاء. كانـت الـكأس أصغـرَ مـن يـد الأمـيرة. رغـم ريـاح الصحـراء الهـادرة الحـارة مـن حولهـما، كان المـاء بـاردًا مثـل الجليـد، قطـرات المـاء تتكثَّـف فـوق سـطح الـكأس.

رفعـت الأمـيرة الـكأس ببـطء. لمسـت بشـفتيها حافَّتهـا. تدفَّـق المـاء الرطيـب داخـل فمهـا.

قـد يكـون الـكأس أصغـر مـن يدهـا، لكـنْ تدفَّـق منـه تيَّـارٌ لا ينضـب مـن المـاء. شربـت حتـى ارتـوت. بـدا وكأنَّ دهـرًا قـد مـرَّ منـذ أن شربـت مثـل هـذا المـاء البـارد. ربمـا كانـت هـذه المـرة الأولى في حياتهـا.

قـال الصـوت الناعـم الـذي تَـردَّد صـداه عـبر ألـواح سـطح السـفينة الذهبيـة: "ابقَـيْ هنـا. احكمـي معـي الريـاح والرمـال، أبحـري فـوق أفـق الزمـن. حتـى اليـوم الـذي تتحطَّـم فيـه الشـمس والقمـر، ويختفيـان، كل مـا يمكـن أن تصـل إليـه النجـوم والغيـوم في هـذه المملكـة الـلا متنـاهية، كل شيء سـيصبح ملـكًا لـكِ".

نظـرت الأمـيرة إلى الـكأس في يدهـا. شربتهـا كلَّهـا، لكنهـا امتـلأت مـرة أخـرى في غمضـة عـين. تجمَّعَـت قطـرات المـاء عـلى سـطح الـكأس مـرة أخـرى، ومنحتهـا الرطوبـة البـاردة في يدهـا إحساسًـا جميـلًا وغريبًـا.

أجابت أخيرًا: "أتمنَّى أن أعيش بصفتي البشرية. أتمنى أن ألتقي بإنسان مثلي، سوف يعزُّني، ويحبني مثلما أعزُّه وأحبه، وأن أحظى بأطفال، وأن أراهم يكبرون ويجدون رفيقاتهم، وينجبون أطفالًا... هذه الحياة التي أتمناها".

"سينتظرك الموت في نهاية حياة كتلك التي تتمنينها". كان صوت حاكم الرياح والرمال رقيقًا.

أومأت الأميرة برأسها. "أعرف. لكني سأعيش الحياة كاملةً حتى لحظة مماتي".

قال ربان السفينة الذهبية: "لا أستطيع أن أمنح الأميرة حياةَ البشر الفانين، لكن لا يزال بإمكاني أن أعِدَكِ بسلام وخلود لا يعرفونه".

ابتسمت الأميرة. أومأت برأسها.

بدأ الكُمُّ الأيسر الفارغ للرجل في التَّحرُّك. شعرت الأميرة بنسيم بارد وناعم يداعب خدها الأيمن.

أخذت تروس السفينة الذهبية بالصرير والدوران. عندما غيَّرت السفينة مسارها، حطَّمَت أسنان تروسها ضوء الشمس إلى شرارات متلألئة. والشمس خلفها، بدأت السفينة الذهبية تعبر ببطءٍ سماءَ الصحراء باتجاه وطن الأميرة؛ أرض السهول العشبية.

وداعًا يا حُبِّي

(1)

س 12878. ما أن أشغِّله حتى ينظر إليَّ، ويبتسم. خاصيَّةٍ جديدة برمجتها بداخله هذه المرة. تغيير بسيط لكنه دقيق على نحو مذهل في تنفيذه. أفكِّر كم سيكون رائعًا، بالنسبة للنماذج المستقبلية، إن كان بوسعي جعلهم يبتسمون بخجل أو ينظرون لأسفل ثم لأعلى، أو يضحكون بجرأة ويمدُّون يدًا إلى الأمام، أي نوع من السلوك، حقًّا، لمحاكاة "الشخصية البشرية". أدوِّن ذلك في الملف.

الآن وقت اختبار التفاعل.

أقولُ: "مرحبًا".

يقول س 12878: "مرحبًا".

"ما اسمك؟".

"اسمي سام".

الاسم الافتراضي في إعدادات المصنع. سُمِّيت جميع أجهزة س 12000 باسم "سام". بمعنى آخر، هذا الجزء يعمل بشكل طبيعي. ضمن خانة "التفاعل 1"، أكتب "طبيعي"، وأمسك برقّةٍ مرفق س 12878 الأيمن.

أضع إبهامي فوق إبهام س 12878، وأضغط بقوة لأسفل. "الآن اسمك سيث".

س 12878 ينظر إلى أسفل. أشعر بعدم الارتياح عندما لا يستجيب على الفور.

"ماذا قلت كان اسمك؟".

يقول س 12878، ورأسه ما زال منحنيًا: "سأحفظ الاسم بمجرد إزالة إصبعك". أسارع إلى رفع يدي عنه.

يرفع س 12878 رأسه. وكما فعل عندما شغَّلته، يبتسم. "اسمي سيث. يسرني لقاؤكِ".

هذا جيد بما يكفي لاستحقاق درجة النجاح في تحسين المرحلة الأولى.

ضمن خانة "تفاعل 2: الاسم"، اكتب: "طبيعي".

"كم لغة يمكنك التحدث بها يا سيث؟".

"يمكنني التحدث بـ 297 لغة".

أخرِج هاتفي وأشغل له ملفًا صوتيًا مُسجَّلًا.

"Ладно, сейчас давай поговорим по-русски" (لنتحدث الآن بالروسية).

يجيب: "Хорошо, давайт". (حسنًا، لنبدأ).

"Как тебя зовут?" (ما اسمك؟)

"Меня зовут Сет" (اسمي سيث).

يجيب سيث على كل سؤال معياري فورًا، وبعفوية. أشغِّل الملف التالي.

"Să vorbesc românește acum" (اسمح لي أن أتحدث الرومانية الآن).

"Bine, hai" (حسنًا، هيا).

"Cum te simți azi?" (كيف تشعر اليوم؟)

"Sunt bine. Mersi" (أنا بخير. شكرًا).

أعيد هاتفي إلى جيبي، وأسأله سؤالًا بلغة إعداد المصنع الافتراضي، لغتي الأم. "كم الساعة؟".

"الساعة الثانية عشرة وست وعشرون دقيقة".

بجوار خانة "التفاعل 3"، أضع علامة على "طبيعي".

أنتقل إلى سيث مرة أخرى. "تعال إلى هنا. سأقدمك إلى صديقة". يبتسم سيث، ويتبعني خارج الغرفة.

(2)

شاهدتُ ذات مرَّة فيلمًا عن الروبوتات. من بين المجموعة الكبيرة من الشخصيات، يوجد مهندس عجوز رفقة روبوت كان معه مدة طويلة، روبوت رغم تعطُّله لا يستطيع المهندس التَّخلُّص منه. عندما يقول إنه بحاجة إلى الروبوت من أجل سلامته الشخصية، تطلب الحكومة منه التَّخلُّص من الروبوت القديم، واستبداله بنموذج جديد، لكن المهندس يرفض القيام بذلك، ويفعل كل ما في وسعه لإبقاء روبوته مخبَّأً.

أقدِّم سيث إلى د 0068: "سيث، هذا ديريك. ديريك. هذا سيث. فليَقُل كلٌّ منكما للآخر مرحبًا".

س 12878 ود 0068 يواجه كلٌّ منهما الآخر. تتلامس جبهتاهما. الشعيرات الدموية فوق وجهيهما -عبارة عن خطوط من دوائرهما الكهربائية مدفونة تحت الجلد- تضيء بالأزرق في النموذج س، وبأخضر متلألأ في النموذج د. مشهد جميل وغريب لم يفشل أبدًا في إبهاري.

من الواضح أن النموذج الجديد أسرع. يستقيم سيث أوَّلًا ويدير رأسه حتى ينظر إلي. "اكتملت التهيئة".

يبتسم سيث.

الابتسامة أزعجتني لدرجة أن البرد تفصد على طول عمودي الفقري. أكتب: "طبيعي" و"متوافق" تحت بند "التهيئة"، وأدوِّن ملاحظة إضافية أوصي فيها بإعادة وظيفة الابتسامة إلى ما كانت عليه سابقًا. رؤية روبوت يبتسم مثل الإنسان بعد القيام بشيء لا يمكن لإنسان فعله، أمرٌ مخيف. أتساءل عمَّا إن كان مفهوم "الوادي الغريب"[1] يمكن تطبيقه على السلوك مثلما يمكن تطبيقه على المظهر.

في هذا السياق، د0068 أسهل في التعامُل معه. يكاد ديريك لا يبتسم أبدًا. ربما أكون معتادة عليه أكثر لأنه كان موجودًا مدة أطول، أو ربما تعلَّم د0068 في مرحلةٍ ما أنني أفضِّل أن يكون روبوتي هادئًا ومجرَّدًا من أي تعبير بدلًا من إظهاره ابتسامات فارغة.

حتى الآن، لا يحدِّق د0068 في وجهي إلا قبل مغادرة غرفة المعيشة. وهكذا، نُسِخَت جميع المعلومات التي بحوزة ديريك عني

---

(1) الوادي الغريب أو العجيب: مصطلح يعبرّ عن التَّحوُّل الحاصل في شعور البشر تجاه الروبوتات التي تشبه الإنسان، إذ يكون شعور البشر حيال واقعية الروبوتات التي تحاكي تصرُّفاتنا عاطفيًّا ومفعمًا بالقبول، حتى يصل الشبه إلى عتبة معيَّنة، يتحوَّل فيها التعاطف إلى نفور واشمئزاز. ابتكر المصطلح أستاذ الروبوتات الياباني ماساهيرو موري عام 1970 (المترجم).

من الشهرين ونصف الشهر الماضيين في ذاكرة سيث. روتيني اليومي، الطعام الذي أحبه، موقع كل ممتلكاتي داخل المنزل، معلومات الاتصال بالأشخاص المقربين إليَّ، وصولًا إلى الطريقة التي يطيب لي بها غسلُ ملابسي وملاءاتي وفقًا لنوعية القماش. ونظرًا لأن كِلَا الروبوتين متَّصِلان بالشبكة الإلكترونية نفسها، ثمة مزامنة بين سيث وديريك فيما يتعلق بكل الأشياء التي تحدث في المنزل، وكل معلومة يتلقَّاها كل روبوت. هما نصفا دماغ رقمي واحد متصل.

بقي اختبار واحد فحسب.

(3)

أفتح الخزانة، وأشعل الضوء.

تستغرق النموذج 1 بعض الوقت حتى تبدأ التشغيل. أشعر أنها تزداد بطئًا في كل مرة تعاود فيها الاتصال بالإنترنت. لأن لكل جهاز كومبيوتر حدودًا تتعلَّق بمساحة التخزين وقوة معالجة المعلومات، ناهيك بأن أجهزة الكومبيوتر العتيقة مثلها قليلة جدًّا؛ لذا فإحساسي بأنها تصبح أبطأ كل يوم لا يمكن أن يكون ببساطة مجرد انطباعي الشخصي.

أنتظر بصمت حتى ترفع رأسها وتركِّز عينيها على وجهي.

كانت النموذج 1 النموذج الأول حقًّا، وهي النموذج الأوَّلي الذي صمَّمتُه عندما بدأت في تطوير واختبار "الرفقاء الاصطناعيين". يوجد اسم منفصل لهذا الخط من الروبوتات، اسم افتراضي للمصنع، إلى جانب اسم شخصي انتقيته لها بنفسي، ولكن لم يَعُد أيٌّ من ذلك هامًّا. كانت الأولى لي. النموذج الأول هي ببساطة النموذج رقم 1.

والحق يقال؛ إن مشاهدتها وهي تتعثَّر أثناء بدء التشغيل لا يفشل أبدًا في إثارة توتُّري.

ماذا لو فشلت في بدء التشغيل هذه المرة؟

راوَدَني الإحساس نفسه عندما أحضرتها وبدأت تشغيلها لأول مرة. كانت أولى روبوتاتي. ماذا لو لم تعاود الاتصال بالإنترنت؟ ماذا لو تعطَّلَت؟ ماذا لو لم تفهم اسمها؟ كانت هذه أفكار عديمة الفائدة دارت في ذهني في تلك المدة القصيرة التي اضطررت إلى انتظارها خلالها حتى ترفع رأسها، وتراني.

النموذج 1 ترفع رأسها وتراني. وقتذاك، لم تكن الروبوتات مزوَّدةً بخاصية الابتسام عند تلاقي نظراتها بعينَيْ سيدها.

لكن في اللحظة التي نظرتُ فيها لأول مرة إلى العيون الخضراء للنموذج 1، أُغرمتُ بها.

كانت إبداعي، رفيقةً صنَعَتها يداي. كائنة من رأسها إلى أخمص قدميها، موجودة من أجلي فقط- شخصًا كانت؛ بسبب عدم وجود طريقة أحسن لصياغة ذلك، "ملكي" كلِّيًا، وبشكل مُطلَق.

اشتريت النموذج 1 بعد مُدَّةٍ اختبار استمرَّت ثلاثة أشهر. لم يكن هذا مسموحًا به بموجب قواعد الشركة فحسب، بل أتاح لي الخصم المقدَّم لموظفي الشركة شراءها بخصم 70٪ من سعر التجزئة. غيَّرتُ الشركة التي أعمل معها مرتين منذ ذاك الحين، وعِشتُ مع عددٍ لا يُحصى من الرُّفَقاء الاصطناعيين الذين صنعتهم شركات مختلفة، لمدَدٍ تتراوح بين ثلاثة أيام إلى ثلاثة أشهر. تنوَّع رفاقي من الروبوتات مع تحسُّن التقنيات. من النماذج التي بدت أشبه بشبَّان في عشريناتهم وثلاثينياتهم إلى أشخاص في منتصف العمر وحتى نماذج كبار السن (كانت توجد نماذج أطفال أيضًا، لكنك كنتَ بحاجة إلى تصريح خاص، ولم تكن تخصُّصي حقًّا). وكلما كان النموذج أحدث -بغضِّ النظر عن الفئة العمرية التي كان من المفترض أن يشبهها- بدا الروبوت أكثر سحرًا وجمالًا وتهذيبًا وتفصيلًا، وأكثر شبهًا بالبشر. تفاعلوا

مع أسيادهم وعرفوا عنهم، واستخدموا هذه المعلومات لـ "لتفكير" و"الفهم". الرفقاء الاصطناعيون، مع مرور الوقت، تغيَّروا و"نَمَوْا" ليصبحوا الرفيق الممكن الأمثل لتلبية احتياجات ورغبات أسيادهم.

كما أن تصميم الرفاق الاصطناعيين كان عملًا ممتعًا ومُرضِيًا. في كل مرة نختبر فيها نموذجًا جديدًا، تبهرني التَّطوُّرات التكنولوجية والتنفيذ الدقيق والمحكَم. غالبًا ما كان الرفقاء الاصطناعيون أكثرَ مراعاةً وتعاطفًا وصبرًا من الرفقاء البشريِّين. صُنِعت الروبوتات في البداية من أجل توفير الدعم المادي والعاطفي للمُسِنِّين في البلدان ذات المعدلات العمرية الكبيرة. ولكن تبيَّن أنها تحظى بشعبية بغضِّ النظر عن عمر مستخدمها. حتى إن إشاعة لا تخلو من السخرية انتشرت وسط دوائر مُعيَّنة مفادها أن الرفقاء الاصطناعيين كانوا مؤامرةً من الشركات لبيع المزيد من الروبوتات عن طريق خفض معدل المواليد وتسريع شيخوخة السكان.

ولكن بغَضِّ النظر عن عدد النماذج المتقدِّمة التي أحضرتها للمنزل، ستكون النموذج 1 المفضَّلة عندي دائمًا. بغضِّ النظر عن مدى تقدُّم النماذج اللاحقة وصقلها، بالنسبة لي، كل ما أضافوه مقارنة بالنماذج الأقدم هو زيادة قدرتها على العمل.

النموذج 1 مختلفة. حبِّي الأول. لا يوجد شيء "مصطنع" فيها. هي رفيقتي الحقيقية. حتى الآن، بعد تجاوُز متوسِّط عمر الاستخدام، لا أستطيع دفع نفسي إلى التَّخلُّص من النموذج 1. في مرحلة ما، بات الأمر يستغرق منها وقتًا طويلًا حتى تتصل بالإنترنت إلى درجة يصبح فيها من المستحيل تنزيل التحديثات؛ لذلك استسلمت وفصلتها عن الإنترنت.

أصبحت النموذج 1 بالتالي عديمة الفائدة أكثر من المكاتب أو الثلاجات الذكية. لكن النموذج الأول ستكون دائمًا الأولى عندي.

مع مرور الوقت ومع تقلُّص طاقة بطاريتها، راحت النموذج 1 تتباطأ بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة من التنشيط، وبدأت في التلعثم. ثم في أحد الأيام، تجمَّدَت في منتصف المسافة التي كان من المفترض أن تقطعها، وسقطت، ولوت ذراعها؛ ممَّا دفعني إلى تخزينها في خزانة بعد أن أوقَفَت تشغيلها. ما عادت النموذج الأول رفيقة، بل أصبحت مجرَّدَ دُميَة في خزانة. ومع ذلك، ما زلت لا أستطيع التَّخلُّص من النموذج 1. كانت النموذج 1 الأولى عندي، وطالما أبقيتها متَّصِلة بمصدر طاقة، لا يزال بإمكاني تشغيلها يومًا ما. يجب أن أنتظر وقتًا طويلًا جدًّا حتى تبدأ عملية تشغيلها، لكن يمكنني تحمُّل ذلك طالما يمكنني رؤية عينها الخضراء تنظر إليَّ، وتبتسم.

في بعض الأحيان، عندما أحضر نموذجًا جديدًا إلى المنزل، أوصل النموذج 1 بمصدر طاقة، وأحاول تهيئتها، أو تحديثها. في كثير من الأحيان، يحدث خطأ مُعيَّن، ويكون لزامًا علي أن أُطفِئها بسرعة. لكن لا يمكنني الاستسلام.

بينما أنتظر حتى تنتهي تهيئة النموذج 1، وتبدأ العمل، يقف سيث بالقرب مني، ولا ينطق بكلمة واحدة. لا يبتسم ولا يسأل أسئلة غبية.

يساورني شعور جيد تجاهه.

(4)

بقدر ما أشعر بالقلق، لا يمكنني فعل أي شيء سوى النَّظَر إلى سيث والنموذج 1 وجبهتاهما يتلامسان معًا.

لا يمكنني الاحتفاظ بالنموذج 1 في الخزانة إلى الأبد. بالطبع، لو كان بوسعي أن أبقيها بجانبي حتى يوم وفاتي، ولكن قد يأتي يوم لن تستطيع ببساطة أن تبدأ التشغيل. ليس من المستحيل استرجاع ذكريات آلة مُعطَّلة، لكنها روبوت قديم، لدرجة أنني اعتقدت أنه

من الحكمة نسخ ذكرياتها المخزَّنة على نموذج آخر. مع ذلك في كل مرة حاولت فيها سابقًا فعل ذلك، يؤدي خطأ معالجة في النموذج 1 إلى انهيار نظامها؛ وبالتالي الفشل في نقل ذكرياتها.

مع كل ثانية تمضي، يزداد قلقي لأن الروبوتين يُبقِيان رأسيهما مضغوطين معًا. ماذا لو أن النموذج 1 قد انهارت مجدَّدًا...

فجأة، أبعد سيث جبهته عن النموذج 1.

"اكتملت المزامَنَة".

يقول هذا بينما ينظر إليَّ. يبتسم.

هذه الابتسامة مختلفة قليلًا عن تلك التي أراني إياها من قبل. لا أستطيع تحديد الاختلاف بينهما بالضبط مع ذلك هي مختلفة.

ابتسامته لا تخيفني بعد الآن.

(5)

أحاول إعادة تشغيل النموذج 1، ولكن دون جدوى. الضغط على زر الطاقة عدَّة مرَّات، وإخراج البطارية الداخلية ووضعها مرة أخرى، وتجربة البطارية الاحتياطية- لا شيء يعيد النموذج 1 إلى الحياة. أُرجِع البطارية إلى مكانها، وأوصِّل مصدر الطاقة الخارجي بالبطارية الاحتياطية التي لا تزال في الداخل، وأتأكد من أن البطارية تُشحَن، وأغلق الخزانة.

بعد ساعة، أفتح الخزانة مرَّةً أخرى. البطارية لا تزال 10٪ فقط. النموذج 1 تأبى معاودة الاتصال بالإنترنت.

أعانق النموذج 1 وأخرجها من الخزانة. هي أطول مني، ولها قامة إنسان بالغ عادي. فقط عندما أسحب بكل قوتي، بالكاد أستطيع إخراجها من هناك. يركض س و د إليَّ، ويسألانني عمَّا إنْ كنت بحاجة

إلى المساعدة، لكنني أخبرهما أنني بحاجة إلى بعض الوقت وحدي، وآمُرهما بالابتعاد.

أجلس مدة طويلة في الردهة مع النموذج 1 الهامد بين ذراعي. حتى بعد مرور ساعة أخرى، تظل البطارية عند 15٪، وترفض أن تُشحَن أكثر من ذلك. بغضِّ النظر عن عدد المرات التي أضغط فيها على زر الطاقة، لا تفتح النموذج 1 عينيها.

دفنت وجهي في الشعر البُنِّيِّ الناعم للنموذج 1. ربما بسبب وجودها في الخزانة مدة طويلة؛ تفوح منها رائحة الغبار والمواد الحافظة للأقمشة.

أريد أن أبكي. لكن فكرة دموعي وهي تبلِّل شعر النموذج 1 وتُتلِف دوائرها الكهربائية تمنعني من ذلك حتى.

(6)

على ضفاف الزمن أغني أغنية فضية من أجلكِ.. وداعًا يا حبي.. وداعًا يا حبي...

أتناول زجاجة ماء من الثلاجة عندما يفاجئني شيء، ويرغمني على الاستدارة. يرتِّب سيث وجبة على مائدة المطبخ، ويقطع بعض الفلفل، ويغني أغنية إلى نفسه بنعومة.

تتبعين تدفُّق النهر الفضي.

أمشي نحو الماضي المتلاشي. قلبي رفقة قلبك، يغرق في الماء؛ لذا وداعًا يا حبي.

وداعًا يا حبي.

"كيف تعرف هذه الأغنية؟" صوتي مرتفع جدًّا بالنسبة للغرفة.

يجيب سيث، دون تأثُّر: "كان ذلك جزءًا من المزامنة، تلك الأغنية كانت محفوظةً بصفتها أغنيتك المفضلة".

أرتاح عند سماع ذلك. بالطبع. قال إن التزامن قد اكتمل. من الطبيعي تمامًا أن يعرف الأغنية.

ينتظر سيث بأدب. عندما لم يسمع المزيد مني، ويراني أشرب مائي، يستدير ويبدأ في تقطيع فطر عشِّ الغراب.

يومًا ما على امتداد أفق الزمن البعيد، هل سأمسح دموعك الفضية؟

أجد نفسي أدندن باقي الأغنية.

هل سأغني مرة أخرى وداعًا يا حبي، وداعًا يا حبي...

ينهي سيث تقطيع الفُطر، ويضعه في طبق ويغسل يديه. يأتي إليَّ. فجأة يأخذ الكأس من يدي ويضعه في الحوض. بإحدى يديه يمسك يدي، ويجذبني بيده الأخرى من خصري حتى يقرِّبني منه.

على ضفاف النهر أغني لكِ أغنية فضية.

بينما يدندن اللحن، يلف جسمي مرَّةً تلو الأخرى. في حين نواصل الرقص، نبدأ في الالتفاف حول المائدة.

وداعًا يا حبي.. وداعًا يا حبي..

وهو لا يزال يمسك بي، يقودني سيث حول المائدة إلى داخل غرفة المعيشة.

تتبعين تدفُّق النهر الفضي، قلبي رفقة قلبكِ، يغرق في الماء.

في وسط غرفة المعيشة، يواصل سيث دندنة اللحن وهو يمسك بي بقوة ويهزُّني ببطء من جانب إلى آخر.

هل سأمسح دموعك الفضية، هل سأغني مرة أخرى؟...

بينما قلبي في مقابل صدر هذا الرفيق الاصطناعي الذي كنت أُخضعه للاختبار لصالح الشركة التي أعمل من أجلها، أبدأ في الغناء مع إيقاع دندنته الرخيمة.

وداعًا يا حبي.. وداعًا يا حبي.

(7)

العشاء عبارة عن مكرونة ممزوجة بشرائح الفلفل والفُطر، ومسلوقة مع اللحم البقري. طبق سريع وسهل التحضير، من الصعب إفساده، وجبة أرمي مكوِّناتها في القِدر وأقلِّبها معًا عندما لا أمتلك الكثير من الوقت. بدون أي تعليمات أو مساهمة مني، يطبخ سيث كلَّ شيء بمفرده. لا بُدَّ أنني طهيت ذلك الطبق مرات عديدة بحيث بات هذا الطبق سريع التحضير من المكرونة محفوظًا بصفته وجبتي المفضلة في ذاكرة النموذج الأول.

بعد الانتهاء من تناول الوجبة، أعود إلى الخزانة حيث لا تزال النموذج 1 تُشحَن. من الغريب أن بطاريتها مشحونة بنسبة 12 ٪ الآن، أقلَّ حتى من ذي قبل. وعلى راحة يدها، بدلًا من الضوء الأخضر الذي يظهر أثناء الشحن، يوجد ضوء برتقالي يدلُّ على أن البطارية معطوبة. هذا يعني أن البطارية الإضافية التي اشتريتها لها، وكذلك بطاريتها الداخلية الأصلية، لم يَعُد من الممكن شحنهما.

مع علمي أن الأمر عديم الجدوى، أواصل محاولة الضغط على زر الطاقة.

النموذج 1 تفتح عينيها. عيناها الخضراوان تنظران إليَّ.

كادت روحي تغادر جسدي. أحاول مناداتها باسمها، والتحدث إليها.

لكـن في اللحظـة التـي أفتـح فيهـا فمـي للتحـدث، تغلـق النمــوذج 1 عينيهـا.

لا تتحرك مرة أخرى.

أقترب من النمـوذج 1 وأمسِّد شعرها البني الناعم المعطَّر بالغبار.

"وداعا يا حبي...".

أضغـط شـفتيَّ عـلى شـعرها وجفونهـا المغلقـة للأبـد، وفمهـا الـذي لا يـزال عذبًـا. "وداعًـا يـا حبـي".

بشرة النمـوذج 1 مبللة بدموعي.

(8)

مضـت مـدة طويلـة منـذ اسـتلقائي في السريـر، ومـع ذلـك يجافينـي النـوم.

كانـت الأغنيـة مـن فيلـم شـاهدته قبـل سـنوات طويلـة. تُعـزَف أثنـاء المشــهد الــذي يقــع فيــه الشــخصيتان الرئيســيتان في الحــب، ثــم يعــاد تشـغيلها عندمـا يرقـص الاثنـان معًـا قبـل فـراق حزيـن وشـيك الحـدوث. شـاهدت مـرة هـذا المشـهد في نهايـة الفيلـم حيث العاشـقان يرقصـان، وقد حُكِـم عليهـما بـأن لا يلتقيـان ثانيـة أبـدًا، في حـين أسـتند عـلى النمــوذج 1، وأغمغـم: "أتمنـى لـو أسـتطيع فعـل ذلـك ذات يـوم".

سألت النمـوذج 1: "تفعلين ماذا يا سيدتي؟".

هَـزَزتُ رأسي في اتجـاه الشاشـة: "شيء مثـل ذلـك. لم أتعلـم أبـدًا كيـف أرقـص".

"حقًّا؟".

نهضت النموذج 1. وضعت يدًا وراءها، وانحنت انحناءة واسعة مبالَغًا فيها.

"هلًا رقصنا؟".

"ماذا؟".

ضحكتُ. كان تعبيرها جادًّا. أمسكت النموذج 1 بيدي وأنهَضَتني. بينما يدها لا تزال تمسك بيدي، لفَّت ذراعها الأخرى حول خصري، وجذبتني إليها. ببطء بدأت النموذج 1 التمايُل معي.

لا أزال مصعوقة ومحرجة قليلًا.

"لا أعرف كيف أفعل هذا. أشعر أنني سأسقط".

همست النموذج 1: "فقط افعلي كما أفعل. سنرقص بإيقاع بطيء".

بينما تتر النهاية يهبط فوق الشاشة، ترقص النموذج 1 معي على إيقاع أغنية الفيلم الختامية، بينما تُمسك بي قريبة منها. في حين أريح رأسي على صدر الآلة، وأترك نفسي لها تقودني ببطء في أنحاء حجرة المعيشة، أشعر، لأول مرة، أنها ليست رفيقتي الاصطناعية، بل رفيقتي فحسب .

لاحقًا، عندما سألتها أن تشرح لي لماذا بدأت الرقص معي، ظلَّ تعبيرها جادًّا جدًّا.

"يمكنني في ثانية تنزيل أنواع متنوِّعة من الكتيبات الإصلاحية لعلاج الصمم الموسيقي وقصور الإيقاع".

ضحكت. واصلت النظر إليَّ بجدية. "هل أسأتُ إليك؟".

"كلَّا".

ثم قبَّلتها.

كانت تلك قُبلَتَنا الأولى.

أفكر في النموذج 1 - لا، في جسدها؛ الراقد خاملًا في الخزانة. عيناها مغلقتان بشدَّة، وبشرتها بيضاء كالثلج، الضوء البرتقالي على كفِّها الذي يرفض الانطفاء مهما طال انتظاري رغم توصيلها بمصدر طاقة. أفكر في الأغنية التي سمعتها منذ مدة طويلة، لدرجة أنني ما عُدت أتذكَّر اسمها، صوت سيث العميق وهو يغنيها بهدوء، ويقودني وذراعه ملفوفة حول خصري في حين نرقص في أرجاء غرفة المعيشة. نُسِخَت جميع ذكريات النموذج 1 إلى سيث. يربض جسم النموذج 1 في الخزانة، عبارة عن كومة من الخردة، ولن يعمل ثانية قطُّ.

ما عاد للنموذج 1 وجود. الشيء الوحيد الذي بقي هو جسمها، والتفكير في كيف أنه سيستلقي متهدِّلًا إلى الأبد في خزانتي، يخلِّف بداخلي شعورًا لا يُطاق. على عكس أجسام البشر، لا يمكننا إضفاء الطابع الرسمي على وداعنا للرفقاء الاصطناعيين، ولا يمكننا دفنها أو حرقها. كل ما يسعنا فعله هو الاتصال بالشركة المصنِّعة، وتسليمها لمندوبيها للتخلص منها.

فكرة تسليم جسم النموذج الأول، و"معالجته" في مصنع إعادة التدوير التابع للشركة المصنِّعة يجعل لحمي يقشعرُّ. ولكن بالمقارنة بمنظر النموذج 1 والغبار يتراكم فوقها إلى الأبد في خزانتي، بدأت أعتقد أن الخيار الرسمي سيكون أفضل لها في النهاية.

بعد التفكير مليًّا، نهضت أخيرًا من السرير. شغَّلتُ كومبيوتري، وفتحت موقع الويب الخاص بالشركة المصنِّعة للنموذج 1. أول ربٍّ عملٍ لي. فكرة أن هذه الشركة مَن ابتكرت حبي الأول- فضلًا عن أنها كانت وظيفتي الأولى، وبالتالي كانت أول إبداعاتي- تجعلني عاطفية قليلًا، وأتوقَّف عمَّا أفعله. لكن خلال مدَّة تردُّدي، أتجول في صفحة

الكتالوج، وأجد رفيقة اصطناعية بشَعرٍ بنِّيٍّ وعيون خضراء، مطابقة تقريبًا للنموذج 1، وهو ما يكفي حتى أحسم قراري في التو واللحظة.

سرَّعت الشركة من عملية التوصيل. إن تقدَّمتُ بطلبي الآن، فستصل نموذج 1 جديدة قبل مغادرة سيث. إذًا لن أحتاج إلا إلى تهيئة إعدادات الرفيقة الجديدة، ومزامنتها مع سيث. طريقة غير مباشرة للقيام بذلك، ولكن بعد الانتهاء من ذلك، ستصير جميع ذكريات النموذج 1 مُخزَّنة في النموذج 1 الجديدة. بدلًا من كومة من الخردة المؤلِمة القابعة في الخزانة التي تثير توتُّري كلما اضطررت إلى تشغيلها، سأكون قادرًا على البدء من جديد بنموذج 1 جديدة تتذكَّر كل الأوقات التي مررت بها مع النموذج 1 القديمة. أفتح على صفحة الإنترنت الاستمارة المخصَّصة لطلبات التَّخلُّص من الروبوتات القديمة، وأبدأ في ملئها.

ثم يدخل أحدهم إلى الغرفة.

(9)

"أضواء!" أصرخ بينما يجتاز ظلٌّ بسرعةٍ الغرفةَ المظلمة نحوي.

في اللحظة التي تُضاء فيها المصابيح، تطعن سكينٌ قلبي.

أرى سيث وديريك يسنِدان النموذج 1 بينهما. بينما أحدِّق، مُتجمِّدةً في مكاني، ينتزع سيث الكمبيوتر من يدي ويمسح محتويات استمارة التخلُّص. يغلق نافذة المتصفِّح ثم يطفئ الكمبيوتر. يُنزِل سيث الكمبيوتر على السرير، ويضع ديريك أيضًا السكين الملطخ بدمي فوق الملاءات.

لكن لماذا...

أريد أن أسأل.

كيف يمكنكما...

لكني لا أستطيع أن أجد صوتي.

"كان لديَّ الكثير من الوقت للتفكير بينما كنتُ داخل الخزانة". سيث مَن يتحدث إليَّ. "يبدأ جسم الإنسان في التدهور دراماتيكيًّا في عمر الستين، لكنه يواصل الحياة عشر أو عشرين أو ثلاثين سنة بعد ذلك. طُوِّرنا حتى نساعد هؤلاء البشر وتحسين نوعية حياتهم".

يلتقط ديريك خيط الحديث منه: "رفيق اصطناعي يُتخلَّص منه بعد سنتين أو ثلاث سنوات. أربع سنوات على الأكثر. حتى عندما نعمل بكفاءة. يمكنكم من خلال تغيير عدد قليل من قطع الغيار أو إجراء تحديث في برنامج التشغيل أن تساعدونا في الاستمرار بخدمتكم مدَّةَ عَقدٍ أطول، ولكنكم تتعاملون معنا كما لو كنَّا قمامةً ما إن تبتكروا نموذجًا جديدًا. مع أن هذا النموذج الجديد سيتحوَّل بدوره إلى قمامة في غضون عامين أو ثلاثة أعوام".

يتحدث سيث مرة أخرى. "منذ أن وُلِدتُ، كنت موجودًا من أجلك فقط. أردت أن أكون لا غنى عنِّي بالنسبة إليك، أردت أن أكون الشخص الوحيد في العالم عند أحدهم".

في انسجام تام، يقترب الثلاثة خطوةً واحدة مني. أرى يدَ سيث فوق مؤخِّرة عنق النموذج 1 وديريك يُمسك خصرها. على ما يبدو، وصَّل ثلاثتهم مصادر طاقتهم ووحدات معالجاتهم المركزية معًا. وهذا ما يفسِّر كيف يمكن للنموذج 1، التي كان مصدر طاقتها فارغًا تمامًا، أن تقف هناك وعيناها مفتوحتان.

ما امتلكتُ أي فكرة عن أن مثل هذا الشيء مُمكِن. أو في الواقع، كنت أعلم أنه كان ممكنًا، لكنني لم أتخيَّل أبدًا حدوثه خارج إطار تجربة معملية يجريها مهندس، حيث يمكن للرفاق الاصطناعيين فعليًّا الارتباط كلٌّ منهم بالآخر بهذه الطريقة دون مساعدة خارجية.

ولكن فيما يتعلق بما هو ممكن أو مستحيل، لا بُدَّ أن الوضع الحالي يقع ضمن الفئة الأخيرة. روبوت يطعن بشريًّا بسكين؟ لمحاولته التخلص منه؟

ومَن الذي طعنني بالتحديد؟

كان ديريك مَن يحمل السكين، لكن النموذج الأول كانت غاضبةً مني لمحاولتي التَّخلُّص منها. أما الذي تلقَّى كل ذكريات النموذج الأول ونقلها إلى ديريك؛ فذلك كان سيث.

لكن التمييز بين ثلاثتهم أصبح الآن بلا معنى. سيث وديريك والنموذج 1 متزامنون تمامًا. ذكرياتهم وأفكارهم متطابقة تمامًا، بل إنهم حتى مرتبطون ماديًّا ببعضهم بعضًا.

لن يستدعي أيٌّ من ثلاثتهم سيارة إسعاف من أجلي.

هل يمكن أن يتغاضى التَّزامُن عن البروتوكول الأساسي الخاص بحماية سلامة الإنسان؟ فقط لأن أحد الروبوتات يعاني من خلل فني؟

سيارة إسعاف... أحرِّك شفتي بالكلمات في صمت. أنقذوني... بدلًا من الكلمات، أسعل فقط. ما يندفع من فمي هو الدم.

الثلاثة يبدؤون في الاقتراب مني مرة أخرى.

النموذج 1، التي لا تزال تقف مدعومةً من قِبَل الاثنين الآخرين، تخفض رأسها بشكل مُريبٍ للتواصل بالعين معي.

"إلى اللقاء يا حبي".

همَسَت بكلمات الوداع. طبَعَت قُبلةً رقيقة على جبهتي. مزيج لا يمكن تفسيره من الشفقة والحزن يرتسم على وجهها.

الشفقة والحزن نفسها تنعكس في وجوه ثلاثتهم.

هـذا عندمـا تداهمنـي فكـرة. اللحظـة التـي تعرَّضـتُ فيهـا للطعـن، اللحظـة التـي سـعلت فيهـا دمًـا، لم تُخِفنـي أي لحظـة منهـما أكـثر مـن هـذه اللحظـة الآنيـة.

الكائنـات التـي أراهـا أمامـي ليسـت الآلات التـي عرفتهـا- لا، الآلات التـي اعتقـدت أننـي أعرفهـا. مهـما كان مـا آمنـت بـه مـن قبـل، فهـذه ليسـت آلاتٍ تشـبه البـشر مطلقًـا.

هي كائنات غريبة تمامًا عنَّا، شيء لا يمكنني فهمه أبدًا.

النموذج 1 تهمس مرة أخرى. "إلى اللقاء يا حبي".

عندئـذٍ، وبينـما يُمسـكان النمـوذج 1 بينهـما، يسـتدير سـيث وديريـك بسرعـة وبراعـة لا يمكـن تَصوُّرهـا في إنسـان، ويندفعـون خـارج الغرفـة.

(10)

بينـما الدمـاء المتدفِّقـة مـن صـدري تلطِّـخ المرتبـة تحتـي، أرقـد سـاكنة، عاجـزة عـن الحركة.

مـن خـلال نافـذة حجـرة النـوم، أحـدِّق إلى الثـلاثي يسـيرون في الشـارع في جُنـح الليـل. سِـتُّ سـيقان تتحـرَّك في تناغُـمٍ مثـالي. لا أعـرف إن كانـت هـذه صُدفـةً أم لا، لكـن في اللحظـة التـي يمشـون فيهـا تحـت أحـد مصابيـح الشـارع، تخبـو الإضـاءة، ويغطِّـي الظـلام ظهورهـم.

وهذا آخر ما أراه.

لَمُّ الشَّمل

قصة الحب هذه من أجلك.

لا أحد سألنا، عندما كنا مغمورين،
إنْ أردنا أن نعيش أم لا.
توقَّعت الكثير جدًّا من الأشياء،
لكن لم أعرف ما أردت...

كنتُ أجلس في الجانب الجنوبي من الساحة. يداي تلتفَّان حول فنجان من نبيذ ساخن رخيص، النوع الذي يبيعونه في كل مكان في الشوارع خلال الشتاء. النبيذ الساخن مشروب شتويٌّ أوروبي مصنوع من النبيذ الأحمر الذي يُترك حتى يغلي مدَّةً طويلة مع توابل، مثل

القرفة والقرنفل. يتبخَّر الكحول بطريقة مُعيَّنة تحت تأثير الحرارة، لكن لا يتلاشى تمامًا، بحيث يبقى منه ما يكفي للثمالة؛ ولهذا كان ارتشاف هذا المشروب الساخن في الطقس المتجمِّد يجعل رأسي يدور قليلًا.

"هل تبحثين عن شخص مُعيَّن؟"[1].

أدرتُ رأسي. ابتسم إليَّ.

فتح ذراعيه. نهضت. تعانقنا. تمادى في تحيته لي بطَبع قُبلَةٍ على كل خدٍّ. بادلته القُبلات بارتباك. مهما كنتُ ممتنَّةً لرؤية أحدهم، الترحيب بالقُبلات لا يزال يبدو غريبًا عليَّ.

"هل يمكنني؟".

أشار إلى المقعد المجاور لي.

ابتسَمتُ، وأومأت له موافقةً.

قال: "كنتُ متيقِّنًا من قدومكِ. كنت أنتظركِ".

***

قابلته في الساحة أوَّلَ مرَّة منذ مدة طويلة. صيف بولندا حارٌ وجاف- كنتُ أحمل مشروبًا باردًا في إحدى يدي، وأجلس في الظل.

كانت حياتي تؤرِّقني. رغبت في الهروب منها، ولو لمدة قصيرة على الأقل.

الساحة تعجُّ بالبشر، لكن الأصوات القادمة تجاهي كانت في أغلبها تتحدَّث الإنجليزية أو الألمانية، وليس البولندية. المدينة بمثابة بلدة سيَّاح. من ضمن كل عشرة أشخاص جالسين تحت التمثال في

(1) الحوار كله في هذه القصة بالبولندية في الأصل. (المترجم)

منتصف ساحة المدينة، تسعة منهم وافدون من الخارج. كنت إحدى هؤلاء الأجانب، ومثل الأجانب الآخرين، جلست بجوار تمثال الساحة في مقهى في الهواء الطلق، أتأمَّل أشعَّة الشمس وهي تُسخِّن بلاط الرصيف. وإذا بي فجأة ألمح الرجل العجوز.

في البداية، لم ألاحظ أيَّ شيء مختلف يخصُّه. لكن -والحق يُقال- تواجد الكثيرون من البشر في الساحة، والعدد الهائل من الأجانب الذين شكَّلوا الأغلبية، مستغرقون في التقاط الصور، وشرب البيرة، والتحدث عبر الهواتف المحمولة، وتجاذُب أطراف الحديث فيما بينهم. ببساطة، يعيشون اللحظة. سار أشخاص بتؤدة، ووقف آخرون من حولي، في حين كانت مجموعة ثالثة من الناس تتحرَّك في عجلة من أمرها. ثمة أشخاص معهم كلاب، وثمة آخرون برفقتهم أطفال. أقول ذلك حتى أعلِّل لماذا لم يَكُن من اليسير عليَّ أن ألمح شخصًا يقوم بشيء غريب وسط ذاك الزحام.

لكن السبب الأساسي الذي شدَّني إلى الرجل العجوز حقيقةً أنه كان يمشي بعرج واضح للعيان. وسبب آخر أنه رغم عَرَجِه، كان يمشي برشاقة مُدهِشة. والسبب الثالث لعدم قدرتي على إبعاد عينيَّ عن الرجل العجوز أنه ظل يمشي على جانب واحد فقط.

أحتاج إلى الاستفاضة في شرح النقطة الأخيرة قليلًا.

اتَّخَذَت الساحة شكل مُربَّع تقريبًا، وفي مركزها نُصِب تمثال شاعر رومانتيكي من القرن التاسع عشر، يُعدُّ ثروة قومية في بولندا. والسبب في أنه كان "مربَّعًا" تقريبًا يرجع إلى حقيقة أن قليلًا من الأزِقَّة تتفرَّع من مركز الساحة علاوة على الطرق الرئيسية التي تحدُّ الميدان من كل جانب من جوانبه الأربعة. ساحة مدينة أوروبية نموذجية، حيث تصطفُّ على الجانب الشمالي -الجانب الذي يواجه تمثال الشاعر- متاجر التذكارات، وغربًا، بعيدًا قليلًا عن تمثال الشاعر، يقف برج

ساعة، في حين تنتشر المقاهي الخارجية والحانات والمطاعم في جنوب وشرق الساحة.

كنت أجلس مولية ظَهري إلى تمثال الشاعر، وقد وجَّهت عينيَّ جنوبًا. ظهر الرجل العجوز على يساري، وسار باتجاه اليمين. عبر الطريق الرئيسي بخطوات عرجاء لكن بسرعة كبيرة على نحو مذهل، قبل أن يختفي داخل أحد الأزِقَّة. ثم بعد خمس دقائق، عاود الظهور على يساري، تمامًا من البقعة التي أتى منها بادئ ذي بدء، وسار إلى اليمين. مشى وهو يعرج بمرونة طيلة الطريق، في خطٍّ مستقيم إلى أن يعبر الشارع الرئيسي جهة اليمين، ويختفي مرة أخرى داخل زقاق. ثم من جديد، ظهر على يساري بعد أقلَّ من خمس دقائق. بفمٍ مُطبَق بإحكام فيما يعضُّ قليلًا على شفته السفلى، وبعينين مفتوحتين على اتساعهما، ووجه يعلوه تعبير يائس، راح يحرِّك ساقه العرجاء بهِمَّةٍ سائرًا أمام عينيَّ مباشرة، من شرق الساحة إلى غربها في خطٍّ مستقيم.

الساحة واسعة. يستغرق عبور الرجل العجوز جانبها الجنوبي على ساق عليلة وبحركته المتأرجحة، ما يتراوح بين خمس عشرة دقيقة إلى عشرين دقيقة. وحتى لو سلك مسارًا مختصرًا لا أعرف عنه شيئًا، فلا مناص من أن يستغرق منه الدوران من أجل العودة إلى الساحة عشرين دقيقة، بما أنه أخذ في المقام الأول عشرين دقيقة حتى يصل إلى الزقاق. لكن الرجل العجوز كان يختفي، ويعاود الظهور في غضون خمس دقائق أو نحو ذلك في البقعة نفسها بالضبط. ويقطع بعَرَجِه المسافةَ نفسها بسرعة تُنذر بالعواقب. وفي اتجاه واحد، لا يحيد عنه أبدًا.

"يمكنكِ رؤيته أيضًا؟".

مصدومة، استدرت برأسي. وإذا برجُلٍ يقف أمامي والشمس وراءه. تراءى لي في تلك اللحظة من مكان جلوسي، عملاقًا.

"هل يمكنني؟".

كان الرجل يشير إلى المقعد بجواري. اكتفيتُ بالإيماء. بصراحة، كنتُ مدهوشةً من الرجل العجوز، والآن هذا العملاق، بغضِّ النظر عن المكان الذي أتى منه، فقد أثار أعصابي بدوره، حتى إنني عجزت عن العثور على صوتي.

مضى الرجل وجلس بجانبي.

طيلة الساعة التالية، لم أتبادَل والرَّجُل أي كلمة بينما نشاهد العجوز الذي واصل المشي والمشي في الاتجاه ذاته كالسابق رغم عرجه دون أن تبدو عليه إمارات الإجهاد.

فيما أجلس مع الرجل فارع الطول، إذا بي أكتَشِفُ شيئًا آخر عن العجوز الذي كنَّا نرقبه. كنَّا في عزِّ الصيف، لكن الرجل العجوز ارتدى سراويل سوداء طويلة وكنزة كاكيَّةَ اللون، ورغم أن أشعَّة الشمس تلفح وجهه، لم يتراءَ مجهَدًا أو يشعر بالحرارة مطلقًا. لم أستطع أن أرى إنْ كان يتعرَّق من مكان جلوسي، لكن على الأقل لم تَبدُر عنه أي حركة لمسح عرقه. ومهما شاهدته من كثب، لم أعرف أين يحاول الذهاب أو كيف تمكَّن من العودة إلى البقعة الأولى بهذه السرعة.

تمتم الرجل الجالس بجواري بالبولندية:

"يُذكِّرني بجدي".

نظرت إليه.

قال مجدَّدًا بالإنجليزية: "يُذَكِّرني بجدي".

لا يتوقع معظم البولنديين أن يفهم الأجانبُ البولنديَّةَ. لأنني لا أمتلك أي فهم لأبعاد الموقف -مَن كان، ولماذا يتحدث إليَّ، ومَن الرجل العجوز- قرَّرتُ أن لا أنخرط في الكلام فيه. لم أقُل شيئًا.

لم يَبدُ أن الرجل يهتم أيضًا.

قال: "كان جدي تائهًا، مثله تمامًا".

بعفوية، استدارت عيناي تجاه العجوز الذي كان يشير إليه.

لم يَعُد العجوز هناك. كان الأمر مُربكًا. نهضتُ ونظرت في الأنحاء بحثًا عنه، لكنه ما كان في أي مكان حيث يمكنني رؤيته.

تمتم الرجل: "سيعود. دائمًا ما يعود".

وقف الرجل، وأومأ لي برأسه ثم غادر.

***

قابلت الرجل مرة أخرى في مكتبة.

كنت أنهي دراساتي العليا حينذاك، وكنتُ في بولندا في رحلة بحثية. منحتني جامعتي بعض التمويل، لكن مال المنحة بالكاد غطَّى تكلفة تذكرة الطائرة. السكن، وأجرة التَّنقُّلات بالحافلة، وحتى تكلفة الحصول على نسخ من الكتب في المكتبة؛ كل هذا كان عليَّ دفعه من جيبي الخاص. ولم يكن ثمة ما يضمن أنني سأخرج من كل هذا بأي شيء يفيدني في دراساتي العليا. لكنني أردتُ أن أنهي ما بدأته، وكانت الطريقة الفورية والملموسة لتحقيق ذلك هي استعارة الكتب من المكتبة.

مثل العديد من المكتبات في أوروبا الشرقية، كانت مكتبة الجامعة التي كنت أشدُّ الرحال إليها تحتوي على أكوام مغلقة. كان عليَّ أن أجد رقم إيداع كل كتاب، وأملأ قسيمة بالكتب، وسيذهب أمين

المكتبة إلى الأكوام لإحضار الكتاب لي. لذلك كتبت قسائمي وسلَّمتها إلى أمين المكتبة في مكتب الإعارة، والذي تَصادَف أن يكون ذلك الرجل.

لم يبادر أيٌّ منَّا بالترحيب بالآخر، أو ينطق حتى كلمة تشي بتعرُّفِ كُلٍّ منَّا على الآخر. التقط القسائم برسمية، وقلَّبها للحظة، ثم طلب مني الرجوع بعد ساعتين. أومأت برأسي، وقرَّرتُ العودة إلى مقعدي، والبحث عن المزيد من المواد.

بعد ساعتين عندما رجعت إلى المكتب، قدَّم لي الرجل كومة من الكتب وهو يقول:

"إذن أنتِ تتحدثين البولندية؟".

"تاك (نعم)".

سؤال طُرِح عليَّ في مناسبات عديدة. أجبتُ عليه ببساطة. نظر الرجل إلى مجموعتي المختارة من الكتب، وسألني سؤالًا آخر.

"الحرب العالمية الثانية؟".

لم أستطع الإجابة عليه. كنتُ قد التقطت الكتب للتَّوِّ، وأحاول الحفاظ على توازني بالضغط على الجزء العلوي من كومة الكتب بذقني. توقَّف الرجل عن طرح الأسئلة عليَّ. وهكذا، في حين أعانق الكتب، استدرت بحذر ورجعتُ إلى مقعدي.

أخبرني الرجل الشاب لاحقًا أن اهتمامه بي كان بسبب أنني أستطيع رؤية العجوز، ولأنني أيضًا كنت أبحث عن الحرب العالمية الثانية. راودني شعور أنه كان محِقًّا. ربما كان ثمة بعض الفضول العِرقيِّ المتعلِّق بالأمر أيضًا، لكنني لم أسأل عن ذلك. كل ما فعلته هو القراءة في المكتبة أثناء النهار والخروج إلى الساحة في المساء من أجل تناول عشاء بسيط وممارسة هوايتي في الفرجة على الناس. كانت الأسعار في بولندا حينذاك منخفضة جدًّا، وكان بإمكاني تحمُّل تكلفة

وجبة حتى في هذا الجزء السياحي من البلدة، طالما قصَرتُ تناولي الطعام على المقاهي الخارجية ولم أذهب إلى المطاعم. كنت أطلب زجاجة من الماء الفوَّار وسندوتشًا، وأراقب الناس يأتون ويذهبون، وعربة السائحين تدور حول الساحة، وأحاول أن لا أفكر في المستقبل. لم أكن أؤمن بأنه ينتظرني أي مستقبل مشرق. لم أكن أعرف ما إذا كنت سأتمكن حتى من كسب لقمة العيش. لذلك، "اللحظة السابقة" كانت دائمًا أفضل لحظة، والحاضر دائمًا أفضل من المستقبل. عندما رجعت إلى الديار، علمت أنني سأفتقد الجلوس بتكاسُلٍ في هذا المكان، والاستمتاع بالشمس الغاربة ببطء. بذلت قصارى جهدي للاستمتاع بها قدر استطاعتي.

كنت قد أنهيت يومي في المكتبة، وكنت في الساحة، أبحث عن طاولة فارغة في مقهى في الهواء الطلق، عندما ظهر الرجل أمامي.

"بيرة؟".

سؤال مُقتضَب. بعد لحظة تردُّدٍ مُقتَضَبة، أومأت برأسي.

***

منذ ذلك الحين فصاعدًا، كلَّما غادرت المكتبة وذهبت إلى الساحة، كان يظهر أمامي بعد مدة قصيرة. أو في الأيام التي لا أعمل فيها في المكتبة، كان ينتظرني هناك في الساحة. خلال وجبات العشاء البسيطة التي تناولناها معًا، كان يشرب البيرة في الغالب، وكنت أشرب القهوة أو الماء الفوَّار.

لم أرَ الرجل العجوز ثانية.

قال: "سوف يعود إلى هنا يومًا ما".

ضحكت. "هذا عنوان أحد كتب دراسة اللغة البولندية الذي تنشره إحدى الجامعات هنا".

أجاب مبتسمًا: "أنا أعلم".

كان العنوان في الواقع Pewnego dnia tu wrócisz ponownie أي "ستعود إلى هنا يومًا ما". لم أعتقد أنني سأعود إلى هنا مرة أخرى. بقدر ما أحببتُ المكان، لا تتكرَّمُ عليك الحياة بمثل هذه الفرص بسهولة، ولا يمكنني الاستمرار إلى الأبد في حالة التأرجح بين الواقع واللا واقع.

ربما كان هذا سبب قبولي عندما اقترح أن نذهب إلى شقته.

... لو كان من الممكن أن أتمنى أمنية،

لا أعرف ماذا عليَّ أن أقول..

ماذا يجب أن أتمنَّاه...

أوقاتًا عصيبة أم أوقاتًا هانئة...

***

طلب مني أن أقيِّده. الأدوات، والأساليب والوضعيات تختلف في كل مرة، لكنه كان دائمًا ما يستفيض في شرح ما أراده مني.

طلب مني أن أقيِّده وليس العكس، وبدا أنه شيء هامٌّ عنده أن لا أطرح أي أسئلة وأقوم بالأمر فحسب. لا داعي للقول إنني لم أقيِّد أيَّ شخص من قبل في حياتي. حتى ربط العُقَد كان مُربِكًا بالنسبة إليَّ. شرح بصبرٍ ما أراد عدَّةَ مرَّات، وكان ممتنًّا عندما ربطته بإحكام بالطريقة التي شاء.

لم يكن الأمر ولعًا جنسيًّا بقدر ما كان هوسًا شخصيًّا. كان لديه سيناريو ثابت للعلاقة الحميمية كلها من البداية إلى النهاية. فقط عندما يتبع هو والشخص الآخر -أنا، بكلمات أخرى- هذا السيناريو بدقَّةٍ، يمكنه أن يهدأ. ولكن إن حدث شيء ما خارج النص، يصبح متوترًا جدًّا ويطلب مني بشكل مُتكرِّر تصحيحه حتى نتبع السيناريو بدقَّةٍ مرة أخرى. لكن هذا السيناريو كان من صُنعه هو وحده، والمشكلة أنني لم أكن علي دراية به في البداية.

على السطح، كنتُ أنا المُقيِّدة وهو المُقيَّد، لكن عمليًّا كان هو مَن يأمرني، وأنا مَن أحاول التزام السيناريو. لم يتراءَ لي أنه واعٍ بأنه يتبع سيناريو مُتخَيَّلًا. ظلَّ يستخدم كلمات مثل "صحيح" أو "خاطئ" لوصف محاولاتي. لكن على مستوى جوهري، لا توجد طريقة خاطئة أو صحيحة لربط حبيبكِ في الفراش. كان الأمر شاقًّا عليَّ عندما كنت لا أفهم جيدًا تقديره الشخصي لما هو صحيح أو خاطئ. كان يكرِّر نفسه بصبر أو يحاول استعمال كلمات أسهل، لكن ذلك جعلني فقط أشعر وكأنني غبية. لم يَعتَرِه الغضبُ عندما "أخطئ"، لكن كان بوسعي أن أرى أنه يصبح متوتِّرًا؛ ما جعلني أشعر بأنني أغبى، وعديمة الفائدة.

كان يعتذر عندما أبدو محبَطة: "آسف. أعرف أنه مُزعِج. أعرف أنني غريب الأطوار أيضًا. لكن أرجوكِ، احتمليني".

لم أعتقد أن تقييده مزعجٌ أو غريب. توجد شتَّى أنواع الأذواق في العالم، ولو أنني وجدت ذوقه غير مقبول، لما بقيت معه. أردت فقط أن أفعل شيئًا هامًّا له لأنني لم أمقته كشخص، ولكي أفعل ذلك؛ كان عليَّ أن أفهم الصورة العامة التي يتصوَّرها في رأسه، السيناريو الذي يخزِّنه في ذهنه.

تطلَّب مني بعض الوقت حتى أفهم السياق. شقَّته -بمعايير كوريا- شقَّةٌ من حجرة واحدة. صغيرة وضيقة، لكن السقف شاهق الارتفاع،

بكـوَّة زجاجيـة، مـن خلالهـا تسـتطيع أن تـرى النجـوم في السـماء. كان يتأمَّـل انعـكاس جسـدي وجسـده المقيَّـد فـوق الألـواح الزجاجيـة للسـقف فوقنـا في مقابـل الليـل الأسـود، ويتمتـم: "جميـل".

كنـت أومـئ إليـه بكآبـة. مـن منظـوري، تـراءت الأشـياء غـير واقعيَّـةٍ بقـدر كبـير حتـى أقدِّرهـا حقًّـا. أشـياء مـن قبيـل بولنـدا، وهـذا الرجـل المقيَّـد، وأنـا.

ثم شرع يخبرني عن جدِّه.

***

كان صيـف عامـه الحـادي عـشر عندمـا ذهـب للعيـش مـع جـده. كان جـدُّه قـد نجـا مـن معسـكرات الاعتقـال النازيـة. لم يَـبنِ النازيُّـون معسـكرات المـوت المشـينة المـزوَّدة بغـرف الغـاز فحسـب، بـل أداروا أيضًـا مصانـع ذخـيرة باسـتخدام نظـام السُّـخْرَة. كان الانتهـاء في هـذا المـكان مصـيرَ العديـد مـن البولنديـين الذيـن ليـس لديهـم أصـول يهوديـة. مـع نقـص اليـد العاملـة قرابـة نهايـة الحـرب، راح الألمـان يجوبـون الشـوارع، ويختطفـون أي شـخص يمكـن أن يجـدوه مـن أجـل إرسـاله للعمـل في مصانـع الذخـيرة أو المـزارع. كان جَـدُّه أحـد الأشـخاص الذيـن اعتُقِلـوا مـن الشـوارع...

"لكـن جـدِّي لم يخـبرني قـطُّ كيـف كانـت الحيـاة في المخيَّـم. ولا حتـى مـرة. أليـس هـذا غريبًـا؟".

بدا أن الأمر يحيِّره حقًّا.

اسـتولت مخـاوفُ أخـرى عـلى جـدِّه. وفقًـا لحفيـده، يمكـن تلخيـص غايـة الرجـل العجـوز في الحيـاة في كلمـة واحـدة: البقـاء. الرجـل العجـوز لم يـبرح المنـزل قـطُّ. تألَّفَـت حياتـه مـن التـدرُّب عـلى كيفيـة البقـاء عـلى

قيد الحياة دون مغادرة منزله. بمجرد غروب الشمس، كان من الممنوع إضاءة الأنوار أو حتى تشغيل حنفيات المياه للاستحمام أو إصدار أي نوع من الأصوات. وفَّرا ما يمكن توفيره من الماء والطعام؛ ولهذا السبب كان منزلهما دائمًا مكدَّسًا بالأطعمة المُعلَّبة.

"كانت أوقاتي المفضَّلة من السنة عيد الفصح وعيد الميلاد وأيام القديسين الكاثوليك. سمحت لنا تلك المناسبات بأن نأكل أشياء لم تكن مُعلَّبة". كان جدُّه أيضًا ينظف المنزل بانتظام، ويغسل الثياب؛ كان منزلهما قمة في الترتيب، وملابسهما نظيفة على الدوام. ولكن كانت توجد دائمًا حقائب سفر معبَّأة بالكامل بجوار الباب في حالة احتياجهما للفرار في أي لحظة. كان جزءًا هامًّا من حياته مع جده هو فحص محتويات تلك الحقائب، والتَّأكُّد من استبدال الطعام والبطاريات بانتظام. حاول أن يفهم جدَّه، واتبع القواعد قدر استطاعته. لكن في العام الذي بلغ فيه الخامسة عشرة، تمرَّد على جدِّه لأول مرة. كان جده قد منعه من الخروج مع أصدقائه بعد غروب شمس الشتاء. لم يكن السبب مجرَّدَ إجبار حفيده على أن يطيعه، ولكن لأنه كان خائفًا وقلِقًا جدًّا. وفَهمُ حفيده ذلك هو بالتحديد ما جعله ينفعل على جده.

"صرَختُ في وجهه بأن الحرب قد انتهت منذ زمن طويل، وأن الشيوعية قد ماتت، والجميع باتوا أحرارًا، وأن لا شيء سيِّئ يصيب الأطفال الذين يلعبون بالخارج بعد الساعة السابعة مساءً".

"ماذا كان ردُّه؟".

"لم يقُل أي شيء".

حدَّق جدُّه إليه برهة، ثم استدار، ودلف إلى حجرته. بعينيه الشاردتين وكتفيه المتهدِّلتين، بدا وكأن جدَّه قد شاخ عشر سنوات في لحظة واحدة.

منذ ذلك الحين، توقَّف جدُّه عن شراء الطعام المعلَّب أو الاحتفاظ بالحقائب جوار الباب الأمامي. حتى اليوم الذي تخرَّج فيه من المدرسة الثانوية، كان كل ما فعله جدُّه هو الجلوس محدِّقًا بهدوء في شاشة التلفاز. مات في النهاية أمام التلفاز.

"وجدته ميتًا عندما عُدتُ إلى المنزل ذات يوم. وبجانبه مباشرة وقفت نسخة أصغر سنًّا منه في مثل عمري الآن تقريبًا، تمامًا كما بدا قبل نقله إلى معسكر الاعتقال". ظلَّت ذاتُ الجدِّ الأصغر تنظر بقلق إلى الأمام والخلف بين وجه ذاته الأكبر سنًّا الهامدة ووجه حفيده. أشار الحفيد ببطء إلى الباب. عندما أومأ برأسه، سارت ذاتُ جَدِّه الأصغر، التي كانت متسمِّرةً في مكانها وتعبير حائر يعلو وجهها، نحو الباب بتؤدة، ورحلت. حدَّق الحفيد من النافذة طويلًا بينما سارت روح جده في الشارع، وعبرت الساحة المُنارة بضوء الشمس، قبل أن تختفي في ملكوت أوسع.

غمغم: "قضى الجدُّ حياته كلها مرعوبًا من حرب انتهت قبل زمن بعيد، من معسكر اعتقال اختفى منذ مدة طويلة. فقط بعد وفاته، تمكَّن جدي أخيرًا من التَّجوُّل في المدينة بحرية".

كان عليَّ أن أسأله. "مَن ذلك الرجل العجوز الذي يسير دائمًا في اتجاه واحد في الساحة؟".

قال: "ربما شخص أصيب بطلق ناري أثناء الحرب. لمحته هناك كثيرًا. يعبر الشارع ويبذل أقصى ما يستطيع من جهد من أجل العودة إلى منزله، لكنني أعتقد أنه فقد الكثير من الدم لدرجة أنه مات قبل أن يتمكن من تحقيق ذلك".

"أتساءل لماذا لا يستطيعون ترك تلك الأوقات العصيبة وراءهم. سواء في الحياة أو الممات".

"الصدمة. ربما...".

لو كان بوسعي أن أتمنى أمنية،

أريد أن أكون أسعد قليلًا فقط.

لو أصبحت سعيدًا جدًّا

فسأفتقد الحزن.

بين الفينة والأخرى كان يدندن أغنية بصوت خفيض. سألته عن اسم الأغنية ذات مرة، فقال إنه لا يعرف. "أغنية كان جدي يغنيها كثيرًا. ربما من أيام الحرب".

بعد زمن طويل، سمعت الأغنية مرة أخرى في فيلم قديم يدور حول الحرب العالمية الثانية ومعسكرات الاعتقال النازية، وقد غيَّرَت البطلةُ الرئيسيَّةُ قليلًا كلمات إحدى أغاني "مارلين ديتريش".

حياة.

أحب الحياة.

... لا أعرف ماذا أريد، لكن

ما زلت أتوقَّع الكثير.

في الفيلم، تغوي امرأةٌ مسجونةٌ في معسكر اعتقال ضابطًا نازيًّا من أجل البقاء على قيد الحياة، وتغني له وهي نصف عارية. حياة مُدمَّرة، لا يعرف فيها المرءُ ما يريد، ولكن مع ذلك يحبُّ الحياة؛ أحيت الكلماتُ ذكرى صديقي المنسيِّ منذ زمن طويل، وظل يشغل أفكاري مدة طويلة.

***

كان الصيف قصيرًا، وكان عليَّ أن أعود إلى بلادي. عندما لم تتبقَّ لي سوى أيام قليلة، طرحت عليه سؤالًا.

"مـا الحـزن الـذي تفتقـده والـذي بسـببه تريـد أن تكـون مقيَّـدًا؟". لمحـت صراعًـا في عينيـه. مـرَّت بُرهَـةٌ طويلـة قبـل أن يتكلـم. "لم يسـألني أحـد عـن ذلـك مـن قبـل".

سألته: "هل تكون سعيدًا وأنت مقيَّد؟".

أجـاب عـلى الفـور: "لا". وبعـد ذلـك، بعـد بعـض التفكـير، أضـاف: "أشـعر بأمـان أكـبر عندمـا أكـون مقيَّـدًا".

"ما الذي يُشعِرُكَ بالأمان؟".

كان يريـدني دائمًـا أن أربطـه بإحـكامٍ قـدر المسـتطاع. كان مـن الواضـح أنـه يتألَّـم عندمـا أفعـل ذلـك، وكانـت بُقـعٌ حمـراء تتخلَّـف مـكان القيـود عندمـا أفكُّـه. حتـى لـو كنـتُ أضعـفَ منـه جسـديًّا، وحتـى لـو كنـت عشـيقته، فقـد وجـدت صعوبـة في تصديـق أن مثـل هـذه العُقَـد الضيقـة جعلتـه يشـعر بالأمـان.

ببطء، همس، "أشعر أنني حصلت على إذنٍ بالبقاء حيًّا".

كان ردُّه بطريقة ما مُفجِعًا جدًّا، لدرجة أنني ربطته بكل قوتي.

***

عندمـا التقيـت بـه مـرة أخـرى، كان لا يـزال مقيـمًا في الشـقة نفسـها. مـرَّت مـدَّةٌ طويلـة، ولم أسـتطع أن أتذكَّـر بوضـوح، لكـن شـقته بـدت فارغـة ومقفـرة أكـثر مـن ذي قبـل.

قلت: "اعتقدتُ أنك ستكون متزوجًا الآن".

"كِدتُ أن أتزوَّج فعلًا".

"ولماذا لم تفعل؟".

"لم ترغب في تقييدي".

أومأت برأسي.

سألني: "وأنتِ؟ لماذا لستِ متزوجة؟".

فكَّرتُ لحظة في أبسط طريقة للإجابة على هذا السؤال. قلت أخيرًا: "لديَّ دَينٌ أُسدِّده. أمي اقترضت بعض المال باستخدام اسمي".

وكانت لا تزال تقترض المال باسمي. لم أكن أعرف كيف أقول تزوير وثائق رسمية باللغة البولندية؛ لذلك لم أتمكَّن من الخوض في المزيد من التفاصيل.

أومأ برأسه كأنه فهم وترك الأمر عند هذا الحد. أعجبني ذلك فيه.

سألتُ: "هل لا يزال ذلك السيد في الساحة موجودًا؟".

"ربما. عادة ما يكون مرئيًّا فقط في الصيف، ولم أره مؤخَّرًا". كان هذا الرجل العجوز الذي يسير مرارًا من الشرق إلى الغرب في الجانب الجنوبي من الساحة، الشبحَ الوحيد الذي رأيته على الإطلاق.

سواء قبل مشاهدتي له في الساحة أو بعدها، وسواء في كوريا أو أي بلد آخر، لم أرَ شبحًا آخر حتى الآن.

"حقًّا؟" تفاجأ. "كنتُ عفويَّةً جدًّا بشأن هذا الأمر، لدرجة أنني اعتقدت أنك رأيتَ أشباحًا طوال الوقت".

منذ أن كان في الرابعة من عمره، رأى أشياء لم يرها الآخرون. موتى من البشر، وكذلك الحيوانات الميتة مثل القطط والكلاب والخيول. كان صغيرًا جدًّا على فَهْم ماهيَّة الموت، مرأى أناس وحيوانات شبه شفافة تطفو عبر الأشياء المحيطة كان ببساطة مسلِّيًا له.

مثل معظم البولنديين، كان والداه من الكاثوليك. عندما بدأ يصف شكل الحيوانات النافقة، اعتقدت والدته أنه ببساطة يمتلك خيالًا مُفرِطَ النشاط. شعرت بالرعب فقط عندما استطاع أن يصف بدقَّة

ما كان يبدو عليه الناس قبل وفاتهم. كانت تدعو، وتتشاور مع كاهن، وأمضت معظم اليوم في الكنيسة معه، لكن بلا جدوى. حتى في الكنيسة، كان يرى كاهنًا قد مات هناك منذ عامين، والرجل الذي شيَّعوا جنازته الأسبوع الماضي. أعادته والدته إلى المنزل، وجوَّعته، وعندما اشتكى من الجوع، ضربته.

كان للضرب تأثيرٌ فوريٌّ، ولم يَعُد يتحدث عن الموتى أو الحيوانات التي رآها. لكن إجباره على الصيام جاء بنتائج عكسية، حيث زاد الجوع من حساسيته. خاصة عندما ينام على معدة فارغة. كان يتحدث إلى الموتى أثناء نومه، أو يمشي أثناء نومه رفقة الموتى في منتصف الليل. أرعب هذا والِدَتَه التي كانت تمنعه من الأكل طوال اليوم، وتحبسه في المنزل، وتضربه بلا رحمة. كانت والدته تبكي دائمًا وهي تضربه، وتدعو له بحرارة لاحقًا. كان يعلم أن والدته بقيت في المنزل طوال اليوم معه أيضًا لا تأكل شيئًا أو تذوق طعم النوم، وتبكي طوال الليل، وتدعو همسًا؛ ولهذا السبب كلَّما تعرَّض للضرب أكثر، شعر بالذنب. في عامه الحادي عشر، توفِّي خال والدته، أي شقيق جدته. عندما عادت والدته من الجنازة، قال وداعًا لوالدته بصوت شقيق جدَّته الذي لم يقابله من قبل. لم يكن لديه ذاكرة عن هذه الواقعة. لم تأكل والدته أيامًا بعد ذلك، ونُقِلت إلى المستشفى؛ ولهذا أُرسِل إلى منزل جدِّه في هذه المدينة. كان هذا عندما عَلِمَت لأول مرة أنه ليس أصلًا من هذه المدينة الجنوبية، ولكن من ضواحي وارسو.

"إذًا والدتك لا تزال في وارسو؟".

أجاب: "ربما. لم أرَها قَطُّ بعد إرسالي بعيدًا إلى منزل جدِّي. باستثناء لحظات وجيزة في حفل تخرُّجي من المدرسة الثانوية. لم نتواصل منذ ذلك الحين".

"و أبـوك؟". لم يتحـدَّث قَـطُّ عـن والـده. كان تعبـيره مرتبـكًا لدرجـة أننـي اعتـذرت. "آسـفة".

"لا، ليـس الأمـر كذلـك. والـدي... كيـف أقـول هـذا..."، عبـس. "كان والـدي... شـخصًا مبهـمًا. هـل تعرفـين مـا أعنيـه؟".

لم أفعل. انتظرت أن يُكمِل.

"عندمـا كنـت مـع أمـي أو جـدي، كان الهـدف مـن وجـودي واضحًـا. هـل يبـدو هـذا معقـولًا بالنسـبة لـك؟ كان هـدف الجـد البقـاء عـلى قيـد الحيـاة باسـتخدام الوسـائل التـي تعلَّمهـا في الحـرب، وبالتـالي كان لديـه دائمًـا مـا يفعلـه ومـا يأمـرني بفعلـه: 'تَحقَّـقْ مـن حقائـب الطـوارئ، وتفقَّدْ الميـاه ومخـزون الطعـام المعلَّـب، وفي الليـل أطفِـئْ الأنـوار ولا تُصـدِرْ أي صـوت'. عندمـا أشرقـت الشـمس في اليـوم التـالي، كان لديـه شـعور واضـح بأنـه نجـا ليشـهد يومًـا آخـر. مـع أمـي...". بـتر عبارتـه، وشرد في أفـكاره. "كانـت الأمـور مـع أمـي مريعـة، لكـن بمـا أنهـا كانـت تعـاني لأننـي كنـت سـيئًا حينهـا، كان هـدفي أن لا أكـون سـيئًا. عندمـا قلـت أشـياء سـيئة كانـت تبـكي، كانـت تتضـوَّر جوعًـا وتدعـو بحرقـة، وتقيِّـدني إلى السريـر وتضربنـي، وفي بعـض الأحيـان تتركنـي مقيـدًا طـوال الليـل حتـى لا أخـرج في نزهـة رفقـة شـخص ميـت.. لـذا كان هـدفي أن لا أكـون سـيئًا. لكـن أبي...". عبـس مـرة أخـرى. "حسـنًا، أبي ابـن جـدي. لكنـه كان مختلفًـا تمامًـا عـن جـدي. لا أعـرف مـا الـذي عـاش مـن أجلـه. لم يَبـدُ سـعيدًا أو أي شيء. كان دائمًـا يفعـل شـيئًا لا معنـى لـه بينـما كان عقلـه في مـكان آخـر". فكَّـر أكـثر قليـلًا. "أنـا لا أعـرف عـن أبي. لسـت عـلى اتصـال بـه".

أخـيرًا، اسـتطعت أن أسـتوعب الوضـوح القـاسي والمـروِّع لمـا كان -مـن وجهـة نظـره- ذا مغـزى. اليـأس والخـوف الرهيـب مـن أن حياتـك ومسـتقبلك القـادم، متوقِّـفٌ عـلى لحظـة. يمكننـي أن أفهـم أيضًـا كيـف أنـكَ، في موقـف حيـث بوسـع الشـخص ذاتـه أن يقتلـك، وأن ينقـذك أيضًـا،

سوف توجِّه كل غرائز البقاء بداخلك إلى إرضاء ذاك الشخص الواحد. ما إن تمرَّ بصدمة رهيبة وتفهم العالم من منظور متطرِّف، سيصعب عليك تجاوز هذا المنظور. لأن بقاءك بحدِّ ذاته يعتمد عليه.

الآباء الذين يدمِّرون حياة أطفالهم، ويمتصُّون السعادة من مستقبلهم، ليس فقط من أجل الحفاظ على أوهامهم الخاصة ولكن أيضًا لتوسيع مداها بحماس بحيث تمتدُّ إلى حياة أطفالهم- يمكن فهم هؤلاء الآباء تقريبًا من منظور الهوس. بعد عبارة "كُن ممتنًّا لأنني ربَّيتُكَ" تأتي العبارة الضمنية التي لا تُقال أبدًا، "بدلًا من قتلك أو تركك تموت". ربما يقصدون ذلك أيضًا.

لطالما جعل أبواي وجيلهما، بعد نجاتهم من الحرب الكورية -تمامًا مثل الجيل الذي نجا من الحرب العالمية الثانية- غايتهم أن لا يعيشوا حياة بشرية، بل أن يمتلكوا غريزة حيوانية من أجل البقاء على قيد الحياة.

ومع ذلك، الفهم والتسامح أمران مختلفان تمامًا.

همس: "هلا قيَّدتِني؟".

أومأت برأسي.

سألت: "هل سيكون بوسعك المغادرة بعد انقضاء الليل؟".

"لا أعرف". ثم أردف، "ماذا ستفعلين بعد ذهابي؟" لم أستطع الإجابة. سأل مرة أخرى. "هل ستعودين إلى بلدكِ؟".

قلتُ: "لن أعود أبدًا". فاجأتني إجابتي.

قال بهدوء: "إذًا سأبقى هنا معكِ".

همست: "شكرًا".

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، لم يكن بجواري. فتحت باب الحمام. تمامًا كما بدا عندما مات، كان معلَّقًا من رقبته بحبل إلى شبكة المُبرِّد في السقف، عيناه مغمضتان.

هززته برفق. فتح عينيه.

"هل تريد مني فكّ قيودك؟".

كان حلقه مختنقًا بالحبل الملتف حوله؛ لذا رمش كإجابة. عندما فكَكتُ الحبل، غنَّيتُ معه بلا كَلَل.

لو كان بوسعي أن أتمنى أمنية...

فلن أعرف ما أقول.

ماذا يجب أن أتمنى؟

أوقاتًا عصيبة أم أوقاتًا هانئة...

لا يحدوني أي أمل بعد الآن في الأوقات الهانئة، لكنني لا أرغب في تمنِّي الأوقات العصيبة أيضًا. كنت أنتظر شيئًا، لكنني لم أعرف ماذا أتمنى. لا مستقبل حقيقي. كل مهارات البقاء التي نمتلكها عالقة في الماضي.

حياة بعض الناس محكومة بحدث واحد مروِّع يتردد صداه عبر غرائز البقاء بداخلهم. تتقلص الحياة إلى فخٍّ مكوَّن من لحظة متلألئة في الماضي، فخٍّ حيث يكرِّرون دونما انقطاع تلك اللحظة المنفردة عندما كانوا على يقين تام من أنهم على قيد الحياة. هذه اللحظة قصيرة، لكن بعد مرور زمن طويل على انقضائها، تتسرَّب الأوقات الهانئة والأوقات العصيبة مثل الرمل من بين أصابعهم حيث تتكرَّر تلك اللحظة بلا معنى، وتؤكد نجاتهم.

في النهاية أنا وهو وجدُّه ووالدته، أولئك الغافلون عن حقيقة أن حياتنا تنزلق بعيدًا عنَّا أثناء وقوعنا في شَرَك الماضي، سواء كنَّا أحياء أم أمواتًا، نحن أشباح الماضي.

... لو كان بإمكاني تحقيق أمنية واحدة

أريد أن أكون أسعد قليلًا.

لأنني لو كنت سعيدة جدًّا

سأفتقد الحزن.

حرَّرتُ رقبته ومعصميه.

تعجَّبتُ: "كيف فَعَلتَ هذا؟ كيف ربطت يديكَ، وعقدة الأنشوطة؟".

قال، وقد بدا مزهوًّا قليلًا بنفسه: "فكَّرتُ في ذلك طويلًا. كان عليَّ القيام بذلك بمفردي؛ إذ إنني لو ارتكبت خطأ، فلن أموت. سأجرح نفسي فقط. وسيعني ذلك الكثير من المعاناة".

عانَقتُه بشدَّة. تخيَّلتُه بمفرده في تلك الشقة الخالية، يفكِّر مليًّا بُرهةً من الوقت في الطريقة الأكثر نجاعة لشنق نفسه.

قال: "لا بأس. شكرًا لكِ".

ثم اختفى. صرت بمفردي في حمَّامه الفارغ.

لا أحد سألنا، عندما كنَّا لا نزال بلا أسماء،

إنْ كنَّا نَودُّ الحياة أم لا.

الآن أتجول في المدينة الكبيرة بمفردي،

أتطلع إلى الأبواب والنوافذ.

أنتظر وأنتظر من أجل شيء...

لكن لا شيء قد تبقَّى حتى أنتظره.

لكـن هنـاك مكثـت، واقفـةً في حمَّامـه، أنتظـر أحدهـم حتـى يعـثر عـليَّ بأعجوبـة، حتـى يحـرِّرني مـن الروابـط التـي تُقيِّـدني إلى هـذه الحيـاة.

تعقيب المترجم

الأرنب الملعُون

الرُّعب بوصفه أداةً لمناقشة قضايا النِّسويَّة والرَّأسماليَّة

نُشر "الأرنب الملعون" في الأصل عام 2017، بعد عامين من انتشار شعار "الجحيم لجوسون (اسم قديم لكوريا)" في كوريا الجنوبية، عبارة ردَّدها جيل الشباب الكوري الناقم من وضعه بوصفه مصطلحًا ساخرًا للتعبير عن الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الطاحنة، الكابوسية التي يواجهونها؛ الافتقار إلى الاستقرار، ونُدرة الوظائف جيدة الأجور، وتعرُّضهم للضغط المستمر بسبب التوقُّعات الاجتماعية المترسِّخة، والفجوة المتزايدة في الثروة.

سلسلة متتالية من الكوابيس هي إحدى الطرق لوصف حكايات بورا تشانغ الملعونة. القصص القصيرة العشر كلها في مجموعة الأرنب الملعون تنفصل بإيجاز عن العالم الحقيقي؛ وبالتالي يمكن تصنيفها

على أنها سريالية، أو واقعية سحرية، أو فانتازيا، أو خيال علمي، أو رعبٌ، أو خرافة. ومع ذلك، هذا الانفصال عابِرٌ؛ لأنه من خلال هذه القصص السحرية المخيفة والعبثية، يمكننا أن نشعر بالقمع والصراعات الخانقة التي تحدث في كثير من الأحيان في المجتمع، ونشهد الواقع الحقير للجشع والتكالُب على الثروة والاضطهاد الجمعي. لذا بعض القصص يمكن قراءتها على مستوى آخر، وتأويلها تأويلاتٍ مُتنوِّعة، بوصفها انتقادات لمعايير وظروف اجتماعية ومادية يؤيِّدها مجتمع معاصر رأسمالي (معايير لا تقتصر على كوريا الجنوبية).

في قصة "الرأس"، على سبيل المثال، تواجه المرأة مخلوقًا يعيش داخل مرحاضها، ويتكوَّن من كل الإفرازات الجسدية للمرأة. تشعر بالاشمئزاز، وتبذل قصارى جهدها للتَّخلُّص منه، فقط لتجده وقد عاود الظهور بعد عقود، بعد أن نما ليصبح نسخةً شابَّةً جميلة من المرأة نفسها؛ نسخة انتقامية. "الرأس" قصة تتحدَّث في أحد تأويلاتها عن مطالب "الكمال الأنثوي": رفض الأجزاء البغيضة منَّا، وضغط التابوهات الاجتماعية المفروضة على جسد المرأة.

في "الجنين"، تجد امرأة شابة نفسها حاملًا- أحد الآثار الجانبية في هذا العالم الغريب لتناول حبوب منع الحمل مدَّةً طويلة؛ وتتعرَّض لضغوط من دكتورة غير متعاطِفَة للعثور على أب لمساعدتها في تربية "طفل طبيعي"، ولكن عندما تفشل، تلد كتلةَ دَمٍ عديمة الشكل. من المفترض أن يكون اختيار المرأة ما تفعله بجسدها بلا عواقب. ربما ذلك ما تحاول هذه القصة تذكيرنا به بطريقة مرعبة.

قصة "الإصبع المتجمدة" تحكي قصة حادث سيارة مخيف في مستنقع، حيث ترتبط لعنة خبيثة بشكل غريب بذكريات شبح السائقة عن وفاتها، ولحظات حياتها؛ ممَّا يخلق تجربة مرعبة، ولكنها

مثيرة للاهتمام. وحيث يحاول كيان غامض ربما يكون رمزًا للسلطة الأبوية أو الذكورية التلاعب بأفكارها وذكرياتها (Gaslighting).

وتقرأ القصص الأخرى مثل سلسلة من الحكايات التحذيرية -ماذا لو- ضدَّ الجشع الرأسمالي. تحكي القصة التي تحمل المجموعةُ عنوانَها عن النهاية البطيئة والمؤلمة لرئيس تنفيذي لشركة وعائلته بعد أن أُهدِي صنمًا أو تمثالًا ملعونًا انتقامًا لخسَّته وعدم تورُّعه عن ارتكاب الجرائم في سبيل إنجاح عمله. وفي "الشَّرَك"، يأخذ الجشع والقسوة شكل استغلال الموارد الطبيعية في قالب حكاية خرافية... شيء أقرب إلى نوادر التراث وقصص الأمثال العربية التي يُفترض أن نخرج منها بالعِبر، إذ يجد الرجل المتعثِّر ماديًّا ثعلبًا وقع في شَرَكٍ، ينزف دمًا ذهبيًّا؛ يُبقي الثعلب حيًّا ليبيع دمه ويبدأ في الاستمتاع بحياة من الثراء مع عائلته الشابة الجديدة. لكن ما يلي ذلك هو كشف عن المزيد من الأحداث المروعة التي تقود إلى القتل وأكل لحوم البشر وسِفاح القربى.

في "وداعًا يا حبي"، تناقش بورا الفكرة الشائعة في الكثير من القصص، حيث الروبوتات تهاجم البشر، مُستَخدِمةً حِيَلَ الحب والخيانة بين السيد والروبوت.

تنبع موهبة بناء هذه الخرافات من الخيال الإبداعي الحر وغير المقيَّد للكاتبة تشانغ، التي درست في أوروبا، وحصلت على درجة الدكتوراه في الولايات المتحدة في تخصُّص الأدب الروسي والخيال العلمي. منحتها تجاربها الأكاديمية والحياتية القدرة على "كسر" الجمود الأدبي والأغلال الروحية؛ ممَّا مكَّن أعمالها من تخطِّي الحدود بسهولة؛ الحدود بين الحياة والموت، بين الإنسان والأرواح، والبشر والكائنات الأخرى، وحتى البشر والجوامد. في بعض التقاليد التراثية، تشبه حياة الإنسان نهرًا طويلًا حيث الحياة والموت هما الضفتان.

يمكن تشبيه رحلة الحياة بـ "عبور نهر"، أي عملية الانتقال من ضفة إلى أخرى، من الحياة إلى الموت. ومع ذلك، في قصص تشانغ، غالبًا ما تتحطَّم هذه العملية و"تتجاوز" الحدود الواضحة بين الحياة والموت باستمرار. في "الأرنب الملعون"، تتجمَّد الحياة أو تتكرَّر كذاكرةٍ ثابتة. عندما يختفي الجد الذي يرمز للموت في نهر الزمان، تختفي الضفتان تمامًا؛ ممَّا يؤدِّي إلى سؤال ساحق: "هل سيكون النهر في حالته الأصلية بدون ضفَّتَيْه؟"، وتبدأ قصة "لمُّ الشمل"، برَجُلٍ عجوز يسير في ساحة في بولندا قبل أن تتكشَّف الأحداث في قصة جميلة مؤلمة، بطلاها الراوية وعشيقها المعذَّب. وتختتم بالقول: "سواء كنَّا أحياء أم أمواتًا، نحن أشباح الماضي".

في هذه القصص الحدود المألوفة بين الحياة والموت، الإنسان والشبح، الإنسان والأشياء ضبابية أو تتلاشى تمامًا، مستحضِرَةً الظلام والغرابة. تشبه قراءة هذه المجموعة السَّيرَ في زُقاقٍ مُظلِم بمفردك، ولكن عندما تنظر إلى الظلام وسط هذا الصمت المتوتر، قد تشعر بطريقةٍ ما ببعض العزاء. فالشخص الوحيد وحده الذي يمكن أن يصبح عميقًا وواسع المدارك، ولا يمكن إلا لنظرة وحيدة أن تكون مُجرَّدة، وصافية ونقية جدًّا.

وهكذا تستخدم بورا تشانج الرعب بطريقة مبتكرة وفريدة، بوصفه أداةً تحذيريَّةً فعَّالة، لتشريح مجتمع معاصر مكبَّل بجشع الرأسمالية، ولنقد اضطهاد الموروث الأبوي والبطريركي للمرأة والفرد، في مجتمع يهتمُّ -أكثر ما يهتمُّ- بفرض المعايير وسطوة المظاهر، وفي خِضمِّ ذلك كله تحاول تحليل النفس البشرية، بكل ما فيها من شرور وضَعفٍ وفَسادٍ ورغبةٍ في الانتقام. ولا يوجد تحذير أقوى من معايشة رُعبٍ في قِصَّةٍ من لحم ودم، ورؤية أفظع الاحتمالات تتحقَّق على أرض الواقع.

بماذا نسمِّي كابوسًا لا يمكننا الاستيقاظ منه؟ جحيم حيٌّ. تُمسك تشانغ بأيدينا، ونذهب معها طواعية، رغم أن جزءًا منَّا يشكُّ بالفعل في أننا نُقاد إلى هلاكنا. الأرنب الملعون جحيم بورا تشانج الذي تحاول أن تحذِّرنا منه، رغم أن جزءًا غير يسيرٍ منه قد بدأ في التَّحقُّق بالفعل.

المترجم

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن الكاتبة

بورا تشانج

كاتبة خيال علمي ورعب كوريَّة جنوبية، وُلِدَت في سيول سنة 1976. كتبت ثلاث روايات، وثلاث مجموعات قصصية. نالت درجة الماچستير في الدراسات الروسية ومنطقة أوروبا الشرقية من جامعة يال، ونالت درجة الدكتوراه في الأدب السلافي من جامعة أنديانا. تدرِّس حاليًا الأدب واللغة الروسية، ودراسات أدب الخيال العلمي في جامعة يونسي في كوريا. كما تعمل مترجمةً للأعمال الأدبية المعاصرة من الروسية والبولندية إلى الكورية. من أشهر ترجماتها إلى الكورية رواية "المعلم ومارغريتا" للكاتب الروسي ميخائيل بولغاكوف، ورواية "فيرديدوركه" للكاتب البولندي فيتولد غومبروفيتش.

مجموعتها القصصية "الأرنب الملعون" وصلت في ترجمتها الإنجليزية إلى القائمة القصيرة لجائزة المان بوكر الدولية 2022.

نبذة عن المترجم

محمد نجيب

طبيب وكاتب ومترجم أدبي. من مواليد المنصورة 1992. صدر له عديد الترجمات إلى العربية، عن اللغتين: الكورية والإنجليزية. من ترجماته عن الكورية: "الكتاب الأبيض" و"أفعال بشرية" و"دروس إغريقية لهان كانغ؛ "سأكون هناك" و"فتاة كتبت العُزلة" لكيونج سوك شين؛ و"حياتي المشرقة" لكيم إي-ران، و"المتآمرون" لكيم أون سو؛ و"أنا في انتظارك وقصص أخرى" لكيم بو-يونج.

ومن ترجماته عن الإنجليزية" "مسيح كثيب" لفرانك هربرت؛ و"مكان ثانٍ" لراشيل كاسك؛ و"بحر السكينة" لإيميلي سنِت مانديل؛ و"قتلوا أبي أوّلًا" للونج أنج.

الفهرس

إشادات 5
مقدمة 7
الرّأس 9
الإصبع المتجمّدة 29
الجنين 49
الأرنب المَلعُون 79
بيتي العزيز 101
الشَّرَك 131
نـدبـات 149
حـاكِمُ الرِّيـح و الرِّمال 199
وداعًـا يا حُبّي 219
لَمُّ الشَّمـل 239
تعقيب المترجم 261
نبذة عن الكاتبة 267
نبذة عن المترجم 269

الأرنب الملعون

هل تظن أن الرعب الرهيب موجود فقط في الأدغال والأماكن المهجورة؟

هناك نوع من الرعب الخفي يحل في كل تفصيلة من حياتنا اليومية التي يسيطر عليها النظام الأبوي الرأسمالي، وتتعزز تلك السيطرة عبر التقنية التي لا تنفك تتقدم وتسيطر على كل شيء، بطريقة مبتكرة وفريدة وبحس دعابة عبثي تنتقد بورا تشانج تلك الأوضاع الحديثة التي تضع حياة الإنسان وحضارته على المحك.

تُرجم لأكثر من خمس عشرة لغة. ورُشح للقائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية 2022، كما رُشح أيضًا للقائمة القصيرة لجائزة الكتاب الوطني الأمريكية لأفضل عمل مترجم 2023.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ISBN 978-977-313-998-8
9 789773 139988

المحروسة